حلول إسلامية

لمشاكل أسرية

عرض - تحليل - حلول

تأليف
صبري مرسي الفقي

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم

حلول إسلامية لمشاكل أسرية

جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

حقوق الطبع محفوظة © ١٤٢٦هـ لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو حفظه ونسخه في أي نظام ميكانيكي أو إلكتروني يمكن من استرجاع الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر

توزيع

دار ابن الجوزي

المملكة العربية السعودية، الدمام ـ شارع ابن خلدون ـ ت: ٨٤٢٨١٤٦ ـ ٨٤٦٧٥٨٩ ـ ٨٤٦٧٥٩٣،
ص ب: ٢٩٨٢ ـ الرمز البريدي: ٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ ـ الرياض ـ ت: ٤٢٦٦٣٣٩ ـ الإحساء ـ الهفوف
ـ شارع الجامعة ـ ت: ٥٨٨٣١٢٢ ـ جدة ـ ت: ٦٥١٦٥٤٩ ـ ٦٨١٣٧٠٦ ـ بيروت ـ هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
ـ فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ ـ القاهرة ـ ج.م.ع ـ محمول: ٠١٠٦٨٢٢٧٨٣ ـ تلفاكس: ٠٢٢٥٦١١٤٧٣
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.jwzi.com

ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

حلول إسلامية لمشاكل أسرية

عرض - تحليل - حلول

تأليف
صبري مرسي الفقي

توزيع
دار ابن الجوزي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد: فإن الأسرة هي النواة الأولى للمجتمع، وعلى صلاح أفرادها يتوقف صلاح الأمة، فلن تجد مجتمعاً يحْمي حَوْذة الدين، ويذُود عن أرضه ومقدساته، ويصون ماله وعرضه، إلا إذا كان مجتمعاً صالحاً في ذاته، قد أُعدّ أفرادُه إعداداً ربّانيًا، مستقيماً على منهج الله تعالى، وعلى منهج رسوله ﷺ، ولن يتكوّن أفراد الأسرة المثالية إلا من أبويْن تقوم العلاقة بينهما على السكن والمودة والرحمة.

وقد أبت همة الأخ الفاضل الأستاذ صبري مرسي الفقي، إلا أن يُسهم في بناء هذه الأسرة الصالحة لنفسها، ولدينها، ولوطنها، ولقاء ربها بدءاً باختيار الزوجة، وقيام كل من الزوجين بما عليه من حقوق وواجبات نحو الآخر، وإزالة العقبات والشوائب التي تعكّر صفو الأسرة.

ومروراً بحسن تربية الأبناء، وإعدادهم إعداداً عقليًا وبدنيًا وروحيًا، وانتهاء بالمجتمع الصالح في خير أمة أخرجت للناس.

وقد اهتم الكاتب ـ وفقه الله ـ بالمشكلات الأسرية، فضمّن الكتاب بَابَيْن أولهما: يتناول المشكلات الزوجية، وثانيهما: يتناول مشكلات الأبناء، وقد عرض فيهما لجوانب عدة من المشكلات التي تعرض لها بالتشخيص والتحليل ووضع الحلول العملية لها.

جزى الله الأخ صبري مرسي خير الجزاء على ما بذله من جهد في إعداد هذا الكتاب الذي يساهم في إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع.

وأسأل الله تعالى أن ينفع به، وألّا يحرمنا الأجر والمثوبة.

قاله وكتبه

د. أحمد بن أحمد بن عبد الله الطويل
مراقب القرآن والقراءات بإذاعة القرآن الكريم
الرياض في ١٥/١١/١٤٢٣هـ

توطئة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفس وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشه أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

وبعد:

إن الأسرة قلب المجتمع، ومركز حياته وبقائه، فكما أن القلب ف الجسم البشري مركز حياة، وديمومة بقاء واستمرار، كذلك الأسرة قل المجتمع، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا فسدت فسد المجتمع والأسرة هي الخلية الأولى ونواة المجتمع، ولا غرو في ذلك، فالمجتمع يقو على مجموعة أسر، ومن ثم وجب على الفرد أن يعي حقيقة الزواج وأنه انتقا من المسؤولية الفردية إلى المسؤولية الجماعية، فإما أن يكون مصدر فس للمجتمع حين يمده بأفراد غير صالحين يسيء تربيتهم ولا يرعاهم حق الرعاية وإما أن يكون مصدر إصلاح وتغيير في المجتمع حين يمده بأفراد صالحي يتسلحون بالوعي والعلم، ويحملون رسالة التغيير الاجتماعي والإصلاح للانتقال بالمجتمع من حالة الفساد والتقهقر إلى الإصلاح والترقي في شت المجالات.

والأسرة فطرة غريزية في الإنسان، منذ بدء الخليقة، فقد خلق الله آدم وحواء وعرفهما هدفها وهو التناسل والتكاثر وإعمار الأرض، وأرشدهم إلى مقاصدها ووسائل استمرارها وهي السكينة والمودة والرحمة، وأحل لهم العلاقة الأساسية فيها وهي علاقة الغشيان والملامسة، والأسرة أصل من أصول الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والأسرة هي الصورة الطبيعية للحياة المستقرة التي تلبي رغبات الإنسان وتفي بحاجاته وهي الوضع الفطري الذي ارتضاه الله لحياة الناس منذ فجر الخليقة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨] ومنذ أن خلق الله آدم وبعثه والمبادئ الأساسية لتكوين النظام الأسري لم تتغير، فلم نعلم أن رسالة جاءت لتحل الزنا أو اللواط مثلاً أو تهدم شكل الأسرة وتجعل المرأة مشاعاً بين الرجال أو العكس، أو أن تجعل الأطفال وهم نتاج الزواج مِلْكاً للدولة لا يعلم أحد منهم مَنْ أبوه ولا مَنْ أمه حيث يُنزع منها لتتولى رعايته الدولة كما في جمهورية أفلاطون.

فقد جاء الإسلام بنظام غاية في التوازن والاعتدال، يراعي نواحي الفطرة الإنسانية، وينطلق بمعرفة كاملة بخفايا تكوين الإنسان امرأة أو رجل في جميع جوانب حياتهم الدقيقة المختلفة، ويضع لهم منهج حياة متكاملة، يشمل حاجات الروح وحاجات البدن، وليس في وسع الإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة والتجربة أن يضع مثله، نظام لا يوجد فيه ميلان أو رجحان في ناحية من نواحيه، أو في جانب من جوانب الحياة العامة، فالإنسان الذي يفهمه ويتعامل معه عندما ينتمي إليه هو الإنسان المتيقن بصحة علومه، ويستسلم لاحترام أحكامه ومفاهيمه، لا عن اتباع أعمى، وإنما عن دليل وبرهان وصحة وبيان، هذا هو الدين الإسلامي المتوازن التي تتلاءم أحكامه مع فطرة الإنسان، وتتوازن قوانينه مع العلوم المتقدمة والعقول المتفتحة مما يطمئن القلب السليم، بأن واضع هذا المنهج الدقيق المتوازن هو الذي خلق الإنسان، ووضع جميع مخلوقاته بتمام الدقة والتوازن، وهو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

○ الباعث على الموضوع:

من هنا جاء هذا الكتاب ليبرز قوانين وأحكام وقواعد الإسلام ف الأسرة، وأساليب التعامل مع المشكلات الناجمة بين الزوجين والأولاد سائلين المولى ﷻ أن يلهمنا الصواب، وأن يبعدنا عن الشطط، إنه ولي ذلا والقادر عليه.

هذا وإنني لم آت بجديد، وإنما وفقني الله تعالى للجمع والترتيب والتحليل والعلاج للمشكلات، فإن كان خيراً فمن الله وحده، وإن أخطأ السبيل فأنا عنه راجع إن تبين لي ذلك، والمجال مفتوح للنقد، والرد والتعلي والتوجيه[1].

○ منهج الكتاب:

هذا وقد قسمت الكتاب إلى بابين تحت كل باب فصلين، وتحت ك فصل عدة مباحث كالتالي:

■ **الباب الأول: الأسرة المسلمة طوق نجاة.**

الفصل الأول: الأسرة المثالية.

المبحث الأول: أهداف الزواج.

المبحث الثاني: نظام الأسرة في الإسلام.

المبحث الثالث: خصائص العلاقة داخل الأسرة المسلمة.

---

(١) يرى البعض أن الجمع لما كتبه المتقدمون من أهل العلم وترتيبه هو في حد ذاته لو من ألوان الابتكار، وذلك لأنه ما من أحد يستطيع الخروج عن الخطوط العريضة الن وضعها المتقدمون في أي موضوع، فلو اقتصر الإبداع والابتكار في مجال التأليف على الإتيان بالجديد، لما كان هناك مجال للإبداع حيث إن المتقدمين لم يترك موضوعاً إلا وقد وضعوا أسسه، بل وشيدوا بنيانه. والجدير بالاعتبار أن نقول: إ حتى الجمع والترتيب يختلف عرضاً وإتقاناً وإحاطة، وبتفاوت تلك الأشياء يتفاو المبدعون.

المبحث الرابع: الحقوق داخل الأسرة.

المبحث الخامس: سمات الخلاف بين الزوجين.

المبحث السادس: نحو أسرة مثالية.

الفصل الثاني: المشكلات الزوجية.

المبحث الأول: أسباب المشكلات الزوجية.

المبحث الثاني: نماذج من المشكلات الزوجية.

*** الباب الثاني: مفاهيم تربوية.**

الفصل الأول: حتمية التربية.

المبحث الأول: أهمية التربية وأهدافها.

المبحث الثاني: أسس تربوية.

المبحث الثالث: التربية في محيط الأسرة.

المبحث الرابع: قاعدة أساسية في تربية الأطفال.

الفصل الثاني: نماذج من مشكلات الأبناء.

كتبه

صبري مرسي

الباب الأول

الأسرة المسلمة
طوق نجاة

الفصل الأول

الأسرة المثالية

المبحث الأول

أهداف الزواج

من أهم أهداف الزواج حفظ النوع البشري بالتوالد، كما يحفظ النبات بالزرع؛ فالمرأة بمثابة الأرض المعدة لإلقاء البذور، والزوج هو الزارع بالطريقة التي يختارها في وضع الحَبِّ، وقد جاء التعبير في الآية الكريمة عن النساء بالحرث بياناً لدورها الهام في بناء الأسرة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وفي ذلك توجيه للخاطبين كي يحسنوا الاختيار؛ لأن الزواج في الإسلام ليس محلاً لإشباع الدافع الجنسي، أو لإرواء غليل الشهوة الغريزية فحسب؛ بل هو خطة محكمة لإعمار الأرض وإحيائها بالنسل الصالح، والزواج مصدر مهم من مصادر سعادة الفرد والمجتمع، ولقد أحل الله تعالى إتيان الزوجة في معظم الأوقات، باستثناء مدة النفاس والحيض التي تمر بها الزوجة؛ إذ إن الحيض حالة تشبه المرض، يتم أثناءها طرح البويضة والعش الجنيني المخرب خارج رحم المرأة، وغالباً ما تترافق هذه العملية بآلام جسدية واضطرابات نفسية، مما يجعل المرأة غير مستعدة نفسيًا ولا صحيًا للمباشرة الجنسية، التي يقصد بها استمتاع كل من الزوجين بالآخر.

وقد رفع الإسلام بهذا النهي من شأن المعاشرة الزوجية، ونزهها عن أن تكون مجرد قضاء شهوة غريزية آنية، لتكون بالمقابل وظيفة إنسانية ذات أهداف سامية في طبيعة الحياة البشرية واستمرارها، يقوم عليها بناء الأسرة وإحلال المودة والحب بين أفرادها؛ بل وأعطى الأجر عليها وفي الحديث: (وفي بضع أحدكم صدقة. قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في

الحلال كان له أجر)[١].

وينحصر النهي في هذه الآية عن الوطء أثناء الحيض فقط، دون المعاشر والمؤاكلة والمجالسة، فقد وضح النبي ﷺ ذلك بقوله: (اصنعوا كل شيء إ النكاح)[٢].

وقد أجمع الأطباء على وجوب الابتعاد عن وطء المرأة في مدة الحيض كما نطق بذلك القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم عليم، لما في ذلك م أضرار وأذى على الطرفين، ومن هذه الأضرار:

١ ـ آلام أعضاء التناسل لدى الأنثى، وإحداث الالتهابات في الرحـ والمبيض، مما قد يؤدي إلى تلف المبيض وإحداث العقم.

٢ ـ إن دخول سائل الحيض في عضو التناسل عند الرجل قد يحدث التهاباً صديديًا، لما فيه من جراثيم وأذى.

ولا يحل للرجل أن يطأ زوجته حتى تطهر، وقد ذهب الجمهور إلى أ الطهر الذي يحل به الجماع هو تطهرها بالماء، وأنها لا تحل حتى ينقط الحيض وتغتسل بالماء. فإذا تطهرت جاز للزوج أن يباشرها في المكان الذ أحله الله له، وهو مكان النسل والولد أي القبل لا الدبر؛ لأن الإتيان في الد خروج عن موضع الحرث الذي خلقه الله.

وما تحريم ذلك إلا لعلة الضرر والأذى، وفي هذا التحريم تكريم للمر وصيانة لحقها، فللمرأة حق على الزوج في الوطء، ووطؤها في دبرها يفو حقها، ولا يقضي وطرها أو يحقق مقصودها، وكذلك فالدبر لم يتهيأ لمثل هـ العمل، ولم يخلق له، وإنما الذي هيئ لذلك هو الفرج، فالعادلون عنه إل الدبر خارجون عن حكمة الله وشرعه؛ ولذلك يقول ﷺ: (إن الله لا يستحي م الحق فلا تأتوا النساء في أدبارهن)[٣].

---

(١) رواه مسلم (١٠٠٦).

(٢) رواه مسلم (٣٠٢)، وابن ماجه (٦٤٤).

(٣) رواه ابن ماجه (١٩٢٤) والنسائي وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رة (١٨٥٢) في صحيح الجامع.

وبقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أعطي الزوج الحرية في إتيان زوجته كيفما يشاء، قائمة أو قاعدة أو مضطجعة على أن يكون ذلك في مكان الحرث (الفرج). وفي ذلك يقول ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ: (أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة)[1].

وقبل أن يشرع الزوجان باللقاء الجنسي يستحب منهما أن يقوما بالمقدمات كي يصلا بعملهما إلى غايته؛ فيبدآن بالتسمية بالله والدعاء، قال رسول الله ﷺ: (لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ثم قدر أن يكون بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً)[2].

أما الخطوة الثانية فهي المداعبة، وهي فن يضايق المرأة إهماله، ويثير اشمئزازها إغفاله، بل إنه قد يؤذيها إيذاء بدنيًا ونفسيًا، ويحول هذا العمل إلى عمل آلي بغيض بالنسبة للطرفين. وللألفاظ والنظرات أهميتها العظمى في التمهيد، ومهما بدت هذه الأمور تافهة وصغيرة في نظر بعض الناس، فإنها هامة جدًا في هذه الحالة. قال أحد علماء النفس الاختصاصيين بقضايا الجنس تحت عنوان المغازلة والمداعبة: [واعلم أنه لا يكفي أن يستهوي الرجل زوجته حتى تذعن له مرة واحدة فقط حين يتزوجها؛ بل يجب أن يلاطفها ويستعطفها ويستهويها عند كل وصال]. فالمداعبة تمهيد هام يتوقف عليه تحقيق المتعة، واستمرار سعادة الحياة الزوجية، ويجب أن يكون الجماع منسجماً في العمل والاستجابة له، ومن ضرورات هذه المشاركة المساواة في الحقوق وفي الاستمتاع بالاتحاد الجنسي.

وأفضل الأساليب ما تولته يد الشريعة الغراء، وجاء به الرسول الكريم ﷺ، فهو البلسم الشافي والطب الواقي، وذلك وجوب ترك الزوج زوجته تأنس به

---

(١) رواه الترمذي (٤٠٦٤) عن ابن عباس ﷺ، وقال الألباني: (حسن). انظر: صحيح الجامع (١١٤١).

(٢) رواه البخاري (٦٩٦١)، وأبو داود (٢١٦١).

ويأنس بها، وتسكن إليه ويسكن إليها فتحصل المودة، وتلتقي القلوب، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

ومن الأسباب الهامة لجعل الزواج خصباً ومثمراً للذرية الصالحة، المداومة على الاستغفار وتقديم الصدقات، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

ومن ثَمَّ فإن الشارع الحكيم يعود المسلم على ألا تغيب عن باله الغايات السامية من الأحكام أثناء تفصيلها، فينقله من الحديث عن الدم والغسل إلى الحديث عن التوبة والطهارة والنقاء حيث يكمن خيره وسعادته، وذلك كله من دواعي محبة الله تعالى له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

وينبغي أن يعلم كل من يتقدم للزواج الإجابة على هذا السؤال لماذا نتزوج؟ وما الحكمة من هذا الزواج؟.

وهناك أربع حكم أو أهداف نجعلها نصب أعيننا قبل أن نقدم على الزواج.

١ ـ النسل:

جعل الخالق سبحانه استمرار النوع الإنساني على الأرض منوطاً بالتزواج، واستمرار النوع هدف وغاية للخالق سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا عن نفسه: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٧، ٨]، ولذلك أيضاً جعل الله ﷻ الإضرار بالنسل من أكبر الفساد في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

والنسل الذي يصلح لعمارة الأرض وخلافتها وسكناها هو النسل الذي يأتي بطريق نكاح لا بطريق سفاح، فالنسل السوي هو نسل النكاح. وأما نسل السفاح فهو مسخ يشوه وجه الحياة ويشيع فيها الكراهية والمقت، ولا يغيب عن بال إنسان ما يعانيه العالم الآن من أولاد السفاح الذين خرجوا إلى الأرض بأجسام بشرية وبنفوس حيوانية مريضة ملتوية، قد فقدت الحنان في طفولتها ولم تعرف الأرحام والأقارب فغابت عنها معاني الرحمة.

والنكاح بأصوله وحدوده وقواعده كما شرعه الله ﷻ هو الوسيلة السليمة لاستمرار النوع الإنساني وبقائه، وقد أمرنا سبحانه بابتغاء النسل عند معاشرة النساء حيث قال سبحانه: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، وابتغاء ما كتب الله هو طلب الولد ـ على وجه من وجوه التفسير لهذه الآية ـ.

٢ ـ الإمتاع النفسي والجسدي:

يهيئ الزواج لكل من الرجال والنساء متعة من أعظم متع الدنيا، وهذه المتعة تنقسم إلى قسمين: سكن وراحة نفسية، وإمتاع ولذة جسدية. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

والسكن إلى المرأة يشمل سكن النفس وسكن الجسم، والمودة والرحمة من أجمل المشاعر التي خلقها الله، فإذا وجد ذلك كله مع الشعور بالحل والهداية إلى الفطرة ومرضاة الله ﷻ كملت هذه المتعة ولم ينقصها شيء، وقد ساعد على ذلك بالطبع الأصل الأول للخلق، وغريزة الميل التي خلقها الله في كل من الذكر والأنثى للآخر وابتغاء هذا المتاع، والسكن بالزواج مطلوب شرعاً كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وهذا عن زينب ﵂، والوطر هو حاجة الإنسان كالأرب، والاستمتاع بالنساء لا ينافي التعبد الكامل؛ بل هذا النبي ﷺ سيد العابدين والمتقين يقول: (حبّب

إلي من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة)[1]. فمحبة الطيب والنساء لم تمنعه صلوات الله وسلامه عليه أن يكون رسول الله ﷺ للعالمين، وأن يكون سيد العابدين المتقين، ولذلك فقد وسع الله عليه في ذلك، حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ..﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية.

وبيَّن ﷻ أنه لا حرج ولا ضيق على النبي ﷺ في هذا المباح والذي أوجب الله عليه بعضه أحياناً كما أوجب عليه أن يتزوج بزينب وأمره بذلك حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] الآية، فالآمر بالزواج هذا هو الله ﷻ، وبين أنه لا حرج عليه في هذا حيث قال: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب: ٣٨].

والشاهد من هذا كله أن متع الزواج الحسية والنفسية من خير ما خلق الله من متاع لعباده في الدنيا، وابتغاء هذا المتاع وفق تشريع الله وهديه من الأسباب التي توصل إلى مرضاة الله سبحانه.

٣ ـ بلوغ الكمال الإنساني:

الحكمة الثالثة من حكم الزواج هي بلوغ الكمال الإنساني، فالرجل لا يبلغ كماله الإنساني إلا في ظل الزواج الشرعي الذي يتوزع فيه الحقوق والواجبات توزيعاً ربانيًّا قائماً على العدل والإحسان والرحمة لا توزيعاً عشوائيًّا قائماً على الأثرة وحب الذات وافتعال المعارك بين الرجال والنساء وأخذ الحقوق والتنصل من الواجبات بالشد والجذب.

فالمتع الجسدية والنفسية تعمل عملها في نفس الإنسان وفكره وقواه النفسية والبدنية فيشعر بالرضا والسعادة والراحة النفسية والجسدية حيث تتصرف

---

(١) رواه النسائي، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٣١٢٤) في صحيح الجامع.

طاقته وغريزته بأنظف الطرق وأطهرها وحيث ينشأ بين الزوجين الوفاء والحب الحقيقي القائم على الود والرحمة والمشاركة، لا ذلك الميل الحيواني القائم على تفريغ الشهوة وبلوغ اللذة دون وجود الوفاء والرحمة. فمشاعر الزناة والزواني لا يمكن أن تكون كمشاعر الأزواج والزوجات، فالأولى مشاعر حيوانية شهوانية حدها محدود بوجود هذه اللذائذ الحسية ونهايتها بانتهائها، ولا يمكن أن يكون فيها ومعها أي شعور بالاحترام والود والوفاء؛ بل على العكس من ذلك، هناك شعور بالاحتقار والازدراء والامتهان، احتقار الزواني لمن وافقته على عمله الخبيث، واحتقار الزانية لمن استغل حاجتها أو جمالها أو ضعفها الأنثوي وميلها الطبيعي؛ ولذلك فمشاعر الزناة والزواني متضاربة ساقطة، ومشاعر الأزواج منسجمة سامية، وتلك المشاعر تولد العقد النفسية والانحلال الخلقي وضعف الوازع وهوان النفس، وأما مشاعر الأزواج النظيفة فإنها تورث الحب والرحمة وسمو النفس وحياة الضمير والقلب، وباختصار مشاعر الأزواج بناء ومشاعر الزناة والزواني مشاعر هدم؛ ولذلك سُمِّي الزواج في الإسلام بناء، حيث إنه بناء نفسين وبناء أسرة.

ولذا فأبعد الناس عن الأمراض النفسية والعصبية هم أهل الاستقامة في هذا الشأن وأقرب الناس إلى الأمراض النفسية والعقد والامتهان هم أهل الانحراف والفساد.

ولذلك فالمجتمع السليم في أفراده ذكوراً وإناثاً هو مجتمع الزواج الشرعي، أما مجتمع الخنا والانحراف فأبناؤه وبناته في ضياع يعلمه الداني والقاصي.

وتوزيع المسؤوليات في الزواج ينمي قدرة الرجل على القيام بالواجب ويجعل له هدفاً سامياً في الحياة وهو إسعاد زوجته أو حمايتها والسعي في سبيل أبنائه وذريته.

وبالمسؤوليات يتربى الرجال وكذلك بالمسؤوليات الملقاة على الزوجة نحو الزوج تكمل شخصية المرأة، وقد دلت الإحصاءات الحديثة على أن المرأة لا تكمل نفسيًا وجسديًا وعقليًا أيضاً إلا بعد المولود الثالث، فإذا كانت هذه الزوجة التي رزقت بأولاد ثلاثة في ظل أسرة متماسكة وفي ظل تربية سليمة

وأهداف نبيلة بلغت المرأة كمالها الإنساني الذي قدره الله لها. وبهذا نفسر التمزق والطيش وضعف الوازع والرغبة في الهدم التي تسيطر على العوانس ممن حرمن نعمة الزواج والأولاد؛ ولذلك جاء الإسلام بالقضاء على هذه الظاهرة الخطيرة فأمر المسلمين أمراً لازماً بتزويج العوانس والأرامل حيث قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور: ٣٢] الآيات. والأيامى جمع أيم، والأيم هي التي لا زوج لها بكراً أو ثيباً، ومَنْ لا امرأة له، والأمر هنا للمسلمين عامة، وأولي الأمر خاصة. فالعنوسة وكثرة الأيامى اللاتي لا يتزوجن من أكبر مشكلات المجتمع، والشاهد أن المرأة التي حرمت نعمة الزواج أو حرمت نعمة الأولاد امرأة ناقصة خلقيًّا وفكريًّا وعقليًّا، وإن كان هذا أحياناً بظلم المجتمع. والخلاصة أن الرجل لا يكمل عقله وتستقر نفسه إلا في ظل الزواج وكذلك الحال بالنسبة للمرأة.

٤ ـ التعاون على بناء هذه الحياة:

هذه الحياة التي نعيشها على ظهر هذه الأرض تفرض علينا أن نعيش في مجتمع، والمجتمع بناء كبير يتكون من لَبِنَات، والوحدة الأولى من وحدات هذا المجتمع هو الفرد رجلاً كان أم امرأة، والرجل والمرأة لا يستطيع أيّ منهما العيش مستقلًّا عن الآخر، بل كل منهما محتاج للآخر حاجة شق النواة للشق الثاني؛ بل حاجة الشيء إلى نفسه، ولذلك لا يمكن أن نبني مجتمعاً سليماً إلا بتكوين لبنة سليمة، ولا نستطيع أن نقول إن الرجل بنفسه لبنة واحدة، ولذلك كانت الأسرة هي اللبنة الأولى لبناء المجتمع السليم، وبتعاون الزوجين تبنى الحياة، ولذلك فعقد الزواج يشابه عقود الشركة من هذا الوجه[1].

* * *

(١) الزواج في ظل الإسلام، الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

المبحث الثاني

نظام الأسرة في الإسلام

جعل الله تعالى للرجل والمرأة دورين متكاملين يتمم أحدهما الآخر، ولا يطمئن أحدهما إلا بالآخر، ولا يزالان في قلق واضطراب حتى يلتقيا ويدخلا معاً مجتمع السكينة والطمأنينة. وطبقاً لهذه العلاقة التكاملية يمكن للبيوت أن تشاد، وللأسر أن تزدهر، وللمجتمعات السعيدة أن تؤسس، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

والأسرة تجمع مقدس له غايات سامية، طالما حرص الإسلام على إبقائه قويًا متماسكاً، يحقق أهدافه ويصمد أمام الطوارئ والأحداث.

والغاية من بناء الأسرة إنجاب النسل الصالح، وحصول السكن النفسي بين الزوجين، وانسجام أفراد الأسرة في ظلال شرع الله الخالد.

والأسرة التي تبنى على قواعد الإسلام الحقيقية، هي أسرة باقية مدى العمر لا تنفصم عراها ولا تنحل أوصالها.

والإسلام يحافظ على الحقوق المتبادلة بين الزوجين، ويربي كلًا منهما على احترام حقوق الآخر، والاكتفاء بالحقوق الشرعية التي منحها له شرع الله.

ولا يلجأ إلى الطلاق إلا في الحالات النادرة، وعندما تصبح الحياة بين الزوجين عقيمة لا تحقق غايتها، عندها يأذن الشرع بإيقاع الطلاق؛ لتجد الزوجة رجلاً آخر تتعاون معه على تحقيق أهداف الإسلام من الزواج، وليجد الرجل امرأة يتعاون معها على بناء أسرة سليمة.

فالأسرة هي اللبنة الصالحة الأساسية في بناء المجتمع الإنساني السليم،

ولهذا أولى الإسلام بناءها عناية فائقة، وأحاط إنشاءها بأحكام وآداب تكفل أن يكون البناء متماسكاً قويًّا، يحقق الغاية الكبرى من وجوده.

إن الزواج الإسلامي هو بداية الطريق، فالحياة الزوجية في الإسلام علاقة شرعية مقدسة، قَلَّ مَنْ يلتزم شرع الله فيها، ويراعي حقوقها وواجباتها؛ نتيجة للجهل بأحكامها وآدابها أو تجاهل ذلك، لذا فإن كثيراً من المشكلات والأزمات تحدث بين الزوجين، فتتعرض الأسرة إلى هزات عنيفة، قد تؤدي إلى زعزعة أركانها وانفصام عراها.

والآية الكريمة تقرر أن المرأة آية من آيات الله تعالى، خلقها من جنس الرجل لأن المجانسة من دواعي التآلف، والمخالفة من أسباب التباعد والتنافر، ولقد خلقها الله تعالى لتكون زوجة له وسكناً لقلبه، والسكن أمر نفساني، وسر وجداني يجد فيه المرء سعادة تشمل جميع أجزاء حياته، وهذا من الضرورات المعنوية التي لا يجدها الرجل إلا في ظل المرأة، ولا يخفى أن ما يجده الرجل في المرأة تجد المرأة نظيره في الرجل، وإن لم يكن هناك سكن ومودة ورحمة بين الزوجين، فإن الخلل يصيب الحياة الزوجية، ولا بد من إصلاحه؛ لتعود تلك الحياة إلى المنهج الإلهي، فتعود إليهما المكافأة الربانية العاجلة من الألفة والمحبة، والتفاهم والتعاون على النهوض بأعباء المسؤولية الزوجية، ولا بد لكل طرف أن يتنازل بعض الشيء عن حقوقه، فقد قال ابن عباس: «وما أحب أن أستوفي جميع حقي عليها لأن الله يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾»[1].

وبهذا التصوير يضع القرآن الكريم أسس الحياة العاطفية الهانئة الهادئة؛ فالزوجة ملاذ الرجل يأوي إليها بعد جهاده اليومي في سبيل تحقيق العيش الحر الكريم، والركن الذي ينحاز إليه بعد كده وجهده، فيأنس بها ويفضي إليها بآلامه وآماله، فتكون له خير مواس ومعين، وتكون من الزوجات اللواتي سئل النبي ﷺ عنهن عندما قيل له أي النساء خير؟ قال: (التي تسره إذا نظر وتطيعه

(١) انظر: الدر المنثور عند تفسير الآية، وجامع البيان (٣٧٧٢).

إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره)[1]. فحق الزوج على زوجته أن تتلقاه كل يوم فرحة مرحة، طلقة الوجه، مبتسمة الثغر، نظيفة الجسد، طيبة الرائحة، لا يشم منها إلا طيباً، ولا يرى منها إلا جميلاً، ولا يسمع منها إلا عذب المنطق وطيب الحديث، فتستحق بذلك رضوان الله فضلاً عن مرضاة زوجها، وكما يفرض الإسلام للزوج على زوجته حقوقاً ويضع عليها واجبات، فكذلك يجعل للنساء على أزواجهن حقوقاً ويضع عليهم واجبات، فخير الرجال خيرهم لزوجاتهم، والسعيد من الأزواج من يجعل من امرأته صديقاً له بكل ما في هذه الصداقة من معنى؛ والسبيل إلى ذلك حسن المعاملة التي نص عليها قول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] ومن المعروف احترامها، ومراعاة حقوقها ومشاعرها لتبادله حسن العشرة؛ فتحترم مشاعره، وتقدره حق قدره، وتوفر له أسباب الراحة والطمأنينة، والألفة والمودة، فيشيع في البيت جو من الاستقرار النفسي، ويخيم على الجميع التوادد والتراحم، وتتحقق بهذا الغاية المرجوة من الزواج فيكون زواجاً سعيداً.

أما الزواج الذي لا يقوم إلا على المتعة الجسدية، فإنه لا يستحق أن يسمى زواجاً؛ لأن السعادة في الحياة الزوجية تقوم على أساس أعمق وأبعد من هذا، إذ إنها ثمرة رباط روحي وقلبي قبل أن يكون رباطاً جسديًّا. وقد اقتضت حكمة الله خلق كل من الجنسين على نحو موافق للآخر، ملبياً لحاجاته الفطرية والنفسية، والعقلية والجسدية، بحيث يجد عنده الراحة، ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء والرحمة، فما أسعد المؤمن الحقيقي بزوجته المؤمنة وما أسعد المؤمنة الحقيقية بزوجها المؤمن.

والإسلام أحاط الأسرة بتشريعات وأحكام متوازنة، يلتزم بها كل من الزوجين، مما يكفل بناءها بناء سليماً، كما قال الله تعالى: ﴿.. وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ..﴾ [البقرة: ٢٢٨] ولقد توج الشارع الحكيم العلاقة الزوجية بعوامل الاستقرار والمودة، وهي مجموعة من الأخلاق الفاضلة والمثل العليا

---

(١) رواه أحمد والنسائي وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٣٢٩٨) في صحيح الجامع.

الكاملة، والتي تعتبر بحق بمثابة حوافز دافعة لتحقيق قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾، وهي في الوقت نفسه ضوابط مانعة من التجاوز والتعسف والإساءة إلى كيان الأسرة.

لقد أراد الإسلام للأسرة أن تكون كياناً راسخ القواعد والجذور شامخ البنيان، مثمراً الثمار المرجوة، منتجاً النتاج الطيب المبارك، لذلك سلك بالمجتمع الذي أراد بناءه؛ المنهج الأمثل لإقامة مجتمع إنساني على قواعد متينة من التآخي والتحابب والتعاون والإيثار، قال النبي ﷺ: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(١).

وما الأسرة في الإسلام إلا لبنة متماسكة متناسقة مع ما حولها من اللبنات في البناء القوي المتين، وبغية الوصول إلى هذه الغاية الجذابة الكبرى نهج المنهج التالي:

١ ـ ربى أفراد الأمة رجالاً ونساء على الإيمان، حتى أصبح امتثال أوامر الله واجتناب محرماته أحب إلى المسلم من الماء البارد على الظمأ الشديد.

٢ ـ ألزم الأولياء باختيار الزوج الملتزم بتعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه، وهو وصف ينبغي أن يتحقق في الطرفين.

٣ ـ سمح للخاطبين بأن يرى كل منهما الآخر في وجود المَحْرم، مما يعطيهما الفرصة لتعرف الميول والرغبات الشخصية لكل منهما.

٤ ـ أمر كلاً من الزوجين بالإحسان إلى الآخر ومعاشرته بالمعروف.

٥ ـ عند حدوث خلاف بين الزوجين أمر باتباع مجموعة من الإجراءات تكفل العودة بهما إلى الحياة الزوجية المنشودة.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٦٥)، ومسلم (٢٥٨٦).

٦ ـ عندما يتعسر الاستمرار في العلاقة الزوجية بين الزوجين أذن بالطلاق ضمن قواعد وآداب وشروط تجعل منه علاجاً، بدل أن يكون عبوة ناسفة تدمر كيان الأسرة.

٧ ـ عند انحلال عقدة الزواج ألزم كلاً من الزوجين بالتزامات تضمن الحقوق لكل منهما، وتمنع من التجاوز واختلاط الأنساب.

إن الدارس للمنهج الإسلامي في العلاقات الزوجية لا بد أن يلمس في هذا المنهج الحقائق التالية:

أولاً: أثر تدين الزوجين في استقرار الحياة الزوجية، وأداء الأسرة لدورها الاجتماعي المنشود:

إن الإسلام عقيدة تملأ القلب من نور الله وخشيته، وتحمل المؤمن على العمل بمقتضى منهجه وشريعته، وتغرس فيه أخلاقاً كريمة توطد صلات المودة بين الناس، فتجعل علاقاتهم قائمة على الانسجام والتكامل لا على التنافر والتنازع.

وانطلاقاً من ذلك نرى أن الزوجين المسلمَيْن حقًّا، يسعيان معاً بكل صدق وإخلاص إلى تطبيق مبادئ هذا الدين الخالد وقيمه العليا في علاقاتهما اليومية.

إن الزوج المسلم وكذا الزوجة المسلمة يعلم كل منهما منهج الإسلام الذي يحدد مسلك العلاقة بينهما، وما دام الإيمان قد ملأ قلبيهما، وما دامت خشية الله قد ملكت عليهما السمع والبصر والإرادة، فلا بد أن يسعيا لأداء الحقوق لأصحابها، وتنفيذ الواجبات الملقاة عليهما؛ بل وفوق ذلك، فإن الزوج المسلم يرى في أداء حقوق زوجته باباً من أبواب طاعة الله والتقرب إليه، وترى الزوجة المسلمة في قيامها بواجباتها تجاه زوجها، قربة من القربات تتقرب بها إلى مرضاة ربها، وكل منهما يرى في الآخر أنه هدية من الله تعالى، فيحسن صنعاً بهدية الله؛ لأن إكرام الهدية من إكرام مهديها، وإهانة الهدية إهانة لمن أهداها.

وهكذا نرى أن العلاقة الطيبة تنمو بينهما باستمرار، وتزدهر بعيداً عن كل ما يعكر صفوها؛ بل إن الفتور لا يجد في هذا الجدار المنيع ثغرة ينفذ من خلالها إلى حياتهما، وأن حرارة المودة تنبع من الإيمان الذي ملك عليهما السمع والبصر والتفكير، وهذا الإيمان في ازدياد مستمر يوماً بعد يوم.

إن أسرة تقوم حياتها على هذه الأسس، وإن علاقة زوجية تحكمها مثل هذه المفاهيم، لهي أسرة بعيدة كل البعد عن الظواهر المرضية التي تنشأ في العلاقات بين الناس، الذين لا يلتزمون بهذه المبادئ ولا يعتقدون بهذه العقيدة، ولا يقدسون هذه القيم، حيث تسود الأهواء والأنانية بعيداً عن هدي الله وشرعه؛ وتبدأ المشكلة بنزاع خفيف لا يلبث أن يتطور ويستفحل أمره، حتى يأتي على الأسرة فيدمرها؛ لأن كلاً من طرفيه لا يحتكم إلى الشرع الذي يوازن بين الحقوق والواجبات، وقد وضع لنا الميزان لنميز بين الخطأ والصواب؛ هذا الميزان الذي اعتاد الناس أن يستغلوه في حال تعرض مصالحهم للخلل، ويتجاهلوه في حال تعرض مصالح غيره للخلل، والأشد خطورة من ذلك محاولة ـ بل وأحياناً ـ الإصرار على فلسفة الخطأ لإظهاره صواباً، بغية التمادي فيه، إننا في مثل هذه الحالة نجد أن هذا الطرف أو ذاك أو كليهما أسير شهواته ورغباته الذاتية على حساب حقوق الطرف الآخر، وهنا يكمن الخطر، وهذا هو منبع الشر، لا سيما وأن الشيطان يجد في هذه البيئة ضالته المنشودة، فيزين للمبطل باطله، ويعميه عن الحق ولوازمه، فإذا هو قد ضل وسلك منهج الباطل بعيداً عن منهج الحق، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ويحقق مكسباً، ولا يدري أنه يسعى إلى شقائه الذي يلازم حياته ولا يفارقه؛ فيشعر بقلق دائم واضطراب مستمر ونزاع شديد مع الزوجة والأولاد والأهل والجيران، كل ذلك نتيجة الإعراض عن هدي الله ﷻ.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، إذ إن أمر الدنيا مهما عظم فهو يسير، لأن الحياة فيها مؤقتة، لكن الحقيقة التي لا مراء فيها، أن وراء هذه الحياة الأليمة الحاضرة، حياة أخرى دائمة أشد إيلاماً وأكثر عذاباً، مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٦].

إن هذه المعاناة التي يعيشها كثير من الناس، إن هي إلا صفارة إنذار تنبه الغافل عن الحق؛ لأن يثوب إلى رشده ويعود إلى جادة الشرع الإلهي المسعد، وفي الطرف الآخر حيث شَرْع الله وآداب الإسلام؛ يتعلم الزوجان سعة الصدر والصفح والمسامحة والإغضاء عن الهفوات، فإذا لمس أحدهما من صاحبه تقصيراً غير متعمد في واجباته ـ لا سيما إذا كان بسبب ظروف قاهرة ـ تجده قد صبر وسامح وتنازل عن حقه، وبذا يغلق الباب في وجه الخصومات والمنازعات، ويفسح المجال واسعاً لتعايش قائم على الوفاق والألفة والتعاون والوفاء، لا على الشقاق والنفرة والتعسف والخيانة.

إن أسرة تقوم علاقات الزوجين فيها على هذا النحو، هي أسرة جديرة بأن تظللها السعادة الدائمة، وأن تكون مرتعاً خصباً لتربية الأولاد على الفضائل والمكارم، وبذا تكون قد أدت رسالتها وحققت الهدف الأسمى من إنشائها، ألا وهو إمداد المجتمع بأفراد صالحين، وإعدادهم لتحمل المسؤولية، وليكونوا خلفاً صالحاً يرثون منهج أسلافهم الصالحين، وبذلك تدور رحى الحياة البشرية في الاتجاه الصحيح، وتسير قافلة الحياة على الطريق الآمن السوي، لتصل بعد أن تقطع المسافة المحددة إلى السعادة الأبدية.

ثانياً: الأساس الصالح لاختيار كل من الزوجين صاحبه:

كثيرة هي الأمور التي تراعى عند اختيار أحد الزوجين لصاحبه، ولكل من هذه الأمور دوره في تحقيق مطلب من مطالب الزواج، وقد لخص النبي ﷺ هذه المطالب وردها إلى أربعة أمور فقال: (تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)[1]. ولا يخفى أن النبي ﷺ لم ينكر واحدة من هذه الأمور الثلاثة الأُوَل، فلكل منها دوره في

(١) رواه مسلم (١٤٦٦).

إسباغ الراحة النفسية على كل من الزوجين، لكنها لا تقدم ولا تؤخر في بعث الهمة والإرادة والتصميم على الوفاء بالحقوق التي لأحدهما على الآخر؛ بل ربما كانت عاملاً مثبطاً لهذه الناحية الأساسية في العلاقات الزوجية، فكثيراً ما يدفع التباين الجمالي بين الزوجين، وكذا التباين المادي أو الاختلاف في المستوى الاجتماعي، إلى التعالي من قِبَلِ من يرى أنه محظي بقسط أوفر من هذه الأمور؛ فتسوء العلاقة ويحدث الخصام والنفور.

إن العامل الأساسي الذي لا بد منه في الزوجين هو عامل الدين والالتزام بأحكام دستور الله الخالد، وسنة النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام، فهذا الالتزام هو الكفيل بإضفاء السعادة عليهما؛ لأنه سيطبع المواقف والأقوال والأفعال بطابع الحق؛ والحق هو مطلب كل مؤمن صحيح الإيمان.

إن كلًّا من المال والجمال والمستوى الاجتماعي مُعرَّض للتبدل والتغير، فكم انقلب الجمال قبحاً إن لم تزينه الفضائل، وكم حل الفقر مكان الغنى، والضعة الاجتماعية مكان الرفعة، وبقي لهذا الإنسان الخلق الذميم والسلوك المنفر؛ لكن الإيمان والتدين يزدادان يوماً بعد يوم، والخلق الكريم المحبب يثلج صدر الزوجين بالراحة النفسية والاطمئنان والتمتع بالحقوق التي يقدمها من عليه هذه الواجبات، رضية بها نفسه، ورغبة في إرضاء الله تعالى، وقد أكد النبي ﷺ على هذا المعنى عندما أمر أولياء المرأة باختيار الرجل المتدين الخلوق فقال ﷺ: (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[1].

ثالثاً: أساس التعامل بين الزوجين في الإسلام:

القاعدة الأساسية التي ينبغي أن تنطلق منها العلاقات بين الزوجين هي

---

(١) قال العراقي في تخريج الإحياء: أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة، ونقل عن البخاري أنه لم يعده محفوظاً، وقال أبو داود: إنه خطأ، ورواه الترمذي أيضاً، من حديث أبي حاتم المزني، وحسنه ورواه أبو داود في المراسيل وأعله ابن القطان بإرساله وضعف رواته. وقال الألباني: (حسن). انظر: غاية المرام حديث (٢١٩).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فلكل منهما حقوق، وعليه واجبات، وينبغي أن يؤدي واجباته فلا يفرط فيها، ولا يطلب زيادة على حقوقه متجاوزاً حدوده.

أما الدرجة التي للرجال على النساء فهي درجة الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها وإغضاؤه لها عنه، وأداء كل الواجب لها عليه[1]، وليست درجة تشريف أو تمييز بين حقوقه وحقوقها، وهذه الدرجة هي التي أهّلت الزوج لأن يخاطب بأمر الله ويستودع أمانته سبحانه حيث أمر الرجل قائلاً: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ..﴾ [النساء: ١٩] والمعروف هو كل ما عرف حسنه ونفعه، ونقيضه المنكر وهو كل ما استنكر إثمه وضرره.

إن المعاشرة بالمعروف تدخل في كل تصرف وكل كلمة تدور بين الزوجين إلا أن أظهر مظاهرها ما يلي:

١ ـ تأمين جميع حوائجها العاطفية والروحية والمادية، من طعام وشراب وكساء ومأوى ودواء وغير ذلك في حدود طاقته ووسعه، على أن لا تقل عن حد الكفاية، قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ..﴾ [البقرة: ٢٣٦] وقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧].

٢ ـ إحسان القول والمعاملة وعدم الإساءة إليها بأي شكل من أشكال الإساءة.

٣ ـ الحفاظ على دينها وشرفها وعدم تعريضها للفتنة والانحراف.

٤ ـ حثها على حضور مجالس العلم والإيمان لتغذية عقلها بالعلم وقلبها بنور الإيمان.

٥ ـ حثها على أداء فرائض الله واجتناب محارمه.

٦ ـ عدم تكليفها من الأعمال ما لا تطيق ومساعدتها إذا لزم الأمر.

---

(١) انظر: جامع البيان للطبري (٣٧٧٣).

٧ - التوسعة في الإنفاق عليها وعلى سائر أهل بيته، لا سيما في مناسبات الأفراح والأعياد ضمن حدود الشرع وحدود طاقته.

٨ - الحفاظ على مالها وممتلكاتها وعدم التدخل في شؤون ذلك إلا بإذن منها.

رابعاً: علاج الشرع للخلافات الزوجية:

إن أسرة تسير في حياتها وسلوكها وفقاً لمنهج الله هي أسرة سعيدة مهما قَلَّت ذات يدها، وهي أبعد ما تكون عن الخلاف بين الزوجين، ولكن الالتزام المطلق بكل هذا المنهج، ربما لا يتيسر في بعض الأسر أو لدى بعض الأشخاص في بعض الظروف والأحوال، فإذا نشأ الخلاف بينهما فإن الإسلام وضع منهجاً محدداً واضحاً، إذا ما طبقه الزوجان على هذا الخلاف تلاشى بإذن الله وزال أثره، وعادت الحياة الزوجية بينهما إلى سابق عهدها من الوفاق والألفة، وفي هذه الحالة إما أن يكون المشتكي هو الزوج أو الزوجة؛ فإذا اشتكت الزوجة تغيُّراً في علاقتها مع زوجها، فإن الإسلام يأمرها أن تحاول إصلاح ما بينها وبينه بحكمتها وحسن تصرفها، قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ . . .﴾ [النساء: ١٢٨]. وأما إذا أحس الرجل من زوجته تغيراً في السلوك والمعاملة والخلق، مما جعله ينفر منها ويشعر تجاهها بمشاعر الكراهية، فإن كتاب الله يأمره أن يستر ذلك فلا يشيعه، وفي الوقت نفسه يشككه في هذه المشاعر ويصرف نظره إلى ما يرتضيه منها، ويبين له أنه لا يدري ما ادخر الله له من الخير عندها، ويوجه نظره إلى لزوم المعاشرة بالمعروف حتى ولو كره منها بعض المواقف، قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] فعلى الزوج أن ينزع من نفسه مشاعر الكراهية ويستبدلها بمشاعر المودة والتقدير للفضائل التي تتحلى بها والمحاسن التي تزينها.

وها هو النبي ﷺ يوجه الأنظار إلى حقيقة ربما غابت عن كثير من الناس، وهي أن الكمال المطلق لله وحده، ولن يبلغ البشر درجة الكمال المطلق. فإذا رأى الزوج من زوجته أمراً لا يسر، فلا يجوز أن يغيب عن باله الأخلاق الكريمة الأخرى، والمزايا الفاضلة المتعددة التي تتحلى بها، فإذا ساءه شيء سرته أشياء، ولا يجوز أن يحمله ما يسوؤه منها وهو قليل، على الكراهية والبغض، قال النبي ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)[1].

كل هذا والرجل يكتم عن زوجته ما في نفسه ولا يبوح لها بشيء، فإذا تأكد من أن الإساءة مقصودة، وأن التفريط في حقوقه ليس هفوة ولا خطأ عارضاً، فعليه أن يلجأ إلى قول الله تعالى: ﴿.. وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٤ ـ ٣٥].

إن الدارس لهذا النص القرآني لا يخفى عليه أنه قد بين ما ينبغي فعله على الرجل الذي لمس الإساءة المتكررة من زوجته، فعليه أن يصارحها بإساءتها بأسلوب لائق محفوف بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبين لها ما يترتب على ذلك من معصية الله وتحمل الذنوب والسيئات، والتي ستجني ـ إن أصرت عليها ـ ثمارها من غضب الله وعذابه ما لا يطاق، وأن هذه الحياة الدنيا مؤقتة زائلة، وأن طاعة زوجها أوجبها ربها سبحانه، فإن أدت حقه فازت بالجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا صلت المرأة خمسها وحصنت فرجها وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت)[2].

إن علاج الرجل لأي ظاهرة مرضية في علاقته مع زوجته، وبهذا

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

(٢) رواه ابن حبان وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٦٦٠) في صحيح الجامع.

الأسلوب اللطيف، بعيداً عن مداخلات الآخرين كفيل برأب الصدع وإعادة الوفاق بينهما، لا سيما إذا ظهر من خلال هذا الحوار الهادئ الهادف البناء، أن إساءة الزوجة كانت ردًّا على إساءة صدرت من الزوج عن غير قصد، فما أسرع عودة المؤمن عن خطئه إذا ظهر له ذلك الخطأ، وأما إذا أصرت الزوجة على باطلها، وحملها الغرور على الاستمرار في الإساءة، قد وجه القرآن الكريم الزوج إلى علاج آخر ألا وهو الهجر في الفراش.

والهجر في الفراش إجراء علاجي ذو تأثير نفسي كبير على المرأة، حيث تجد تبدل الحال من إقبال إلى إدبار ومن مودة إلى جفاء. وإن المرأة العاقلة التي ترى أن السعادة التي كانت تلف هذا البيت باتت مهددة بالزوال، وأن المشاعر الطيبة والعواطف النبيلة التي كانت تغمر علاقتها مع زوجها، قد اختفت وظهر مكانها ما يجرح العواطف ويبئس النفس، إن هذه الزوجة سرعان ما تتنازل عن موقفها وتهجر إساءتها وتعود إلى سابق عهدها وكريم خصالها المألوفة. فإذا فشل هذا العلاج السابق، وأصرت الزوجة على السير في الاتجاه الذي يرضي غرورها ويغضب زوجها وربها، فقد وضع الشرع الحكيم أمام الزوج أحد حلين لا ثالث لهما وهما، الضرب أو التحكيم:

أما الضرب فقد شرعه الله علاجاً لمشكلة، فإذا عرف الزوج مسبقاً مما يعلم من نفسية زوجته واستعدادها، أن ضربها لا يفيد في إصلاحها، بل قد يزيد النار ضراماً، فعليه أن لا يلجأ إليه؛ بل يتجاوزه إلى الخطوة التالية ألا وهي التحكيم.

ولا بد هنا من وقفة عند هذا العلاج، فقد ذكره القرآن الكريم في معرض ذكر وسائل إصلاح العلاقة بين الزوجين، فإذا علمنا أنه سيزيد الخلاف شدة ويباعد ما بين الزوجين أكثر فأكثر، فإن الضرب والحالة هذه لا يكون مشروعاً.

وحتى في الحالة التي يجدي فيها الضرب، فإنه لم يشرع للانتقام، ولا ليروي الزوج المفجوع في علاقته مع زوجته غليله، في مخلوق جعله الله تحت إمرته.

إن الضرب المشروع أقرب إلى الإيلام النفسي منه إلى التعذيب الجسدي، فاشترط فيه أن لا يترك أثراً على المرأة وأن لا يضرب الوجه ولا يعنف، وقد مثل الفقهاء فقالوا: كأن يضربها بطرف ثوبه أو بشيء لا يؤذي ولا يؤلم ألماً مبرحاً.

يذكر بعض المحدثين أن وفداً من النساء أتى إلى رسول الله ﷺ بعد نزول آية الضرب كل واحدة منهن تشتكي ضرب زوجها لها، فوجه النبي ﷺ كلامه إلى أولئك الأزواج وأمثالهم، والذين لم يعرفوا حدود ما أباحته الآية، فعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تضربوا إماء الله) فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن النساء ـ أي تجرأن ـ على أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ: (لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم)(١).

وواضح من الحديث أن الضرب لم يبح إلا لامرأة تجرأت على زوجها وتطاولت عليه، ومع ذلك فإن النبي ﷺ عد الذين يضربون زوجاتهم ليسوا من خيارنا. ولم يكتف النبي ﷺ بالقول إنما أتبع ذلك بالعمل، فهو خير من فقه كتاب الله، فعلمَه وطبَّقه وعلَّمه، ولم يثبت أنه ضرب امرأة قط وعلى ضوء هذه الحقائق ينبغي أن يفهم الرجال قضية ضرب الزوجات.

وإذا لجأ الزوج إلى هذا العلاج فلم يجد في عودة الزوجة إلى جادة الحق، وكذا الأمر إذا تجاوزه أصلاً فلم يلجأ إليه، وهو ما رغب به النبي ﷺ بقوله وفعله، عندها ينبغي على الزوج ـ وفي هذا الوقت وليس قبله ـ أن يسمح بتسرب خبر خلافه مع زوجته خارج نطاق بيت الزوجية، أما قبل ذلك فيجب أن يكون الخلاف بينهما محصوراً بين جدران البيت بعيداً عن مداخلات غيرهما، والذين قد يؤثرون فيه تأثيراً سلبيًّا فيزيدون المشكلة تعقيداً. فإذا بلغت

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٦) بإسناد صحيح.

هذا الحد، ولم يفلح الزوج في محاصرة المشكلة ومعالجتها، فقد أمر الإسلام بأن يتولى العلاج شخصان حكيمان خبيران، أحدهما من طرف الزوج، والآخر من طرف الزوجة، حيث توضع أمامهما المشكلة بكل حيثياتها وأبعادها، ويحاولان الوصول إلى حل لها، فإن وجدا إمكانية لإعادة الوفاق والتفاهم بين الزوجين، فهذا بيت القصيد، وإن وجدا أن الخلاف عميق ولا يمكن إزالة أسبابه، أوصيا بالطلاق؛ لأنه لا يمكن أن تستمر الحياة الزوجية في ظلال الخصام والتناحر والنزاع؛ لأن مثل هذه العلاقة لن تحقق أهداف الشرع من وجودها، والأولى الفصل بين هذين الزوجين، فلعل المرأة تجد رجلاً غيره تستطيع أن تتعاون معه على تحقيق مقاصد الزواج، ولعل الزوج يجد زوجة تتعاون معه، وبذلك يكون الطلاق خيراً على الطرفين وعلى المجتمع.

خامساً: منهج الإسلام في الطلاق:

أقر الشارع الحكيم مبدأ الطلاق بعد أن أحاطه بقيود صارمة، حفاظاً على الأسرة من إساءة استعماله، وصيانة لحقوق المرأة والأولاد من عبث العابثين من الرجال واستهتارهم، وأباح الله تعالى اللجوء إليه بعد استنفاذ فرص المصالحة كافة، وانقطاع الأمل من عودة المياه إلى مجاريها بين الزوجين، وعدم جدوى جميع الحلول العلاجية التي وضعها للعودة بالزوجين إلى الوفاق والحب والتفاهم، ولم يترك الله تعالى المتفارقين يغرقان في صراعات نفسية داخلية؛ بل واسى الأنفس المكلومة وأمدها بشحنة من الأمل في قوله سبحانه: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء: ١٣٠].

فإذا وصلت العلاقات بين الزوجين إلى طريق مسدود، وأصبح الطلاق هو العلاج الوحيد للخروج من هذا المأزق العسير، فإن القرآن الكريم يخاطب هذا الرجل من خلال خطابه للرسول ﷺ قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق: ١] أي إذا عزمتم على طلاق

النساء فطلقوهن لوقت عدتهن، وهذا يعني أن الزوج الذي سلك المنهج الذي حدده الإسلام للقضاء على الخلاف بين الزوجين، إذا وصل إلى هذا الحد فعليه أن يطلق إن أراد الطلاق طلقة واحدة، في طهر لم يمسها فيه، وهذا معنى لعدتهن، ولا يخفى أن الشرع الحنيف وضع في وجه الطلاق عقبة صعبة الاجتياز؛ فحيث تكون المرأة مطلب الرجل ومبتغاه بعد امتناع عن المعاشرة الزوجية طول مدة الدورة الشهرية، ههنا يوقفه الشرع وقبل أن يقضي منها أربه ويقول له: إن شئت أصبت منها مطلبك، وعندها يمتنع عليك الطلاق إلى ما بعد دورة شهرية قادمة، وإن شئت آثرت الطلاق، وعليه فالرجل المسلم حق الإسلام لا يقدم على الطلاق إلا بعد يأسه من زوال أسبابه.

ولا يخفى أن توجيه الخطاب إلى الأمة الإسلامية من خلال الرسول ﷺ أدعى إلى جلب الانتباه إلى هذا الحكم، والعناية به والالتزام بمضمونه من قبل الأمة.

أما ما يجري بين الناس من عدم الالتزام بهذا المنهج جملة وتفصيلاً، لا من حيث المراحل ولا من حيث الزمان ولا من حيث العدد، فهو ناتج عن ضعف الإيمان في نفوسهم، وهو في الوقت نفسه خروج عن مقتضى هذا المنهج وبُعْد عن هدي الله ﷻ، وقد حدثت بعض الظواهر المرضية في هذا الشأن بين المسلمين في حياة رسول الله ﷺ حيث طلق عبد الله بن عمر زوجته وهي حائض، فأمره النبي ﷺ بمراجعتها وإمساكها حتى تطهر، ثم تحيض ثانية، ثم تطهر، وعندها إن شاء طلق قبل أن يمسها، وإن شاء أمسكها بالمعروف. كما أنه حدثت حادثة أخرى وهي: (أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً دفعة واحدة، فقام النبي ﷺ خطيباً بالمسلمين وهو مغضب أشد الغضب لدرجة أن غدا وجهه ورديًا أحمر من شدة تأثره، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم)[1]؟!.

---

(١) أخرجه النسائي عن محمود بن لبيد، وقال الحافظ في بلوغ المرام: رواته موثقون، وقد صححه الألباني، انظر: غاية المرام حديث رقم (٢٦١).

ومع الإذن بالطلاق، ضمن هذه الشروط التي قل أن ينتهي الأمر بمن يراعيها إلى الطلاق، وعلى الرغم من ذلك كله، لم يقطع الشرع الحنيف الأمل من عودة الوفاق بين الزوجين، فجاءت التشريعات لتثمر عودة الزوجين إلى الوفاق بعد الطلاق، وفي غالب الأحيان، حيث سمح بالطلاق ليكون تجربة يعيش فيها الزوجان، وخلال مدة العدة، وهي ثلاث دورات للعادة الشهرية؛ يعيشان حالة الفراق وهما قريبان من بعضهما في بيت الزوجية، كي ينظر كل منهما إلى ما يترتب على الفراق من آثار، فإذا وجد أن العودة إلى الوفاق أفضل كان بوسعهما الرجوع إليه فوراً، ولا يمنع منه أي مانع؛ بل إن التشريعات مهدت الطريق وهيأت الظروف لذلك.

فها هو ذا كتاب الله قد جعل الطلاق ثلاث مرات اثنتان رجعيتان والثالثة بائنة فقال تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ..﴾ إلى أن يقول سبحانه: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ..﴾ [البقرة: ٢٢٩ ـ ٢٣٠].

إن الطلاق الرجعي يعني أن الزوج المطلق يملك على زوجته المطلقة حق إرجاعها إلى عصمته وعقد نكاحه ضمن مدة العدة متى شاء، دون قيد ولا شرط، ولا يحول بينه وبين استخدام هذا الحق أحد؛ بل إن شرع الله الخالد، أمر الزوجة المطلقة هذه، أن تبقى طيلة مدة العدة في دار الزوج، حتى إذا غيرت موقفها أو غيَّر موقفه في أي وقت من ليل أو نهار تجد زوجها قريباً منها، ويجد زوجته قريبة منه، بعيداً عن مداخلات الأهل والأصدقاء وغيرهم من الفضوليين، وأكثر من ذلك فقد سمح للزوجة هذه، بأن تتصرف على نحو يشعر زوجها بوجودها وأنها مهيأة له كي يراجعها ويعود إلى سابق عهده معها، ولم يأذن بخروجها من دار الزوج، كما لم يأذن بإخراجها من قبل الزوج إلا إذا ارتكبت الفاحشة كما مر معنا قوله تعالى: ﴿.. لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾.

وما كان هذا الحكم إلا مراعاة لهذه الناحية الإيجابية، وليكون العامل

المساعد على اغتنام أي فرصة تسنح خلال مدة العدة لإعادة المياه إلى مجاريها، ولو كانت المطلقة بعيدة أو خاضعة لسيطرة الأهل، لفاتت هذه الفرصة، لذا نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية الهامة والنتيجة السارة، كما مر معنا في قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.

وأما ما نراه في المجتمعات الإسلامية اليوم، من مخالفات لهذه القواعد والأسس الواضحة، فما هو إلا فسق عن أحكام الشرع وصراطه المستقيم، وإن ما تعاني منه الأسر الكثيرة من المعضلات العائلية، ليس إلا نتاجاً خبيثاً، لهذا الفسق والانحراف والبعد عن الظلال الظليلة التي يوفرها شرع الله تعالى ودينه القويم.

فإذا أصر الزوج على الطلاق على الرغم من جميع ما تقدم من الظروف والعوامل المساعدة على العودة إلى التفاهم، وانتهت العدة دون أن يراجع زوجته، تحول الطلاق الرجعي إلى طلاق بائن، وتسمى هذه بالبينونة الصغرى إن كان الطلاق في المرة الأولى أو في المرة الثانية، وقد بين كتاب الله تعالى هذه الحالة وأحكامها إذا ما أوشكت العدة على الانتهاء، فخاطب الرجل قائلاً له: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

ولا يخفى أن الحق ﷻ، قدم في الذكر الإمساك ترغيباً للزوج فيه، وأخر المفارقة تنفيراً له منها، كما أمر بالإشهاد على الأمر الذي اختاره، وأن يكون الشهود عدولاً أخياراً؛ لأن الزوج واقف على مفترق طرق، فإذا ولج في أحدها كان الشهود مثبتين لذلك المسلك. ثم إن كتاب الله بيّن أن هذه الأحكام والتشريعات يلتزم بها الذين ملأ الإيمان قلوبهم، فوجدوا في امتثال أمر الله ضالتهم المنشودة، وقد وعد الله من يطيع أمره ويجتنب نهيه بأن يجعل له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، وأن يرزقه الرزق الذي يرضيه من حيث

لا يتوقع ولا يخطر له على بال، وهذا شأن كل متوكل على الله معتمد عليه، فالله تعالى يكفيه مؤونة الصعاب التي تلاقيه، ولا يستطيع أحد أن يحول دون ذلك، فهو سبحانه بالغ أمره الذي يريد فلا يفوته منه شيء، لكن حصول ذلك مرهون بحلول الزمن الذي قدر الله حصوله فيه، في الوقت والمقدار والشكل المحدد. فإذا اختار الزوج المفارقة، وأصر عليها، وآن أوانها بانقضاء العدة، ملكت المرأة أمر نفسها، وأصبح موضوع الرجعة إلى زوجها أكثر صعوبة، حيث يحتاج إلى عقد جديد ومهر جديد، وبالتالي يحتاج إلى موافقة الزوجة، فإن لم يكن لها رغبة في العودة فلا يملك أحد أن يجبرها. ولا يخفى أن سماح الشرع بعودة الحياة الزوجية في مثل هذه الحال، يعد عاملاً إيجابيًّا في التقليل من وقوع الطلاق أو الاستمرار فيه.

فإذا تراجع الزوجان قبل انقضاء العدة، أو عقد بينهما عقد الزواج من جديد بعد انقضاء العدة، وعادا إلى الحياة الزوجية من جديد، فإن أوامر الشرع وأحكامه وآدابه التي أمر أن تحكم العلاقة بين الزوجين، ينبغي الالتزام بها من قبلهما ثانية، فإذا تجدد الخلاف بينهما مرة أخرى بعد حين، فإن المنهج الذي طبق في الخلاف السابق، ينبغي تطبيقه، فإذا فشلت مراحل العلاج كلها وآل الأمر إلى الطلاق؛ طبق المنهج الذي أوصى به الشرع كما طبق أول مرة وهكذا. فإذا آل الأمر بهما إلى الحياة الزوجية من جديد، سواء كانت بالرجعة، إن حصلت من الزوج قبل انقضاء العدة، أم تمت بموجب عقد جديد ومهر جديد، فإن أوامر الشرع وآدابه يجب أن تراعى للمرة الثالثة في هذه الحياة الزوجية الجديدة.

فإذا نشأ الخلاف للمرة الثالثة، كان للشرع رأي آخر وحكم مختلف، حيث يوقف الرجل ليقول له: اعلم أن إيقاع الطلقة الثالثة سوف يفصل بينك وبين زوجتك نهائيًّا؛ فإذا حصل الفراق، وقدر لها زواج آخر، حيث رضي بها زوجها الجديد ورضيت به، فقد خسرتها ولن تعود إليك مرة أخرى، فإن طلقها الثاني وبت طلاقها، أو مات عنها وانقضت عدتها في الحالتين، أبيح لها ولزوجها الأول العودة إلى الحياة الزوجية بعقد جديد ومهر جديد، قال تعالى:

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ ..﴾ [البقرة: ٢٣٠].

إن هذا الحكم ولا شك سوف يهز الرجل هزًّا عنيفاً، فلا يوقع الطلقة الثالثة وفي نفسه أي ميل نحو زوجته أو رغبة فيها أو حاجة إليها، فإذا كان فيه شيء من ذلك فلا يوقع الطلقة الأخيرة؛ لأنه يعلم أن وراءها ما وراءها، إذ إن اشتراط زواجها الثاني قبل أن تحل له مرة أخرى ليس بالأمر اليسير، فلا تتقبله النفوس الكريمة ولا أصحاب المروءة من الرجال، وبذلك يضمن الشرع الحنيف عدم وقوع هذه الطلقة المفرقة نهائيًّا؛ ما دام هناك أي بصيص أمل في الاستمرار بينهما.

ولا يخفى أن للشرع حكمة بالغة في عدم السماح لهما بالزواج مرة رابعة، حيث إن أمراً جرب ثلاث مرات وكانت نتيجته فاشلة في كل مرة، فلا فائدة ترجى من تجربة جديدة في ظل الظروف نفسها والمفاهيم ذاتها، وإن زواج هذه المرأة من زوج غيره، يكشف لها عن محاسن الزوج الأول أو مساوئه، فإذا قدر لها أن تنتهي علاقتها بالزوج الثاني ورغبت في زوجها الأول ورغب بها، عادا بمفاهيم مختلفة وأفكار مغايرة، ويوشك أن يؤدم بينهما، وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة: ٢٣٠].

أما ما يفعله بعض الناس من الاتفاق مع رجل لا رغبة له في الزواج من امرأة بمثل حال هذه المرأة، ويتم الزواج محدداً بزمن معين كيوم أو يومين أو غير ذلك، ثم يطلقها، وبذلك يحصل الشكل الذي نص عليه الشرع دون المضمون؛ فإن مثل هذا العمل حرام على الطرفين قطعاً؛ لأنه يفوت على الشرع هدفه من هذا التشريع، ألا وهو ردع الأزواج المستهترين عن إيقاع الطلقة الثالثة، والإبقاء على الحياة الزوجية، ودعوة للزوجين إلى تجاوز الخلافات بينهما لصالح الأسرة والأولاد، وحث للمرأة التي لا غنى لها عن زوجها ولا عن بيتها وأولادها، على أن تتجاوز عن بعض مطالبها لصالح الوفاق.

إن عملية التواطؤ هذه ليست مشروعة ولا يقرها شرع ولا كرامة ولا عقل رشيد، ولا تميل إليها المرأة العفيفة الطاهرة الكريمة، فلا تقع إلا من أناس جاهلين تخلوا عن القيم السامية التي يتحلى بها المسلم والمسلمة، ولهذا نجد الرسول الكريم ﷺ استنكر هذا الصنيع أشد الاستنكار، ولعن من يفعله ومن يفعل من أجله، وشبه ذلك بمن يستعير تيس جاره لينزو على ماشيته، وساء مَثَلُ القوم الذين يشوهون شرع الله بهذه الحيل المخزية. فعن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بالتيس المستعار. قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل، لعن الله المحلل والمحلل له)[1]. والمحلل هو الذي يتزوج أمثال هؤلاء النسوة بغية تحليلهن لأزواجهن، ولا غاية له سوى ذلك.

وبعد أن ارتسمت في أذهاننا صورة الطلاق في الإسلام، نستطيع أن نقول: إن دين الإسلام هو دين كل زمان وكل مكان، فقد أوجد حلولاً واقعية مثالية للمشاكل التي تظهر في ساحة الحياة الزوجية، وحث على الحلم وضبط النفس، ولكنه في النهاية يترك صمام الأمان مفتوحاً تجنباً لحدوث الانفجار وتكون واقع يجرح المجتمع جروحاً لا تندمل، ويشكِّل ضغوطاً تفوق احتمال الإنسان سواء كان الزوج أو الزوجة.

إن أسباب حدوث الخلافات الزوجية عديدة ولا تكاد تحصى، ولو حاولنا التعمق في دراستها لوجدنا من الأهمية بمكان الوقوف عند بعضها وتحليلها.

ومن هذه الأسباب:

١ ـ عدم الدقة في اختيار كل من الزوجين للآخر منذ البداية، فبعضهم يكتفي بمشورة الأهل، وبعضهم يكتفي بحسن المظهر والشكل الجميل، ناسياً أو متناسياً أن الذي سيعيش معه هو الخلق الجميل، والطبع الحسن

(١) رواه ابن ماجه (١٩٣٦)، وقال الألباني: (حسن). انظر: حديث رقم (٢٥٩٦) من صحيح الجامع.

إضافة إلى الشكل، وقد أباح الشارع الحكيم للخاطِبَيْن الرؤية الشرعية فعن أبي حميد قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم)(١).

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ خطب امرأة ليتزوجها، فقال له النبي ﷺ: (أنظرت إليها؟) قلت: لا. قال: (فانظر إليها فإنه أجدر أن يؤدم بينكما)(٢).

٢ ـ محاولة الأهل التدخل في الحياة الشخصية للزوجين، والعمل على فرض السيطرة والغلبة منذ البداية.

٣ ـ الفوارق الثقافية بين الزوجين، وخاصة جهلهما أو جهل أحدهما بأحكام الشريعة المطهرة، والابتعاد عن مجالس العلم والتربية الأخلاقية.

٤ ـ عدم إخضاع كلا الزوجين لدورات تربوية تشرح أهداف الزواج، وكيفية بناء عش الحياة الزوجية المثلى، ومراعاة كل منهما حقوق الطرف الآخر، وإدخال السرور إلى قلبه وإراحته نفسيًّا وحسيًّا؛ وكيفية خلق الجو المناسب لإرواء غرائزهما لدرجة الإشباع لكل منهما.

٥ ـ عدم تأهيل الأبوين بالعلم والخبرة، ليتمكنا من تربية أولادهما التربية الصالحة.

٦ ـ وجود طبائع سيئة متأصلة عند أي منهما، كالبخل والتعصب الشديد والغيرة الشديدة والتشبث بالرأي، مما لا يدع مجالاً للتقارب والتواد وحسن الانسجام.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، وقال السيوطي في الجامع الصغير ح (٥٧٨): (حسن). وقال الألباني: (صحيح). انظر: السلسلة الصحيحة حديث رقم (٩٧).

(٢) رواه الترمذي (١٠٩٣)، وابن ماجه (١٨٦٥)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: غاية المرام حديث (٢١٢).

٧ - إهمال كل من الزوجين أو أحدهما لمقتضيات النظافة والزينة، وحسن المظهر، وحسن التجمل لصاحبه، وعدم ارتداء الملابس المناسبة لكل زمان ومكان.

٨ - عدم خبرة الزوجة في أصول تدبير المنزل، وعدم إتقانها لطهو الطعام ضمن الأطر الصحية، مع التوفير وعدم التبذير.

إن أحد هذه الأسباب أو غيرها قد يكون كافياً لإشاعة جو من البغضاء بين الزوجين، وهنا يتدخل الشارع الحكيم ليضع حدًّا لهذا النزاع المستمر، ولا يترك الأهواء والرغبات المنحرفة تهدم صرح الأسرة وتزيل السعادة الزوجية، وقد وجدنا كيف أمر بتدخل أهل الخبرة والحكمة، من أقارب الطرفين، لدراسة أسباب النزاع، ومحاولة تقريب وجهات النظر وإسداء النصح والمشورة الطيبة، أملاً في زوال عواصف الكراهية والحقد والأنانية، وجلاء النفس وتطهيرها لمتابعة رحلة الحياة الزوجية بالحب والتفاهم والوئام.

وفي حال العجز عن الوصول إلى هذه النتيجة فلا مصلحة لأحد في بقاء هذه الأسرة، التي عطل سوء التفاهم بين قطبيها مقاصد الزواج وأهدافه، فغدا جوها جحيماً لا يطاق، وأصبح الاستغناء عن اجتماع عناصر هذه اللبنة خيراً من بقائه.

إن مما لا يخفى على كل ذي بصيرة وإنصاف، أن اللجوء إلى الطلاق وفقاً لقواعد الإسلام ومنهجه، هو خير علاج؛ لأن بقاء الزوجين على ما بينهما من الكراهية والبغضاء والنفور، ربما أدى بهما أو بأحدهما إلى الانحراف والسير في طريق الرذيلة والصلات المحرمة، بل ربما أدى بأحدهما إلى ارتكاب جريمة القتل أو جريمة الانتحار، مما يترتب عليه أفدح الأخطار بالنسبة للزوجين اللذين قد يتعرض المنحرف منهما للإصابة بالأمراض الجنسية الفتاكة، وبالنسبة للأولاد، حيث تفسد تربيتهم بسبب الإهمال والقدوة السيئة التي يرونها في الشِّجار الدائم والخصام المحتدم بين الوالدين.

إن عدم الطلاق في مثل هذه الحالات يعرض المجتمع أيضاً لأشد

الأخطار حيث تكون لبنات بنائه لبنات هشة، قائمة على التنازع والتنافر لا على الألفة والمحبة والتعاون، وفي الوقت نفسه لا أمل له بروافد كريمة من مثل هذه الأسر، بل إن سوء التربية لهذه الروافد من البنين والبنات، هو المتوقع، وفي هذا ما فيه من الخسارة العظمى والطامة الكبرى للأمة.

إن نظرة واحدة إلى المجتمعات التي منعت الطلاق تكفي للبرهنة على واقعية هذا الكلام، فقد تفككت فيها رابطة الأسرة ولا شيء يجمع بين أفرادها، وإن منع الطلاق يساهم بدور فعال في هذه النتيجة، وكم من حادثة انتحار في تلك المجتمعات وقعت وتقع والسبب المباشر أو الأهم فيها هو عدم الإذن بالطلاق. إن كل ما تقدم يدعو جميع الأمم والشعوب إلى الاعتصام بحبل الله المتين، والعودة إلى حكم الفطرة، وهو ما تقضي به شريعة الإسلام، وقد أقر بذلك كبار علماء الاجتماع في العالم وعلى مر العصور والأزمان.

* * *

المبحث الثالث

خصائص العلاقة داخل الأسرة المسلمة

الأسرة في النظام الإسلامي تتميز بعدة مميزات وخصائص تساعد على قيامها بدورها المطلوب، ومما يؤكد ذلك وجود خصائص عامة مشتركة بين الرجل والمرأة، وأيضاً وجود فروقات أصلية، هيأت كلًّا منهما إلى الوظيفة التي يَسَّره الله تعالى للقيام بها، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: (إن النساء شقائق الرجال)[1] وهذا القول من الرسول الكريم ﷺ يعلن بوضوح أن المرأة والرجل يشتركان في الحقوق والواجبات التي تشتمل عليها الأحكام الإسلامية ما لم ينص نص على تخصيص أحدهما بحكم معين، ويقول ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، لذا لا بد من معرفة الخصائص للأسرة المسلمة، فَمَنْ فَهِمَ الخصائص ستبرز المطالب الأساسية لمعالجة المشاكل التي يجب أن نتصدى لها، ومن هذه الخصائص:

أ ـ التماسك الأسري:

الأسرة مجموعة من الأفراد يرتبطون فيما بينهم برابطة الدم، ويقيمون كذلك في وسط يشتركون فيه بكثير من مستلزمات العيش والبقاء، فإن كانت هذه الرابطة متينة، رصينة، صالحة كان المجتمع فاعلاً، قادراً على مواجهة ظروف الحياة وضغوطها، والعكس صحيح أيضاً، فإن كانت مفككة متصارعة كان المجتمع ضعيفاً غير متجانس.

---

(١) رواه أبو داود (٢٣٦)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٢٣٣٣) في صحيح الجامع.

ب ـ التكافل:

تمر الأسرة بظروف معيشية متعددة، ومواقف حياتية مختلفة، تحتاج خلالها ـ وفي أحيان ليست قليلة ـ إلى وقوف أفراد الأسرة مع بعضهم البعض للتعامل مع المواقف، ولتجاوز آثارها، فالوقوف مع الأب مثلاً، والمساهمة في دعم جهوده لتحسين وضع الأسرة اقتصاديًا يعني تكافلاً عائليًا وبمستوى يؤكد قدراً معقولاً من التماسك، ومساعدة الأخ لأخيه الأصغر ماديًا لإكمال دراسته، أو لإتمام زواجه يعني تكافلاً يؤكد مستوى مقبولاً من التماسك، واشتراك جميع أفراد الأسرة ومساهمتهم في تشييد دار الأسرة تكافل يؤكد قدراً من التماسك.

وفي الجانب الثاني فإن ترك الأب المسن والأم العجوز في دار المسنين بخلاف رغبتهم يعبر عن انعدام التكافل الذي يؤكد ضعفاً في التماسك، وهكذا.

ج ـ المسؤولية:

للأب في الأسرة المسلمة مسؤولية تجاه أفراد عائلته سواء في مجال التربية القويمة، أو في مجال توفير العيش اللائق، وكذلك للأم مسؤوليتها في التربية ودعم الأب، ولباقي أفراد الأسرة مسؤولياتهم في بعض الجوانب، ولهؤلاء جميعاً أدوار تبعاً لمسؤولياتهم تلك، يقومون بتأديتها ضمن الأسرة الواحدة، وعلى أساس الالتزام بالمسؤولية وتنفيذ الأدوار يمكن أن يكون التماسك قويًا أو ضعيفاً، وبمعنى أدق كلما تحمل أفراد الأسرة مسؤولياتهم بشكل صحيح كان التماسك جيداً، وكلما أدوا أدوارهم من خلال الأسرة بشكل واضح ومضبوط كان التماسك متيناً.

وفي الجانب المقابل، كلما تنصل الأب من مسؤوليته لتوفير العيش المناسب لأفراد عائلته كان التجانس ضعيفاً، وكلما ابتعدت الأم عن دورها كربة بيت وكقدوة لبناتها كان التماسك هشًا.

د ـ التمثل القيمي:

لكل مجتمع قيمه التي تشكل ضوابط السلوك الفردي والجماعي لأبناء ذلك المجتمع، وللأسر أيضاً قيمها التي تستمدها من مجتمعها الأصلي، ومن تعاليم دينها، وسنن نبيها، ومنها على سبيل المثال: طاعة الوالدين، واحترام الأخ الأكبر والعطف على الأخ الأصغر، وهكذا.

وفيها أيضاً ينفذ أمر الأب، ويسمع قول الأم قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفيها كذلك نهي عن التجاوز على الأب السلطة الأعلى في الأسرة، وغيرها من قيم إذا ما تمثلها أفراد الأسرة في سلوكهم أثناء التعامل مع بعضهم البعض سيكون التماسك فيما بينهم جيداً، وإذا ما ابتعدوا عنها وآمن كل منهم بمفاهيم على النقيض منها سيكون عندها التماسك بأقل المستويات.

هـ ـ وحدة الخصائص:

بالإضافة إلى القيم والمفاهيم السابقة هناك عادات وخصائص تميز المجتمعات، وتنتشر بين الأسر لها صلة مباشرة بموضوع التماسك، فالأب الذي اعتاد تأدية الفرائض الدينية بشكل صحيح، واعتاد معه الأبناء السير بنفس النهج تكون أسرتهم متماسكة، أو أكثر تماسكاً بالمقارنة مع أسر أخرى تمتاز باعتياد الأب وحده تأدية الفرائض دون الأبناء الذين يلتزمون بعادات أخرى على النقيض من عاداته، ووحدة الخصائص التي نقصدها هنا لا يقتصر تأثيرها على التماسك في جوانب العادات الإيجابية فقط، إذ إن الأسرة التي اعتاد معظم أفرادها أكل المال الحرام مثلاً، يمكن أن تكون متماسكة سلبيًّا، أي من زاوية التوحد على الفعل الحرام إذا ما توفرت مع هذه العادة شروط أخرى[1].

---

(١) د. سعد العبيدي، النبأ ٥٣، شوال ١٤٢١، بتصرف يسير.

و ـ أنها علاقات مجمعة:

فالإسلام دين يدعو إلى الجمع والتآلف، كما قال تعالى في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

ز ـ أنها علاقات إيجابية:

وذلك لأن الإسلام دين يدعو إلى التعاون والتواصل والإخاء والتودد، كما يدعو إلى التعارف والمودة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١].

ح ـ أنها علاقات مستمرة:

لأن عقد الزواج الإسلامي يتطلب أن يكون دون تحديد لمدة العلاقة الزوجية متوقعاً منه الدوام، فإذا نوى العاقد أو صرح بأن الزواج موقت بوقت لم ينعقد، وفي هذا نجد أن الإسلام تقدم علماء الاجتماع الحديث بأكثر من أربعة عشر قرناً، إذ يقرر علماء الاجتماع المعاصرون بأن العلاقة الأسرية الخالصة كعلاقة أولية غير محدودة المدة[1]. كذلك من أجل استمرارية العلاقة جعل الإسلام عقد الزواج ميثاقاً غليظاً لا يكون عرضة للعبث أو التلاعب الذي يؤدي إلى انهيار بنيان الأسرة فقال الله تعالى في ذلك ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء ٢١].

ط ـ أنها علاقة دائمة:

لأن العلاقة بين الزوجين يديمها العقد المترتب على الطرفين، بالإضافة إلى كون العلاقة بين الزوجين بنيت على أسس تكفل ديمومتها، كذلك تتميز

---

(١) النظم الاجتماعية في الإسلام، محمد عبد المنعم نور، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٧٩م، (ص٤٤).

العلاقات بالديمومة لأن العلاقات بين الآباء والأبناء والأقارب تحكمها صلة الدم التي لا يمكن التخلي عنها، بالإضافة إلى فرض الحقوق والواجبات المترتبة عليهم والمتبادلة بينهم[1]، وهذا ما يظهر من قوله تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

* * *

(١) الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، أكرم رضا.

المبحث الرابع

الحقوق داخل الأسرة

الزوج والزوجة يمثلان نواة الأسرة، والأسرة نواة المجتمع، فإذا انتظمت حقوق الزوجين انتظمت الأسرة واستقامت، وإذا استقامت الأسرة استقام المجتمع فلا بد أن تكون الضوابط الأسرية صحيحة حتى تكون النتائج المترتبة عليها صحيحة أيضاً، فإذا صحت المقدمات صحت النتائج، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن الله ﷻ خلق الذكر دائماً له الريادة والقيادة، وحب الرعاية للأنثى، وهذا يشمل جميع طبائع كل ذكر في الكون، من حيوانات وغيرهم، وخلق الأنثى منسجمة في طباعها ومتناغمة في مسيرتها مع حب الطاعة والانقياد اللطيف لهيبة الذكورة، فإذا بنيت العلاقة على الإفراط أو التفريط، حدث الخلل في هذه الأسرة، ومن هذا المدخل وغيره جاءت الشريعة لتضع الحدود لهذه العلاقة داخل الأسرة.

فأعطى حقوقاً للزوج على الزوجة، وأعطى حقوقاً أخرى للزوجة على الزوج، وبانحراف أحد الزوجين أو كليهما عن الحقوق تعرض الأسرة للمشكلات، يقول الشيخ المختار الشنقيطي: (ولما صارت العصور المتأخرة، وصار الجهل متفشياً بين كثير من المسلمين إلا من رحم الله، تجاهل الناس حقوق الزوجية وأصبحت الحياة الزوجية تسير بالأهواء وتسير كيفما يُرِد كل من الزوجين، عندها كثرت المشكلات وتبدد شمل الأزواج والزوجات وعظمت المصائب والخلافات، وجنى ما كان من وراءها من شر وبلاء الأبناء والبنات، لذلك كان من الأهمية بمكان أن يعتنى ببيان حقوق الزوجين وما ينبغي على كل منهما أن يرعاه تجاه الآخر).

وهنا نستعرض أهم الحقوق والواجبات لتستقر الأسرة كلما أدى كل طرف

ما عليه تجاه الآخر بحب ومودة، وسوف نستعرض هذه الحقوق بأنواعها.

أولاً: حق الزوج:

حق الزوج على زوجته عظيماً، ولن تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها قال رسول الله ﷺ: (لو كنت آمراً أحد أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها، وهي على قتب لم تمنعه)[1].

وروى البزار عن أبي سعيد الخدري قال: أتى رجل بابنته إلى رسول الله ﷺ فقال: إن ابنتي هذه أبت أن تتزوج. فقال: (أطيعي أباك). قالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج حتى تخبرني ما حق الزوج على زوجته؟ فقال: (حق الزوج على زوجته: لو كانت به قرحة فلحستها، أو انتثر منخراه صديداً أو دماً ثم ابتلعته، ما أدت حقه). قالت: والذي بعثك بالحق، لا أتزوج أبداً. فقال النبي ﷺ: (لا تنكحوهن إلا بإذنهن)[2].

فهذه لما علمت عظم حق الزوج رفضت الزواج، ولكن هناك بعض الفتيات لا ترغب في الزواج بحجج واهية فمرة تقول: أنا لا أريد أن أتزوج حتى لا يتحكم في رجل يحاسبني على الخروج والدخول واللبس وزيارة صديقاتي... إلخ فهي تريد رجلاً متديناً ولكن يسمح لها بالخروج كيفما تشاء وكذلك تلبس كيفما تشاء، فهي متناقضة مع نفسها تريد أن تقلد أهل الدنيا من المتبرجات وفي نفس الوقت تكون مقلدة للصحابيات، مثلها مثل الغراب الذي أراد أن يقلد مشية الحمامة فلم يستطع تقليدها، وعندما أحب أن يعود لمشيته كان قد نسيها كما قال الشاعر:

---

(١) رواه ابن ماجه (١٨٥٣)، وقال الألباني: (حسن). انظر: حديث رقم (٥٢٩٥) في صحيح الجامع.

(٢) رواه البزار ورواته ثقات مشهورون، وابن حبان في صحيحه (٣٧٣٩)، وقال السيوطي: (صحيح).

إن الغراب وكان يمشي مشية فيما مضى من سالف الأحوال
حسد القطاة فرام يمشي مشيها فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها فلذلك كنوه أبا مرقال

وبعضهن تؤجل إنجاب الأطفال بحجة أنها لا تستطيع تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، فهي ـ بزعمها ـ لا تقدم على تربية الأطفال إلا بعد أن تكون حافظة للقرآن، متبعة لتعاليم الرسول ﷺ، ويزين لها الشيطان أن ذلك هو الصواب وتنتظر بعد ذلك فلا هي حفظت ولا هي أنجبت.

وهي لو تعقلت الأمر لعلمت أن هذه الأشياء لا تتجزأ فهي تتعلم وتحفظ القرآن وتربي الأولاد وتقوم على خدمة زوجها وبيتها، في آن واحد.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول والنسائي والبيهقي عن أبي هريرة قال: سئل النبي ﷺ أي النساء خير؟ قال: «التي تسره إذا نظر، ولا تعصيه إذا أمر، ولا تخالفه بما يكره في نفسها وماله»[1].

١ ـ **حق الطاعة**: يجب على المرأة طاعة زوجها في غير معصية الله، فتقيم معه حيث يعيش وتمكنه من نفسها، فإذا امتنعت بعد ذلك عن الدخول في طاعته كانت ناشزة وسقط حقها في النفقة، ولا تستقيم حياة أي جماعة إلا إذا كان لها رئيس يدير شؤونها ويحافظ على كيانها، ولا توجد هذه الرياسة إلا إذا كان هذا الرئيس مطاعاً، وهذه الرياسة لم توضع بيد الرجل هكذا دون مقابل؛ بل كان لها مقابل فهو مكلف بالسعي على أرزاق الأسرة والجهاد من أجلها مع ما في تكوينه وطبيعته من الاستعداد لها، يقول سبحانه: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة تحض المرأة على طاعة زوجها، منها قوله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت

---

(١) الدر المنثور تفسير سورة النساء: الآية ٣٤.

فرجها، وأطاعت زوجها؛ دخلت الجنة)[1].

يقول الشيخ الشنقيطي: (ولا يمكن لبيوت الزوجية أن تستقر وأن تقوم على الوجه المطلوب إلا إذا كان هذا الحق محفوظاً من المرأة لزوجها جعل الله في الرجل خصائص ليست في المرأة جعل فيه القوة والصبر والتحمل فهو أقدر على القيادة وعلى تحمل المسؤولية والاطلاع بالمهمات، ولذلك فضل الله الرجال على النساء، وكان من دلائل تفضيله أن جعل النبوة في الرجال وهي أفضل ما يهب الله ويعطي، ولذلك قال العلماء: إن الله فضل الرجال من هذا الوجه لما جبلهم عليه وفطرهم عليه من القوة في الخلقة، وهذا يقتضي من المرأة أن تكون تحت الرجل ولا يقتضي أن يكون الرجل تحت المرأة أو تحاول المرأة أن تكون مساوية للرجل ومنافسة له، وحق القوامة يقوم على أمرين مهمين:

أحدهما: تدبير الأمور والشؤون عن طريق الاجتهاد والنظر، فالرجل هو الأحق بالنظر في الأصح والأقوم لبيته وأهله وولده.

وأما **الأمر الثاني**: فهو تطبيق ما رأى صلاحه وأداه إليه اجتهاده فهو أحق بهذين الأمرين، وقد جعل الله في الرجال من الخصائص في النظر والمعرفة ما ليس في النساء؛ لأن الرجل يخالط أكثر من المرأة ولو خالطت المرأة الرجال فإن مخالطتها قاصرة مهما فعلت ومهما كانت؛ لأن الفطرة لا تتبدل ولا تتغير، يقول العلماء: حق القوامة حق توجيه وإرشاد وتعليم وليس بحق استبداد واستعباد وقسر وقهر وأذية وإضرار، وهذا الحق أشار الله إليه بقوله: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

وإذا ضيعت المرأة حق القوامة فإنه سرعان ما يشعر الزوج أنه ناقص، وإذا شعر بالنقص أخذ يكسر حدة المرأة، والمرأة تستعلي والرجل يصر حتى لربما كسرها فطلقها ـ والعياذ بالله ـ أو لربما أقدم على ضربها حتى يشعرها أنه أقدر منها على القيام بهذه الحقوق).

---

(١) رواه البزار، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٦٦١) في صحيح الجامع.

وقوامة الرجل على المرأة فيما يتعلق بالحياة الزوجية فليس له الحق في التدخل في شؤونها المالية؛ لأن الولاية لها في ذلك ما دامت كاملة الأهلية، فإن كانت أهليتها قاصرة فالولاية لوليها المالي كأبيها أو جدها أو من يقوم مقامهما.

٢ ـ **القرار في البيت**: ويتبع حق الطاعة حق آخر وهو حق القرار في البيت لا تبرحه إلا بإذنه وليس قرارها في البيت غبناً لها أو سجناً لها، وإنما هو إعانة لها على أداء وظيفتها التي خلقت لها وهي التفرغ لتربية الأولاد في مبدأ حياتهم ليحيوا حياة سليمة، ومن قبل ذلك محافظة عليها من الفتنة والفساد، وليس معنى هذا أن تظل حبيسة البيت لا تخرج منه أبداً؛ لأنه ليس حقًّا من حقوق الله حتى يكون لازماً؛ بل هو حق للزوج إن شاء تمسك به وإن شاء تنازل عنه وأذن لها بالخروج، ما لم يترتب على خروجها مفسدة فيتحتم المنع محافظة على حرمات الله.

على أن حق المنع ثابت له بشرط ألا يكون لخروجها مسوغ شرعي كأداء فريضة الحج بشرط أن يكون سفرها مع مَحْرَم منها، وزيارة أبويها ومحارمها من إخوتها وأعمامها وغيرهم، فإن وجد المسوغ الشرعي لخروجها ولم يأذن لها كان لها الخروج بدون إذنه فتزور والديها ومحارمها.

٣ ـ **أن تكون أمينة على ماله وسره**: على الزوجة أن تكون أمينة على سره حافظة لماله وشرفه فتبتعد عن مواطن الشبهات، فلا تدخل بيتها من لا يرضى زوجها عنه، ولا تطيع فيه أحداً لقول رسول الله ﷺ: (لا يحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تطيع فيه أحداً ولا تعتزل فراشه ولا تضربه)[١].

وقال ﷺ: (إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث ولا تنفق

---

(١) رواه الطبراني في الكبير. وللفائدة انظر: فتاوى ابن تيمية (٣٢/ ٣٨١) في مسألة خروج المرأة من بيتها بغير إذن زوجها.

المرأة شيئاً من بيتها إلا بإذن زوجها. قيل: يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: ذلك أفضل أموالنا)[1].

٤ - **لا تصوم نفلاً إلا بإذنه:** قال ﷺ: (لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه)[2]. (لا تصوم) أي: غير الصوم المفروض. (بعلها) زوجها. (شاهد) حاضر مقيم في البلاد. (بإذنه) بموافقته؛ لأنها بصومها تمنعه بحقه بالاستمتاع بها، وحقه مقدم على النوافل لأنه واجب).

٥ - **ألا تجحد فضله:** يقول ﷺ: (وأُريت النار. فلم أر منظراً كاليوم أفظع قط. ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير. ويكفرن الإحسان. لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط)[3].

٦ - **خدمته ومعاونته على الطاعة:** لقد فطر الله المرأة على القيام بشؤون بيتها وتدبيره ورعاية أموره، فإذا قامت المرأة بخدمة بيت الزوجية قرت عين الزوج ورضي، وقد كان نساء الأنبياء وسلف الأمة يخدمن أزواجهن، فهذه فاطمة بنت الرسول الله ﷺ تخدم زوجها حتى يؤثِّر ذلك في يدها رضي الله عنها فعن علي رضي الله عنه أن: رسول الله ﷺ لما زوجه فاطمة بعث معه بخميلة ووسادة من أدم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة رضي الله عنها ذات يوم: والله لقد سنوت[4] حتى لقد اشتكيت صدري قال: وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت: وأنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي فأتت النبي ﷺ فقال: ما جاء بك أي بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك - واستحيت أن تسأله - ورجعت فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله فأتيناه جميعاً فقال

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٦٥)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (١٧٨٩) في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري (٤٨٩٦)، ومسلم (١٠٢٦).

(٣) رواه البخاري (٢٩)، (١٠٠٤).

(٤) سنوت: من سنت تسنو: سقت الأرض، والقوم يسنون لأنفسهم إذا استقوا.

علي ﷺ: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة ﷺ: قد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله ﷺ: والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا، فأتاهما النبي ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما فثارا، فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتماني، قالا: بلى، فقال: كلمات علمنيهن جبريل ﷺ فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشراً وتحمدان عشراً وتكبران عشراً وإذا آويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحمدا ثلاثاً وثلاثين[(1)] وكبرا أربعاً وثلاثين. قال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن رسول الله ﷺ قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين، فقال: قاتلكم الله يا أهل العراق نعم ولا ليلة صفين.

٧ ـ التأديب: من الحقوق التي جعلها الله للزوج حق التأديب والتهذيب للزوجة، كما قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

فالنساء نوعان صالحات وهؤلاء لسن بحاجة إلى تأديب، فصلاحهن جعلهن مطيعات لله ثم للزوج، والنوع الثاني غير صالحات وهن اللائي يحاولن الخروج على حقوق الزوجية والنشوز عن طاعة الزوج، وهؤلاء في حاجة إلى الإصلاح والتهذيب والتأديب؛ لأن تركهن على انحرافهن يسبب للبيت شقاء لا تستقيم معه الحياة الزوجية، وجعل التأديب للزوج دون غيره من الولي أو القاضي محافظة على كيان الأسرة بحفظ أسرارها من أن تذاع فيطلع الناس منها على ما لا يحسن الاطلاع عليه، ولأنه أعلم من غيره بما يقومها ويردها إلى صوابها، ولأن ضرر انحرافها يعود أولاً عليه وعلى بيته.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٦٢)، قال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح أبي داود حديث رقم (٤٢٣٢).

ثم إن الآية بينت طريق التأديب فجعلت له وسائل ثلاث:

الموعظة الحسنة، والهجر في المضاجع، والضرب، وجاءت بها مُرَتَّبة فإذا أراد التأديب بدأ بما بدأ الله به فيعظها فإن كفت الموعظة وقف عند ذلك، وإن لم تفد الموعظة هجرها في المضجع، فإن لم يفد الهجر فله أن يضربها ضرباً غير مبرح ولا مشين.

وفي هذا يقول رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع: (ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان[1] عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً)[2].

ولقد سأل رجل النبي ﷺ: ما حق المرأة على الزوج؟ قال: (تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت)[3].

فإذا أساء الرجل استعمال حقه، وتجاوز القدر اللازم للإصلاح كان متعدياً، وللزوجة حينئذ أن ترفع أمرها إلى القاضي ليرده عن عدوانه، فإن ثبت لديه عدوان الزوج عزره بما يراه كافياً لزجره عن معاودته لما فعل.

ومن المعلوم أن النساء تختلف طبائعهن، ففيهن من تردهن الكلمة عن غيها، ومنهن من لا يؤثر فيها الكلام ولا يردها إلا الهجر والحرمان، ومنهن من لا يفيد معها كلام ولا هجر لشراسة في خلقها وعناد لا يرده إلا الضرب، إذا عرفنا ذلك أدركنا سر تنوع وسائل التهذيب في كتاب الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، والذي خلق المرأة وهو الخبير

---

(١) عوان جمع عانية وهي الأسيرة. ومعناها أن النساء عند الرجال بمنزلة الأسرى فعليهم الإحسان إليهن.

(٢) رواه النسائي (١١٥٩)، وابن ماجه (١٨٥١)، وقال الألباني: (حسن). انظر: صحيح الجامع حديث رقم (٧٨٨٠).

(٣) رواه أبو داود (٢١٤٣)، وانظر: صحيح الجامع حديث رقم (٣١٤٩).

بأسرارها العليم بما يهذبها إذا ما التوى بها الأمر عن الجادة المستقيمة.

وبعد ذلك يكون من قصر النظر وسوء الفهم توجيه النقد على غير هدى كما قيل: إن الضرب وسيلة صحراوية لا تتفق مع عصر المدنية والتقدم، فكيف تبيح شريعة لزوج أن يضرب زوجة تدرجت في مدارج الثقافة حتى بلغت قمتها؟.

وذلك لأنه ليس كل النساء بذلك الوصف، وليس الضرب هو الوسيلة الوحيدة المشروعة؛ بل إنها إحدى وسائل ثلاث، وكانت في المرتبة الثالثة لا يلجأ إليها إلا عند فشل الأولى والثانية[1].

ثانياً: حق الزوجة:

١ ـ أن يعطيها مهرها المتفق عليه: المهر هو المال الذي يدفعه الرجل للمرأة عند الاقتران بها، وهو حق أوجبه الله على الزوج لزوجته بسبب العقد عليها أو الدخول بها، ويقول تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء: ٤] ونِحْلة يعني: عطية عن طيب خاطر[2].

فعن عبد الله بن مسعود، سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً، ولم يدخل بها حتى مات. فقال ابن مسعود: لها مثل صداق نسائها، لا وكس ولا شطط، وعليها العدة ولها الميراث. فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله ﷺ في بروع بنت واشق، امرأة منا، مثل الذي قضيت. ففرح بها ابن مسعود[3]. حيث وافق قضاؤه قضاء رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: الزواج والطلاق في الإسلام زكي الدين شعبان (٧٤، ٧٥).

(٢) القاموس المحيط مادة (نحل).

(٣) رواه النسائي كتاب النكاح، باب إباحة التزويج بغير صداق، وأحمد من حديث ابن مسعود، والطبراني في الكبير.

وحكم المهر أنه واجب شرعاً، لقوله: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء: ٢٤] وقد انعقد الإجماع على وجوب المهر للزوجة على زوجها.

وليس للمهر حد أعلى ولا أدنى، وقد ندب الإسلام للتخفيف من المهور فعن عائشة أم المؤمنين ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: (إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة)[1] وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار. فقال له النبي ﷺ: (هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئاً) قال: قد نظرت إليها. قال: (على كم تزوجتها؟) قال: على أربع أواق. فقال له النبي ﷺ: (على أربع أواق؟ كأنما تنحتون الفضة من عرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه) قال: فبعث بعثاً إلى بني عبس، بعث ذلك الرجل فيهم[2].

وكان ﷺ يزوج الصحابة الذين لا يملكون مالاً بما معهم من القرآن نظير أن يعلم الرجل المرأة الجزء من القرآن، وبذلك يكون هذا صداقها، فعن سهل بن سعد الساعدي: (أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت إني وهبت نفسي لك. فقامت طويلاً، فقال رجل: يا رسول الله، زوجنيها إن لم تكن لك بها حاجة. فقال: هل عندك من شيء تصدقها؟ فقال: ما عندي إلا إزاري هذا. فقال رسول الله ﷺ: إزارك إن أعطيتها جلست ولا إزار لك فالتمس شيئاً. قال: ما أجد. قال: فالتمس ولو خاتماً من حديد. قال: فالتمس فلم يجد شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: هل معك من القرآن شيء؟ قال: نعم سورة كذا، وسورة كذا لسور سماها، فقال رسول الله ﷺ: زوجتكها بما معك من القرآن)[3].

---

(١) رواه أحمد من حديث عائشة، والخطابي في المتفق والمفترق. انظر: كنز العمال (٤٤٥٧٧).

(٢) رواه مسلم كتاب النكاح، باب ندب النظر إلى وجه المرأة وكفيها لمن يريد تزوجها (١٤٢٤).

(٣) رواه البخاري (٤٧٤١)، والترمذي (١١٢١)، وأبو داود (٢١١١)، وابن ماجه (١٨٨٩). =

٢ ـ **النفقة**: من حقوق الزوجة على زوجها النفقة، وهي من الحقوق الواجبة على الزوج، والمراد بها ما تحتاجه الزوجة حسب العرف من مأكل وملبس ومسكن. . . إلخ.

وتجب النفقة على الزوج بمجرد العقد الصحيح إذا ترتب عليه احتباس الزوجة على زوجها بحيث يؤدي ذلك إلى تمكين الزوج من زوجته.

٣ ـ **عدم الإضرار بها**: يثبت للزوجة على زوجها عدم الإضرار بها بأن يعدل في معاملتها فيعاملها بما يجب أن تعامله به فيحافظ على حقوقها من غير إفراط ولا تفريط، وإنما وجب عليه العدل وعدم الإضرار باعتبار ما له من السلطان والرياسة، فحيث وضعه الشارع في موضع القوامة، وأوجب له على زوجته الطاعة والقرار في البيت ومنحه سلطة التأديب، وهذه أمور لا تستقيم مع إطلاق يده في التصرف؛ بل يجب تقييدها بالعدل من جانبه، حتى تسير الحياة الزوجية في طريق مستقيم لتحقق الغاية المقصودة منها.

ومن هنا جاءت عدة آيات وأحاديث تنبه الزوج إلى أن يعدل ولا يظلم وينفع ولا يضر ويرحم ولا يقسو، فيقول جل شأنه: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ويقول: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

ويقول ﷺ: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)، وفي خطبة الوداع يقول: (ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك).

والضرر المحظور إلحاقه يشمل الضرر المادي والضرر المعنوى فقد جاء الحديث النبوي الشريف عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه قال: (قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال: أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها

= وانظر: مجلة الأمة ذو الحجة ١٤١٠هـ مقال بعنوان «غلاء المهور داء عضال استشرى في جسد مجتمعنا فكيف نستأصله؟» بقلم محمد سيد بركة (ص٣٠، ٤١).

إذا اكتسيت ـ أو اكتسبت ـ ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت)[1].

وقد جاء في شرحه: لا تضرب الوجه؛ لأنه أعظم الأعضاء وأظهرها، ولا تقبح أي: لا تقل لها قولاً قبيحاً ولا تشتمها ولا تقل لها قبحك الله، فإن ذلك أذى وضرر بها فلا يجوز[2]، والضرب نوع من الضرر المادي والقول القبيح نوع من الضرر المعنوي لما فيه من أذى نفسي فعلى الزوج أن يتوقى النوعين من الضرر بأي شكل كان فمن الضرر المعنوي العبوس والقطوب في وجهها ورفع الصوت عليها والنظر إليها شزراً وتجاهل سؤالها وعدم الإصغاء إلى كلامها وعدم الاكتراث والاهتمام بها، وعدم تلبية طلباتها المشروعة وغير ذلك من التصرفات التي فيها أذى وضرر بها بالقول أو بالإشارة أو بالنظر أو بالسخرية أو بعدم التكلم معها ونحو ذلك[3].

٤ ـ **العدل بين الزوجات**: إذا كان له أكثر من زوجة وجب عليه التسوية بينهن في المعاملة، سواء كان ذلك في البيات أو في النفقة بأنواعها؛ لأن الله شرط حل التعدد بالعدل في قوله جل شأنه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

فلا يحل له أن يميز واحدة عن غيرها في أي شيء من الأمور الظاهرة، فيبيت عند كل واحدة قدر ما يبيت عند الأخرى وتقدير النوبة مفوض إليه.

والمعتبر في المناوبة بين الزوجات الليل لا النهار، إلا إذا كان الزوج يعمل ليلاً فتكون المناوبة بالنهار، وعليه أن يوفي كل زوجة نوبتها دون أن يزيد لواحدة على حساب الأخرى إلا إذا أذنت صاحبة الحق في ذلك، أو وجدت ضرورة تدعوه إلى ذلك، كأن مرضت إحداهن وليس لها من يقوم بتمريضها غيره.

---

(١) رواه أبو داود (٢١٤٢)، وصححه الألباني. انظر: غاية المرام (٢٤٤)، والإرواء (٢٠٢٣).

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٦/ ١٨٠ ـ ١٨١).

(٣) المفصل (٧/ ٣٢٥) نقلاً عن الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، دكتور أكرم رضا.

وإذا تنازلت إحدى الزوجات عن نوبتها لأخرى صح ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ أقر ذلك عندما تنازلت سودة بنت زمعة عن نوبتها لعائشة ﵄، وللمتنازلة أن ترجع عن تنازلها متى شاءت لأنها أسقطت حقًّا لم يجب بعد فلا يسقط.

يلزم الزوج هذا القسم حتى ولو كان مريضاً؛ لأن في وجوده عند زوجته إيناساً لها إلا إذا أذن له في القرار في بيت إحداهن.

وكما يجب عليه التسوية في البيات، يجب عليه التسوية في النفقة حسب حاله من العسر واليسر، فيعطي الفقيرة والغنية سواء لقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧].

٥ ـ **أن يكون عوناً لأهله على الطاعة:** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

عن ابن عباس: قوا أنفسكم وأمروا أهليكم بالذكر والدعاء حتى يقيهم الله بكم. وقال علي ﵁ وقتادة ومجاهد: قوا أنفسكم بأفعالكم وقوا أهليكم بوصيتكم.

عن مالك بن الحويرث ﵁ قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا، قال: (ارجعوا فكونوا فيهم، وعلموهم، وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم)[(١)].

٦ ـ **أن يغار عليها:** وليس معنى هذا أن يتخونها ويطلب عثراتها، فإن ذلك منهي عنه، فعن جابر بن عتيك أن نبي الله ﷺ كان يقول: (من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما التي يحبها الله ﷻ فالغيرة في الريبة، وأما

(١) رواه البخاري (٦٠٢).

التي يبغضها الله، فالغيرة في غير ريبة)[1] فالزوج يغار على زوجته؛ فلا يعرضها للشبهة، ولا يتساهل معها في كل ما يؤذي شرف الأسرة، أو يعرضها لألسنة السوء، والتساهل في هذا قبيح لا يعد من مكارم الأخلاق في شيء، ولا يعد من إكرام المرأة أو احترامها لما يجره هذا التسامح من شقاء لها ولزوجها وأولادها.

وعلى الزوجة أن تراعي زوجها في ذلك فلا تُدْخل في نفسه الريبة. فهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وكانت زوجة للزبير بن العوام تقول: «كنت أنقل النوى، من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ، على رأسي. وهي على ثلثي فرسخ. قالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي. فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه. فدعاني ثم قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه. قالت: فاستحييت وعرفت غيرتك. فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد من ركوبك معه»[2].

٧ ـ أن لا يأمرها بمعصية وإن أمرها فلا طاعة له: عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة من الأنصار زوجت ابنتها، فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال: (لا، إنه قد لعن الموصلات)[3].

ثالثاً: الحقوق المشتركة:

عقد الزواج كما ترتب عليه حقوقاً للزوج وحقوقاً للزوجة، ترتب عليه حقوقاً مشتركة بين الزوجين من هذه الحقوق:

١ ـ حق الاستمتاع: فكل من الزوجين يحق له أن يتمتع بالآخر في الحدود التي رسمها الشارع، فعلى كل منهما أن يجيب رغبة الآخر، ولا يمتنع منه إلا إذا

---

(١) رواه أبو داود (٢٦٥٩)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٥٩٠٥) في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٦)، ومسلم (٢١٨٢).

(٣) رواه البخاري (٤٩٠٩).

وجد مانع شرعي يمنع من ذلك كحيض لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ويلحق به النفاس وكذلك المرض الشديد.

وقد اتفق الفقهاء على أن الاتصال الجنسي واجب على الزوج ديانة ـ أي فيما بينه وبين ربه ـ وأنه يلزمه شرعاً أن يعف زوجته من الناحية الجنسية حتى لا تقع في الحرام متى كان قادراً على ذلك.

فقد روي (أن زوجة عبد الله بن عمرو بن العاص شكته إلى رسول الله بأنه يصوم النهار ويقوم الليل، فأرسل إليه النبي ﷺ فلما حضر قال له: «يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» فقال: بلى يا رسول الله فقال له: «لا تفعل ذلك صم وأفطر وقم ونم؛ فإن لجسدك عليك حقًّا وإن لزوجك عليك حقًّا»[(١)].

وقد أجمع العلماء على أن الزوجة لو اشترطت على زوجها في عقد الزواج أن لا يتصل جنسيًّا بها لم يجب على الزوج أن يفي بهذا الشرط.

٢ ـ **حسن المعاشرة**: فكل من الزوجين مطالب بإحسان العشرة على معنى أن يسعى كل منهما إلى ما يرضي الآخر من حسن المخاطبة واحترام الرأي والتسامح والتعاون على الخير ودفع الأذى والبعد عما يجلب الشقاق والنزاع لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] وقوله: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإذا فعلا ذلك تحقق بينهما السكن وتوفرت المودة، وكان الزواج رحمة لهما كما أخبر المولى سبحانه في قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن المرأة كالضلع، إذا ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها استمتعت بها وفيها عوج)[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (١٨٧٤).

(٢) رواه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (١٤٦٨).

٣ ـ حرمة المصاهرة: فيحرم على الزوج التزوج بأصول زوجته وفروعها كما يحرم عليها التزويج بأصوله وفروعه.

وحرمة المصاهرة وإن كانت في ظاهرها حق الشارع؛ لأنها حكم من أحكامه إلا أن ثمرتها تعود على الزوجين على السواء؛ لأن ثبوتها يدفع الأذى عنهما فيما لو أبيح لكل منهما أن يتزوج بأقرب الناس إلى الآخر بعد فصم عرى الزوجية بينهما.

٤ ـ ثبوت التوارث بينهما: بأن يرث كل منهما الآخر بعد وفاته، ولو كانت قبل الدخول ما لم يوجد مانع يمنع منه كاختلاف الدين، وذلك لأن عقد الزواج لما أحل المتعة والعشرة بينهما فقد أوجد صلة تربط بينهما كصلة القرابة فتبع ذلك ثبوت التوارث لهذه الصلة.

٥ ـ التزين: من الضروري جدًّا أن يراعي الزوجان زينتهما ومظهرهما، وأن يحاولا الظهور بالمظهر اللائق كل منهما أمام الآخر.

إن التعاليم الإسلامية تزخر بالكثير من الوصايا عن نظافة البدن بدء من الاستحمام، وتنظيف الأسنان، والتعطر، وإصلاح الشعر، وقص الأظافر، وارتداء الثياب النظيفة؛ وكل هذا له تأثير بالغ الأهمية في ترغيب الطرفين ببعضهما وتعزيز علاقات الحب بينهما.

٦ ـ الاحترام المتبادل: يجب أن يكون الاحترام متبادلاً، وأن إخلال أحد الطرفين بذلك يؤدي إلى اختلال في نظام الأسرة كله، فمن ينشد احترام زوجه عليه أن يحترمه أولاً، فوجاهة المرأة تضفي على الرجل قوة، وشخصية الرجل تمنح المرأة قوة وتعزز من مكانتها، وعليه فمن الضروري أن يربط الزوجين نوع من الاحترام المتبادل وأن يبتعدا عن كل ما من شأنه أن يخل بذلك، والاحترام يتجسد من خلال الحديث والتعامل، وإذا كان هناك ما يستدعي النقد فينبغي أن يتم ذلك بأسلوب إيجابي بعيداً عن التشهير.

٧ ـ ثبوت نسب الأولاد: من الحقوق التي يشترك فيها الزوجان أن يثبت نسب الأولاد إلى كل من الزوج والزوجة، فالأولاد كما أنهم أولاد الأب فإنهم

أيضاً أولاد الأم، ويثبت لكل من الأب والأم ما يترتب على ثبوت الأبوة أو الأمومة من حقوق، كالنفقة والحضانة والإرث.

والأصل أن تقوم الأسرة على المودة والحب، ومع الحب يكون إيثار، ومع الإيثار يعطي كل من الزوجين صاحبه أكثر من حقه عليه، وينقطع البحث في الحقوق، أما إذا فتر الحب، فلا بد من الوقوف عند الحقوق حتى لا تضيع.

رابعاً: حقوق الأولاد:

الأولاد هم الثمرة المرجوة من الزواج، والإنجاب هو المقصد الأهم من مقاصد النكاح، وذلك لأنهم يمثلون بذور الحياة الإنسانية في المستقبل والجيل الجديد الذي يرث الحياة ويحفظ استمرارها عبر الزمن؛ لذلك كان لا بد من الاعتناء بهم عناية خاصة حتى يشبوا قادرين على الاحتفاظ بأمانة الاستخلاف الإنساني في الأرض وتسليمها إلى الجيل الذي يأتي بعدهم، ولا يتم ذلك إلا بإيجاد الضمانات الكافية لصحتهم النفسية والجسمية والعقلية والروحية، من أجل ذلك اعتنى الإسلام بشأن الأولاد، وجعل لهم على الأسرة أمًّا وأباً حقوقاً يجب عليهما القيام بها كما ينبغي، وهذه الحقوق تشتمل في الآتي:

ـ **الرضاع**: وهو من النفقة الواجبة على الأب لابنه، بمعنى أنه ملزم شرعاً بإعداد المرضع ودفع أجرة الرضاعة إذا امتنعت الأم عنها، أو كانت في وضع لا يمكنها منها، أما الأم فتطالب بذلك ديناً أي فيما بينها وبين ربها لا قضاء إلا إذا كان الولد بحال لا يستغني عن إرضاعها، كأن لم توجد مرضع غيرها أو رفض رضاع غيرها.

ـ **الحضانة**: وهي تربية الولد ورعاية شؤونه ممن هو مطالب بالحضانة شرعاً، والأم هي أول من تكون عليها مسؤولية حضانة الصغير ما لم تتزوج من غير أبيه، وذلك تبعاً لما لها على ولدها من عطف وحنان فطري، وإذا أسقطت الحضانة عن الأم قدمت قرابتها على الأب وعلى قرابته.

ـ **حسن التربية**: وذلك بإعدادهم إعداداً صالحاً بتنمية الدين والأخلاق في نفوسهم ومجتمعاتهم، قال رسول الله ﷺ: (ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)[1]، ويدخل في ذلك مقصد تعليمهم وحسن توجيههم، وتوفير الظروف الملائمة التي تمكنهم من القيام بواجبهم في التعليم.

ـ **العدل بين الأولاد**: والعدل قيمة من قيم الإسلام الأساسية في جميع الأمور وفي كل الأحوال: كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] وقال رسول الله ﷺ: (اتقوا الله واعدلوا في أولادكم)[2].

ـ **حسن اختيار الاسم له**: ذلك لأن الاسم الجديد له معنى وله مدلول، وقد حث النبي ﷺ على أن يختار الأب لولده اسماً حسناً، وأن يبتعد عن الأسماء المستكرهة أو تلك التي تشتمل على معان غير لائقة، قال رسول الله ﷺ: (إن أحب أسمائكم إلى الله ﷻ عبد الله، وعبد الرحمن)[3].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦٧١٩).

(٢) رواه مسلم (١٦٢٣).

(٣) رواه مسلم (٢١٣٢).

المبحث الخامس

سمات الخلاف بين الزوجين

من رحمة الإسلام بالمسلمين واعتنائه بالأسرة أن وضع أسساً وقوانين يحتكم إليها الزوجان عند الاختلاف، هذه الأسس من أهم ما يميز الشريعة الإسلامية، ومن سمات هذه القوانين أنها تحافظ على الروابط الأسرية حتى وقت الخلاف، فمثلاً إذا طلق الرجل زوجته طلقة أولى أو ثانية تظل في بيت الزوجية، وفي ذلك من الحفاظ على الأسرة والعمل على الإصلاح ما فيه، ومن هذه السمات:

١ ـ مراعاة طبيعة المرأة:

طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل، ومن الظلم بمكان أن يعامل الرجل زوجته وكأنها رجل أمامه، وقد أوضح الرسول ﷺ هذه الطبيعة في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء»[(١)].

فعلينا أن نعي هذا الفارق الهام في الطبيعة، وأن نراعيه في تربية كل منهما والتعامل معه، أما أن نتجاهل هذا الفارق فهذا مثل الذي كسر الضلع، يطلبه مستقيماً لا اعوجاج به، وحينئذ لا ينتفع بالضلع في الجسد، وتطلق المرأة ـ إن كانت زوجة ـ وتنقطع العلاقة بينهما على وجه العموم[(٢)].

ويقول تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

---

(١) رواه البخاري (٣١٥٣).

(٢) مكانة المرأة محمد البلتاجي (ص٤٥٩).

وينبه النبي ﷺ إلى هذا الاختلاف، طالباً مراعاته وعدم إهماله، محذراً في الوقت نفسه من محاولة جبر المرأة قسراً على أن تتوافق في طبيعتها وتكوينها النفسي وتناولها للأمور ـ حبًّا وبغضاً وقبولاً ونفوراً ـ مع طبيعة الرجل في هذا، طالباً التعامل معها والاستمتاع بها على طبيعتها وتكوينها النفسي الخاص، ويثير الانتباه في تكرار توصيته ﷺ بالمرأة وحسن معاملتها على طبيعتها؛ ولذلك فإن الحديث بدأ بالوصية بالنساء وانتهى بالوصية بالنساء.

وفي رواية للحديث: (فدارها تعش بها)[1] وفي الحديث توجيه الرجل إلى الصبر على ما يصدر من المرأة من سلوك مبعثه هذا «العوج» وليتذكر أنها لا تتعمد هذا السلوك لمضايقته وإحراجه، إنما هو نتيجة ما قدره الله على المرأة من طبيعة خاصة، تتميز بسرعة الانفعال وشدته فليصبر، وليكن محبًّا كريماً، وليعلم أن هذه الخاصية من خصائص المرأة يمكن أن يكون لها أثر طيب، في إقدارها على أداء مهمتها الأساسية من حمل وإرضاع وحضانة إذ تحتاج إلى عاطفة بالغة وحساسية مرهفة، ثم ليذكر الرجل قوله ﷺ: (إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)[2] أي إن لزوجته من الفضائل والمحاسن ما يعوض هذا العيب.

وهكذا يعرض النبي ﷺ والمفاتيح في شخصية المرأة هي حقيقة تَعْلَمها النساء عن أنفسهن أكثر مما يعلمها الرجال، ويسوق هذا الحديث للنساء والرجال ليكون معلوم لدى الرجال أن هذه هي طبيعة المرأة أو أن هذه الصفات من صفات المرأة فلا يجهد الرجل نفسه في إصلاحها، وعليه أن يتقبلها هكذا ولا يفاجأ بسلوكها ذلك فيؤدي إلى غضبه منها وإلى نفوره أو اعتبارها ناشزاً في هذا الأمر، ولكن قد يضيق بعض الرجال بهذا السلوك من المرأة مما يؤدي إلى الخلاف والنزاع، ولذلك اشتدت وصايا النبي ﷺ بالنساء وأمر الرجال بالصبر عليهن والحكمة في التعامل في مثل هذه الأمور وهي

---

(١) المرأة المسلمة بين اجتهادات الفقهاء وممارسات المسلمين، د. مروان إبراهيم القيس (ص١٥١) والرواية انفرد بها أحمد.

(٢) رواه مسلم (١٤٦٩).

ضريبة هذا السكن العظيم، على أن أقدار النزاع التي تنجم عن شدة الانفعال عند المرأة وسرعة تغيره تتفاوت من امرأة إلى أخرى، فقد تزيد أحياناً حتى تكون مصدر إزعاج ويضطرب مسار السفينة، وتقل أحياناً حتى تكاد تتلاشى وتجري السفينة رخاء[1].

٢ ـ معرفة مكانة الرجل:

وفي الجانب المقابل لا بد أن تعرف المرأة طبيعة الرجل أيضاً، وتدرك قبل ذلك مكانة الرجل في الأسرة وتقدر له هذه المكانة عند الاختلاف وهذه المكانة تتلخص في قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤].

وهذه القوامة لها شقان:

الشق الأول: في جانت الرجل وتعتبر حق للمرأة عليه، وهو القيام الكامل بمسؤوليته عليها من الإنفاق والرعاية وحسن العشرة.

والشق الثاني: في جانت المرأة وتعتبر حق للرجل عليها، والذي يتلخص في طاعتها له وتأدية حقوقه عليها ومعرفة أن له الكلمة النهائية في البيت كقائد وله حق الرئاسة على عموم العائلة.

وإدراك الرجل لهذا الدور ومعرفة المرأة هذا الواجب يضبط قضايا كثيرة محل الخلاف والنزاع، ويجعل في النهاية هناك مرجع تنتهي عنده المنافسة وهو الزوج ولا بد أن تعطي المرأة هذا الحق عن طيب خاطر ولا بد أن يؤدي الرجل ذلك الدور عن قناعة بالمسؤولية وهذا طاعة لله ورسوله.

٣ ـ تقدير الجوانب الإيجابية:

وخاصة عند الزوجة حيث إن الوصاية بها مؤكدة، يقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم محمد أبو شقة (٢٢٨/٥)، دار القلم.

قال صاحب المنار في هذه الآية: قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ أي لعيب في الخَلق أو الخُلق مما لا يعد ذنباً لهن لتقصير في العمل الواجب عليهن في خدمة البيت والقيام بشؤونه مما لا يخلو عن مثله النساء، وكذا الرجال في أعمالهم، أو الميل منكم إلى غيرهن فاصبروا ولا تعجلوا بمضارتهن ولا بمفارقتهن لأجل ذلك: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩] ومن الخير الكثير؛ بل أهمه وأعلاه الأولاد النجباء، فرب امرأة يملها زوجها ويكرهها ثم يجيئه منها ما تقر العين من الأولاد النجباء فيعلو قدرها عنده، ومن الخير الكثير أن يصلح حالها بصبره وحسن معاشرته فتكون من أعظم أسباب هنائه في انتظام معيشته[١].

ويقول رسول الله ﷺ: (لا يفرك[٢] مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)[٣].

وهذا الحديث وتلك الآية وإن كانا موجهين إلى الرجل أساساً فلا مانع أن يكون نفس التوجيه للمرأة كذلك، وما يقال للرجل في التعامل عند سيئات امرأة أن يتذكر حسناتها يقال للمرأة أيضاً وتذكر به وتوصى به.

وهكذا تدعو الوصية كلا من الزوجين إلى تقدير الجوانب الإيجابية الطيبة في صاحبه، لمواجهة الجوانب السلبية، حتى لا تسيطر هذه الأخيرة على القلوب وتملأها نفوراً وبغضاً، وتقع الفرقة التي يحمدها الشيطان ويكرم فاعلها من أعوانه، أعاذنا الله من وسوسته.

إن الخلاف بين الزوجين غالباً ما يكون من نوع فريد، فهو قد يبلغ أقصى الدرجات، حتى يظهر لكل من الزوجين أنه لا سبيل للوفاق ولا مفر من الفراق، وقد يشاركهما هذا الظن من يحيط بهما من أقارب وأصدقاء، ثم يفاجأ الجميع بعد زمن يسير بزوال الخلاف، وحلول الوئام محل الخصام، وهذا من فضل الله

---

(١) تفسير المنار (٤/ ٣٧٤).
(٢) يفرك: أي يبغض.
(٣) رواه مسلم (١٤٦٩).

على هذه المؤسسة المباركة، سكن الرجل وسند المرأة ونواة المجتمع، فمن فضل الله أن جعل بين الزوجين رصيداً من المودة والرحمة يقضي على نوازع الخصام، واللبيب من ينتفع بهذا الرصيد[١].

▮ ـ تقدير خطورة الاختلاف بين الزوجين:

وإذا كانت الخصومة أو فساد ذات البين بين اثنين من المسلمين هي الحالقة[٢] للدين كما يصرح الحديث الشريف عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى. قال: صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة)[٣].

فما بالك إذا كانت هذه الخصومة بين الزوجين؟ إن الخطورة تتضاعف ولا شك أضعافاً كثيرة ويؤكد ذلك الحديث الآتي:

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه[٤]. فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا. فيقول: ما صنعت شيئاً. قال: ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته. قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت)[٥].

إن الفرقة بين الزوجين ليست مثل أي فرقة بين اثنين من المسلمين؛ بل هي في الدرجة القصوى من الشر، حتى ليفرح بها الشيطان أيما فرح كما يصرح حديث جابر، ثم إن رسول الله ﷺ حذر منها تحذيراً بالغاً من أي قول يفسد بين امرئ وزوجه، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس منا

---

(١) تحرير المرأة في عصر الرسالة، عبد الحليم محمد أبو شقة (٥/٢٢٩).
(٢) الحالقة: القحط الذي يأتي على كل شيء.
(٣) رواه الترمذي (٢٦٢٧)، قال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٢٥٩٥) في صحيح الجامع.
(٤) سرايا: جمع سرية وهي القطعة من الجيش ما بين خمسة أنفس إلى ثلاثمائة.
(٥) رواه مسلم (٢٨١٣) وأحمد من حديث جابر.

من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده)[1].

لهذا ينبغي أن يتقي الزوجان المسلمان الخطر الكبير وراء الخلاف بينهما، وإن يستعيذا بالله من وسوسة الشيطان، وأن يقطعا عليه الطريق، فلا يدعا له فرصة ارتكاب أكبر الشرور عن طريقهما وعلى حسابهما، فانفصال الزوجين ليس مجرد حالة خصومة عارضة في سيرة حياة اثنين؛ ولكنها تجر وراءها ويلات كثيرة خاصة إذا كان لهذا الزواج ثمرة، حيث تنمو بعيداً عن السكن والمودة والرحمة فيتكون إنتاجاً غير صالح للمجتمع[2].

■ ـ مصلحة الأسرة:

يجب أن يجعل كل واحد مصلحة الأسرة واستقرارها والحفاظ على المودة والرحمة بين أفرادها من أهم أولوياته، ولو على حساب بعض الأعمال الأخرى؛ لأن الأسرة إذا صلحت واستقرت، كان ذلك سبيل صلاح واستقرار أعمال أخرى كثيرة، وإذا فسدت علاقاتها واضطربت وأدت إلى عدم استقرار نفسي أثرت سلباً على ما سواها.

٦ ـ الصراحة في طرح المشكلة:

يجب أن تسود الصراحة التامة بين الزوجين في طرح مشاكل الأسرة، فذلك هو الطريق الأقصر والأسهل والمضمون لحل أي مشكلة أو على الأقل للتقليل من أضرارها، إن سوء التفاهم، أو سوء فهم كل طرف لصاحبه أساس كثير من المشاكل بين الزوجين، فإذا اتضحت الأمور، وعرف كل واحد كيف ينظر الآخر إلى الأمور الخلافية، وكيف يفسرها، أو لماذا أقدم على بعض التصرفات لكان لذلك الأثر في حل أي مشكلة.

---

(١) رواه أبو داود (٢١٧٥)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٥٤٣٧) في صحيح الجامع.

(٢) الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، أكرم رضا.

٧ ـ التحاكم:

يقول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء: ٣٥].

فقد أمر الله تعالى في كتابه وأمر رسوله ﷺ بالصلح وحث عليه، والصلح لغة ضد الفساد، وقطع المنازعة، يذكر ويؤنث، وشرعاً معاقدة يتوصل بها إلى إصلاح بين متخاصمين قطعاً للنزاع، وقد بين الله تعالى بأن الصلح خير فقال ﷻ: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨] ووعد من أصلح بين الناس الأجر العظيم والثواب الجزيل فقال تعالى: ﴿۞ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: ١٠] والصلح الجائز هو العادل الذي أمر الله به ورسوله ورضي به الخصمان، وقد أرشد القرآن للصلح بين الزوجين عند الخلاف لما في ذلك من لَمِّ الشمل وصلة الرحم وتوثيق أواصر المودة والمحبة بين الزوجين، وتوطيد علاقات المودة والمحبة بينهما، وللإصلاح بين الزوجين فقه ومسالك دلت عليها نصوص الشرع وسار عليها المصلحون المخلصون، إن من فقه الإصلاح، صلاح النية، وابتغاء مرضاة الله، وتجنب الأهواء الشخصية والمنافع الدنيوية، ومن فقه الإصلاح سلوك مسالك السر والنجوى، وهذا فقه في الإصلاح دقيق، فلعل فشل كثير من مساعي الصلح بسبب فشو الأحاديث، وتسرب الأخبار، إن من الخير في باب الإصلاح أن يسلك به مسلك النجوى والمساندة، وطريق الإصلاح وأسلوبه يبدأ بكلمة طيبة من رجل عاقل، ونبيل لبيب يسره أن يسود الوئام بين الزوجين، كلمة من رجل قد امتلأ قلبه فلاحاً، ولا يريد إلا الإصلاح ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، ويستيقن المسلم أن كثيراً من النفوس يكفي في إزالة شحنائها كلمة رقيقة تطفئ نار الحقد والضغينة، ويتلاشى معها الانفعال والشطط، فيبتعد المصلح بكلمته

عن التصريح، ويدخل في أبواب الكتايات والمعاريض؛ بل إن الشرع قد أفسح له المجال ليبالغ في الكلام ويطنب في الثناء، ولو جافى الحقيقة، ودخل في دائرة الكذب وهذا الصادق المصدوق ﷺ يقول: (لا يحل الكذب إلا في ثلاث يحدث الرجل امرأته ليرضيها والكذب في الحرب والكذب ليصلح بين الناس)[1].

روي أن رجلاً في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ قال لزوجته نشدتك الله: هل تحبينني؟ فقالت: أما إذا نشدتني بالله فلا، فخرج الرجل حتى أتى عمر بن الخطاب فأخبره، فأرسل إليها عمر فقال: أنت تقولين لزوجك لا أحبك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين نشدني بالله، أفأكذب عليه؟ قال: نعم فأكذبيه، ليس كل البيوت تبنى على الحب، ولكن الناس يتعايشون بالإسلام والإحسان.

هذا هو نهج الإصلاح في الإسلام صدق في التوجه، وإخلاص لله، وإفشاء للمودة فمن لا يقبل الصلح ولا يسعى إليه، ليسوا إلا أناساً قد قست قلوبهم، وفسدت بواطنهم، فلا غرو بعد ذلك أن تضيع الحقوق، وتهدر الحرمات، ويرق الدين، وتنزع البركات.

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٣)، والمقصود به معاريض الكلام الذي هو كذب من حيث يظنه السامع، وصدق من حيث يقوله القائل، كما ورد في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير.

المبحث السادس

نحو أسرة مثالية

○ كيف تستثمر خلافك الأسري؟:

لكي يكون الخلاف بين الزوجين مفيداً وجادًا ينبغي ألا يصبح مجرد فرصة للتفريج عن النفس وإفراز نواتج الضغط والتوتر لدى كل طرف على حساب الآخر، أو أن يصبح التنازع هادفاً تحطيم معنويات الآخر وإهانته، أو وسيلة لإظهار سلطة أحدهما على الآخر، فمثل هذه الخلافات تؤدي إلى نتائج لا تحمد عقباها.

أما الخلافات الجادة والنافعة فهي التي تتيح للطرفين فرصة للاتصال الفعال، والحوار الجاد، وتشكل مجالاً لإظهار الانفعالات الذاتية دون إلقاء اللوم على الطرف الآخر، ودون محاولة إلصاق أسبابها به، وعلى كلا الزوجين اتباع الآتي:

١ ـ **لا تتجاوز الحدود:** وهذا خطأ فادح يقع فيه الزوجان حين يختلفان، فينتقلون من قضية الخلاف إلى خلافات ثانوية أو وهمية مصطنعة، فأحياناً قد يبدأ الخلاف حول أمور منزلية كالنظافة والترتيب، ثم ينتهي إلى خلاف حول مصاريف الأسرة والزيارات وغير ذلك.

٢ ـ **لا تقل إلا خيراً:** ومن الضروري أيضاً ضبط النفس ومراقبة اللسان والتذكر بأن التراجع عن زلات اللسان وإهانة الآخرين بالكلام الجارح أمر لا ينسى ويبقى عالقاً في الذهن بحيث يصبح من الصعب إزالة آثاره.

٣ ـ **قاوم حظوظ النفس واعتذر إن أخطأت:** ليكن هدفك أثناء الخلاف، بيان الحق وإيضاحه، اسأل نفسك دائماً ماذا تريد من وراء رفع الصوت والنقاش؟ وماذا تخفي وراء عدوانيتك وانفعالاتك؟.

كم هو جميل أن يرجع الإنسان إلى ربه عندما يشعر أن وراء كل هذه الانفعالات حظًّا للنفس أو رغبة في البحث عن كبش فداء يحمله المسؤولية، ويتنصل هو منها، أو اتخاذ الخلاف ذريعة للتعبير عن الغضب والتوتر.

٤ ـ **الخلاف لا يخرج عن الزوجين**: هناك من الأزواج من يحاول إقحام الآخرين في مشاكله الزوجية وخلافاته ولو كانت بسيطة، من أجل تحويلهم إلى حلفاء ومساندين له، إن هذا السلوك يؤدي إلى نتائج تهدد العلاقة الزوجية برمتها، تكفي الحالة المؤسفة التي يراهما الآخرون عليها؛ بل قد يصبح هذا الطرف الثالث مصدر إزعاج للزوجين من خلال تضخيم الخلاف وتحويل الأمر إلى مشكل يصعب حله، ولا ننسى أن وجود شاهد على الخلاف أمر مخجل للزوجين غالباً، ولا سيما الزوجة.

■ ـ **لا تختصما أمام الأطفال**: في حال نشوب الخلاف أمام الأبناء يجب أن لا يقلل أي من الطرفين من احترامه للطرف الآخر، وأن يتم الحفاظ على الاحترام المتبادل، فكلما نشأ الأولاد وترعرعوا وهم ينظرون إلى الخلافات بين والديهم تتم بأسلوب متحضر، كلما شكَّل ذلك بالنسبة إليهم رسالة تربوية تعطي للطفل القدوة للتماسك والترابط مع الاحتفاظ بالاحترام المتبادل بالرغم من وجود الخلافات.

٦ ـ **لا ترفع صوتك أمام الأطفال الصغار**: إذا كان لديكما أطفال صغار فإن رفع الصوت يفزعهم، ولذلك إذا تحاور الزوجان أمام الأطفال فإن عليهما أن يعودا ليؤكدا أمامهم حب بعضهما بعضاً؛ لأن الابن يحتاج إلى الشعور بالأمن، وأي خلاف بين أبويه يشكل بالنسبة إليه توتراً يؤثر على نموه العاطفي والنفسي[(١)].

٧ ـ **الرجوع إلى النفس ومحاسبتها**: ومعرفة تقصيرها مع ربها الذي هو أعظم وأجل، وفي هذا تحتقر الخطأ الذي وقع عليك من صاحبك، ومعرفة أنه

---

(١) مجلة الفرحة نقلاً عن عالم حواء ٣١/١٠/٢٠٠١.

لم ينزل بلاء إلا بذنب وأن من البلاء الخلاف مع من تحب، وقد قال محمد بن سيرين: إني لأعرف معصيتي في خلق زوجتي ودابتي.

٨ ـ **ذكر المحاسن**: في بدء الحوار يحسن ذكر نقاط الاتفاق فطرح الحسنات والإيجابيات والفضائل عند النقاش مما يرقق القلب ويبعد الشيطان ويقرب وجهات النظر وييسر التنازل عن كثير مما في النفوس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، فإذا قال أحدهما للآخر: أنا لا أنسى فضلك في كذا وكذا، ولم يغب عن بالي تلك الإيجابيات عندك، ولن أتنكر لنقاط الاتفاق فيما بيننا فإن هذا حري بالتنازل عن كثير مما يدور في نفس المتحاور.

٩ ـ **لا تجعل الحقوق ماثلة دائماً أمام العين**: وأخطر من ذلك تضخيم تلك الحقوق أو جعلك حقوقاً ليست واجبة تتأصل في النفس ويتم المطالبة بها، فلا بد من التنازل عن بعض الحقوق فإنه من الصعب جدًّا حل الخلاف إذا تشبث كل من الطرفين بجميع حقوقه، وكذلك لا بد من غض الطرف عن الهفوة والزلة والخطأ الغير مقصود.

١٠ ـ **الصبر على الطبائع المتأصلة في المرأة**: مثل الغيرة كما قال ﷺ: (غارت أمكم)[١] وليكن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في تقدير الظروف والأحوال ومعرفة طبائع النفوس وما لا يمكن التغلب عليه.

١١ ـ **الرضا بما قسم الله تعالى**: فإن رأت الزوجة خيراً حمدت، وإن رأت غير ذلك قالت كل الرجال هكذا، وأن يعلم الرجل أنه ليس الوحيد في مثل هذه المشكلات واختلاف وجهات النظر.

١٢ ـ **لا تبادر في حل الخلاف وقت الغضب**: وإنما يتريث فيه حتى تهدأ النفوس، وتبرد الأعصاب، فإن الحل في مثل هذه الحال كثيراً ما يكون متشنجاً بعيداً عن الصواب[٢].

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢٧).

(٢) د. يحيى اليحيى، مجلة الأسرة، العدد ٨٠، ذو القعدة، ١٤٢٠هـ، بتصرف.

الدفء الأسري

الإنسان كلما كان أفقه واسعاً ونظرته بعيدة، وتفكيره ناضجاً، كان له من المقدرة على تجاوز الأزمات والخلافات الأسرية ما ليس عند صاحب النظرة الأحادية الحادة التي لا تنظر إلا إلى الجوانب السلبية، ونقاط الضعف، وأوجه التقصير، فيتحول إلى عدسة مكبرة تعظم الخطأ وتقلل الصواب، فيعيش حياة القلق والنكد.

لذا نقدم بعض الوصايا الخاصة بالمرأة والوصايا الخاصة بالرجل والوصايا المشتركة التي ننشد من خلالها أن يخيم الدفء الأسري على الأسرة:

أولاً: الوصايا الخاصة بالمرأة:

المرأة العاقلة الواعية الراغبة في حياة أسرية هادئة تحاول وتجاهد نفسها على أن تتمثل بهذه الصفات التي أشار إليها الرسول الكريم ﷺ:

١ ـ أن تكون المرأة مصدر سعادة لزوجها: قال النبي ﷺ: (ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته)[١].

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده)[٢].

فهي تسره إذا نظر يعني العناية بالجمال وحسن المظهر، وهذه أشياء مستلزمة لكل إنسان وهي فطرة فطر عليها الرجل والمرأة على حد سواء، ويقول

---

(١) رواه أبو داود (١٦٦٤).

(٢) رواه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٢٥٢٧).

ابن عمر: (البر شيء هين وجه طليق وكلام لين) فهي بشوشة طلِّيقة الوجه حلوة الخطاب والحديث.

وتطيعه إذا أمر: فهي موافقة للرجل وتوافقها معه في جميع أحواله، فملائمة المرأة للرجل وانسجامها معه ومعرفتها بطبع زوجها وتكيفها له من أقوى أسباب السعادة الزوجية، وهو من أبرز جوانب المرأة، وهي بعيدة عن مواطن الريب ومواضع التهم، وفي هذا أمان لقلب زوجها وبعداً للشك فيها، وحماية لها من القلوب المريضة، وهذا أصل أركان المرأة المثالية، فلا تخلو برجل غير محرم لها، ولا تخضع له بالقول، ولا تتكلم معه في غير ضرورة، ولا تطيل معه الحديث.

٢ ـ **ألا تكون مسرفة في طعامها وشرابها ولباسها**: فلا تكون محملة لزوجها ما لا يطيق، ناظرة إلى ما لبست أو اشترت فلانة؛ بل تعتبر نفسها راعية ومحافظة على مال زوجها.

٣ ـ **أن تضفي حنانها على أولادها**: فتكسب البيت كله حناناً، فليست شتامة لأولادها، ولا غليظة همها الدعاء عليهم، ولا مضيعة لتربيتهم، فهي راعية في البيت وحق على الراعي العناية برعيته: (والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها) وقد جعل الإسلام لها مقابل أتعابها ورعايتها ثلاثة حقوق على الأبناء، بينما فاز الأب بنصيب واحد.

٤ ـ **ألا تكثر الشكوى ولا تتمارض من كل عارض**: فالزوج لا يرغب أن يعيش في مستشفى، ولا يتطلع عند رجوعه من البيت إلى امرأة تزيد من همه وغمه، وإنما يتطلع إلى زوجة يسكن إليها ويفضي عندها همه وأتعابه.

٥ ـ **ألا تكون منانة**: تشعر زوجها وأولادها أنها المظلومة في هذا البيت، وأنها تضحي بنفسها من أجل الزوج والأولاد، فإن صنعت طعاماً قالت: من أجلكم فعلته، وإن لبست ثوباً أو اعتنت بنفسها تريد أن يمتدحها الزوج في كل حين، وتقول: لأجلك لبست وتزينت، وعلى الزوجة أن تكون دائمة الاعتراف بالجميل لزوجها فإن ذلك يدعم بينهما الألفة والمحبة، وما يتبعه من وفاء وإخلاص.

٦ ـ **ألا تفشي له سرًّا**: حديثها مع زوجها لا يتعدى حيطان حجرتها، كثير من النسوة مَنْ تتحدث عن زوجها عند كل الناس في العطاء والمنع، والفرح والحزن، وهذا من أقبح الصفات.

٧ ـ **بعيدة عن الروتين والجمود**: إن تغيير الروتين في المنزل من أسباب تنقية الأجواء وتحسنها سواء كان ذلك في أثاث المنزل، أو في اللباس، أو العادات في الأكل والشرب، فمرة موقع الدولاب هنا ومرة هناك، ومرة غرفة النوم في زاوية ومرة في أخرى وهكذا، فهي امرأة متجددة دائماً.

٨ ـ **أن تكون عوناً له على الطاعة والعمل**: إذا تكاسل عن الصلاة حثته عليها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)[1].

وكلما حقق زوجها هدفاً تفتح له آفاقاً أخرى ليرتقي في تحقيقها، وتقف بجانبه حتى يتحقق هدفه، وتبث فيه روح الحماسة والأمل، متخذة من أم المؤمنين خديجة ﵂ مثلاً أعلى حين وقفت بجوار النبي ﷺ وقالت: (فوالله لا يخزيك الله أبداً).

فمما يسعد الزوج أن يرى زوجته تقوم بواجبها نحو ربها وتعينه على طاعة الله وعبادته، فيكرمها حتى إن كرهها، طالما المرجع عند الخلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٩ ـ **الاقتصاد في الغيرة**: الغيرة هي دليل على حب الزوجة لزوجها وتعلقها به؛ ولكن الغيرة التي تدفع إلى معصية لا يقرها الإسلام، لذا فلا بد أن تقتصد الزوجة في غيرتها، ولا تتبع خطوات الشيطان في الشك في زوجها.

١٠ ـ **أن لا تتمنعي عليه في الجماع**: إن من حقوق الزوج على زوجته أن

---

(١) رواه أبو داود (١٣٠٨)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٣٤٩٤) من صحيح الجامع.

تستجيب له إذا دعاها إلى الفراش، قال الرسول ﷺ: (إذا أراد أحدكم من امرأته حاجته فليأتها وإن كانت على تنور)[1].

١١ ـ الرضا بما قسم الله: عليك بالقناعة والرضا بما قسم الله لك وعليك أن تنظري لمن هو دونك في الدنيا. قال الرسول ﷺ: (من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)[2]. وقال ﷺ: (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى مَنْ هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم)[3].

١٢ ـ بذل التضحية: الحياة كلها تضحيات، ولا بأس بالتنازل عن بعض الأمور وستجدي زوجك شاكراً لك على تضحيتك، وتأكدي أنه هو أيضاً يقدم تضحيات وتنازلات ولكن قد لا تعلمي بها، واحذري أن تذكريه دائماً بأنك تضحين من أجله ومن أجل الأولاد.

١٣ ـ احترمي أسرة زوجك: وإياك وإبداء الغضب والتحامل عليهم، خاصة الوالدين، فالإسلام يدعونا إلى حسن الخلق مع الجميع، وتذكري أن بره بوالديه فرض عليه فساعديه على ذلك، ليساعدك على برك بأهلك، وتذكري أنك أيضاً ستزوجين ولدك في المستقبل فما تنتظرين من زوجه ولدك؟.

١٤ ـ ابتعدي عن إثارة الشجار أو الخصام: كوني مصدراً لإسعاده لا لشقائه، ومن الخطأ إشراك الآخرين في المشاكل الزوجية، إن الشجار والخصام كلها لا فائدة لها ما دمتما تعيشان سويًا، بل إن بعض الزوجات يتفاخرن في أنه مضى شهر أو أكثر وهي لا تكلم زوجها وهو معها في البيت، وقد أوصى الرسول ﷺ بأن لا يقاطع المسلم أخاه فوق ثلاث ليال فقال ﷺ:

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وقال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح الجامع حديث رقم (٣٠١).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٤٩)، وقال الألباني: (حسن). انظر صحيح الجامع حديث (٦٠٤٢).

(٣) ابن ماجه (٤١٤٢) وصححه الألباني. انظر: حديث رقم (١٥٠٧) من صحيح الجامع.

(لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان: فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)[1] هذا مع المسلم وصاحبه، فما الظن بالزوجين؟! وهذه كلها تترك رواسب نفسية تتجلى آثارها الوخيمة في المستقبل، فلا يستهوينك الشيطان وغضي الطرف طاعة لله.

١٥ ـ **حافظي على هندامك ونظافتك**: واهتمي بجمال صورتك، ورتبي البيت، واقتني آنيات الزهور، هذه وسائل تطيب العيش وتكون عاملاً من عوامل الراحة النفسية التي هي من أهم أسباب نجاح الحياة الزوجية.

١٦ ـ **نسيان الأذى**: امسحي من ذاكرتك ـ قدر الإمكان ـ أذى زوجك لك في الأيام السابقة، حاولي أن تتذكري دائماً أن زوجك ـ وهو أيضاً يعيش هذا التفكير نحوك حتى وإن لم يظهره ـ هو أغلى ما عندك، وهو الوسادة التي تتكئين عليها في الشدائد سامحيه على أخطائه.

١٧ ـ **احفظي غيبته**: يجب عليك أن تحافظي على أسرار زوجك وما يحدث بينكما، وتحفظيه في أولاده بحسن التربية والتعليم والتأديب ورعاية صحتهم، ولا تخرجي من بيته إلا بإذنه، وأن تكرمي ضيوفه.

١٨ ـ **حسن الاستقبال**: من الأمور التي تسعد به الزوجة زوجها أن تحسن استقباله عند عودته إلى البيت فتمسح عنه متاعبه في العمل وتخفف عنه عناء ومشقات الحياة، قال الرسول ﷺ: (لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)[2].

١٩ ـ **ابعدي عن اللوم الزائد**: الرجال أقل تذكراً من النساء لجزئيات الحياة، كيوم الزواج، أو بعض الذكريات السعيدة التي تحب المرأة أن يتذكرها زوجها، أو حتى نسيان المواد التي تطلبها الزوجة لغذاء ذلك اليوم، وهنا من الأفضل التغاضي عن توجيه اللوم الزائد.

---

(١) رواه البخاري (٥٧٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦). وانظر للمزيد: وصايا للسعادة الزوجية، د. حسان شمسي باشا.

ثانياً: الوصايا الخاصة بالرجل:

١ ـ لا تهن زوجتك، فإن أي إهانة توجهها إليها، تظل راسخة في قلبها وعقلها.

وأخطر الإهانات التي لا تستطيع زوجتك أن تغفرها لك بقلبها، حتى ولو غفرتها لك بلسانها، هي أن تنفعل فتضربها، أو تشتمها أو تلعن أباها أو أمها، أو تتهمها في عرضها، فالإهانة من أعظم ما يثير غضب المرأة، ويجعلها تصدر تصرفات لا عقلانية، وكثيراً ما يفعل ذلك بعض الأزواج، فإذا ما أمرها بشيء وطاوعته قال ممازحاً: رغماً عنك، بعض النساء تعاند وتترك ما كانت تنوي فعله.

فمن أراد الحد من مشاكله الزوجية، والعيش عيشة هنية، فليلتزم عدم إشعار زوجته بأنها مهانة لديه، بل يشعرها أنها معززة مكرمة، فهي محبوبته وقرة عينه، وهي أنيسته في حياته ورفيقته في دربه.

وكما يكون الإكرام قولاً فهو كذا فعلاً، فتلبية احتياجاتها وعدم تأخيرها إلا بقدر يشعرها بقيمتها لديك، ثم الثناء عليها، وما أدراك ما الثناء، وفعله في قلبها، إن الثناء من الأزواج له مذاق آخر، لا يقاوم، كالمغناطيس يجذبها إليك ولا تنس الثناء عليها بين الفينة والأخرى أمام ذويها وذويك، في حضرتها وغيابها، وما أجمل أن تسمعها ثناءك عليها حيث لا توجد، كأن يكون أهلك حاضرين لزيارتكم فتطلب منها كأس ماء، وعند قيامها وبعد أن تخرج بحيث لا تراها وتسمعك هي تثني عليها كقولك: الحمد لله الذي رزقني زوجة رائعة، لا حرمني الله منها، وما شابه من ألفاظ.

٢ ـ أحسِنْ معاملتك لزوجتك تحسن إليك، أشعرها أنك تفضلها على نفسك، وأنك حريص على إسعادها، ومحافظ على صحتها، ومضحٍ من أجلها، إن مرضت مثلاً، بما أنت عليه قادر.

٣ ـ تذكر أن زوجتك تحب أن تجلس لتتحدث معها وإليها في كل ما يخطر ببالك من شؤون، لا تعد إلى بيتك مقطب الوجه عابس المحيا، صامتاً أخرساً، فإن ذلك يثير فيها القلق والشكوك.!!

٤ ـ لا تفرض على زوجتك اهتماماتك الشخصية المتعلقة بثقافتك أو تخصصك، فإن كنت أستاذاً في الفلك مثلاً فلا تتوقع أن يكون لها نفس اهتمامك بالنجوم والأفلاك!!.

٥ ـ كن مستقيماً في حياتك، تكن هي كذلك، وحذار من أن تمدن عينيك إلى ما لا يحل لك، سواء كان ذلك في طريق أو أمام شاشة التلفاز، وما أسوأ ما أتت به الفضائيات من مشاكل زوجية!!. قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

٦ ـ إياك إياك أن تثير غيرة زوجتك، بأن تذكرها من حين لآخر أنك مقدم على الزواج من أخرى، أو تبدي إعجابك بإحدى النساء، فإن ذلك يطعن في قلبها في الصميم، ويقلب مودتها إلى موج من القلق والشكوك والظنون، وكثيراً ما تتظاهر تلك المشاعر بأعراض جسدية مختلفة، من صداع إلى آلام هنا وهناك فإذا بالزوج يأخذ زوجته من طبيب إلى طبيب!!.

٧ ـ لا تذكر زوجتك بعيوب صدرت منها في مواقف معينة، ولا تعيرها بتلك الأخطاء والمعايب، وخاصة أمام الآخرين.

٨ ـ عدِّل سلوكك من حين لآخر، فليس المطلوب فقط أن تقوم زوجتك بتعديل سلوكها، وتستمر أنت متشبثاً بما أنت عليه، وتجنب ما يثير غيظ زوجتك ولو كان مزاحاً.

٩ ـ اكتسب من صفات زوجتك الحميدة، فكم من الرجال ازداد التزاماً بدينه حين رأى تمسك زوجته بقيمها الدينية والأخلاقية، وما يصدر عنها من تصرفات سامية.

١٠ ـ الزم الهدوء ولا تغضب فالغضب أساس الشحناء والتباغض، وإن أخطأت تجاه زوجتك فاعتذر إليها، لا تنم ليلتك وأنت غاضب منها وهي

حزينة باكية، تذكر أن ما غضبت منه ـ في أكثر الأحوال ـ أمر تافه لا يستحق تعكير صفو حياتكما الزوجية، ولا يحتاج إلى كل ذلك الانفعال، واستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وهدئ ثورتك، وتذكر أن ما بينك وبين زوجتك من روابط ومحبة أسمى بكثير من أن تدنسه لحظة غضب عابرة، أو ثورة انفعال طارئة.

١١ ـ امنح زوجتك الثقة بنفسها، لا تجعلها تابعة تدور في مجرتك وخادمة منفذة لأوامرك؛ بل شجعها على أن يكون لها كيانها وتفكيرها وقرارها، استشرها في كل أمورك، وحاورها؛ ولكن بالتي هي أحسن، خذ بقرارها عندما تعلم أنه الأصوب وأخبرها بذلك وإن خالفتها الرأي فاصرفها إلى رأيك برفق ولباقة.

١٢ ـ أثن على زوجتك عندما تقوم بعمل يستحق الثناء، فالرسول ﷺ يقول: (من لم يشكر الناس لم يشكر الله)[١].

١٣ ـ توقف عن توجيه التجريح والتوبيخ، ولا تقارنها بغيرها من قريباتك اللاتي تعجب بهن، وتريدها أن تتخذهن مثلاً أعلى تجري في أذيالهن، وتلهث في أعقابهن.

١٤ ـ حاول أن توفر لها الإمكانات التي تشجعها على المثابرة وتحصيل المعارف، فإن كانت تبتغي الحصول على شهادة في فرع من فروع المعرفة فيسر لها ذلك، طالما أن ذلك الأمر لا يتعارض مع مبادئ الدين، ولا يشغلها عن التزاماتها الزوجية والبيتية، وتجاوب مع ما تحرزه زوجتك من نجاح فيما تقوم به.

١٥ ـ أنصت إلى زوجتك باهتمام، فإن ذلك يعمل على تخليصها مما ران عليها من هموم ومكبوتات، وتحاشى الإثارة والتكذيب، ولكن هناك من النساء

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٢١)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٦٥٤١) في صحيح الجامع.

من لا تستطيع التوقف عن الكلام، أو تصب حديثها على ذم أهلك أو أقربائك، فعليك حينئذ أن تعامل الأمر بالحكمة والموعظة الحسنة.

١٦ ـ أشعر زوجتك بأنها في مأمن من أي خطر، وأنك لا يمكن أن تفرط فيها، أو أن تنفصل عنها.

١٧ ـ أشعر زوجتك أنك كفيل برعايتها اقتصاديًا مهما كانت ميسورة الحال، لا تطمع في مالٍ ورثته عن أبيها، فلا يحل لك شرعاً أن تستولي على أموالها، ولا تبخل عليها بحجة أنها ثرية، فمهما كانت غنية فهي في حاجة نفسية إلى الشعور بأنك البديل الحقيقي لأبيها.

١٨ ـ حذار من العلاقات الاجتماعية غير المباحة، فكثير من خراب البيوت الزوجية منشؤه تلك العلاقات.

١٩ ـ وائم بين حبك لزوجك وحبك لوالديك وأهلك، فلا يطغى جانب على جانب، ولا يسيطر حب على حساب حب آخر، فأعط كل ذي حق حقه بالحسنى، والقسطاس المستقيم.

٢٠ ـ كن لزوجك كما تحب أن تكون هي لك في كل ميادين الحياة، فإنها تحب منك كما تحب منها، قال ابن عباس ﷺ: (إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين المرأة لي)(١).

٢١ ـ أعطها قسطاً وافراً وحظًا يسيراً من الترفيه خارج المنزل، كلون من ألوان التغيير، وخاصة قبل أن يكون لها أطفال تشغل نفسها بهم.

٢٢ ـ شاركها وجدانيًا فيما تحب أن تشاركك فيه، فزر أهلها وحافظ على علاقة كلها مودة واحترام تجاه أهلها.

٢٣ ـ لا تجعلها تغار من عملك بانشغالك به أكثر من اللازم، ولا تجعله يستأثر بكل وقتك، وخاصة في إجازة الأسبوع، فلا تحرمها منك في وقت

---

(١) الدر المنثور، للإمام جلال الدين السيوطي.

الإجازة سواء كان ذلك في البيت أم خارجه، حتى لا تشعر بالملل والسآمة.

٢٤ ـ إذا خرجت من البيت فودعها بابتسامة وطلب الدعاء، وإذا دخلت فلا تفاجئها حتى تكون متأهبة للقائك، ولئلا تكون على حال لا تحب أن تراها عليها، وخاصة إن كنت قادماً من السفر.

٢٥ ـ حاول أن تساعد زوجك في بعض أعمالها المنزلية، فلقد بلغ من حسن معاشرة الرسول ﷺ لنسائه التبرع بمساعدتهن في واجباتهن المنزلية، قالت عائشة ﵂: (كان ﷺ يكون في مهنة أهله ـ يعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)(١).

٢٦ ـ حاول أن تغض الطرف عن بعض نقائص زوجتك، وتذكر ما لها من محاسن ومكارم تغطي هذا النقص لقوله ﷺ: (لا يفرك ـ أي لا يبغض ـ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)(٢).

٢٧ ـ على الزوج أن يلاطف زوجته ويداعبها، وتأس برسول الله ﷺ في ذلك: (فَهَلَّا بكراً تلاعبها وتلاعبك)(٣).

وحتى عمر بن الخطاب ﵁ ـ وهو القوي الشديد الجاد في حكمه ـ كان يقول: [ينبغي للرجل أن يكون في أهله مثل الصبي (أي في الأنس والسهولة) فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً](٤).

٢٨ ـ استمع إلى نقد زوجتك بصدر رحب، فقد كان نساء النبي ﷺ يراجعنه في الرأي، فلا يغضب منهن.

٢٩ ـ أحسن إلى زوجتك وأولادك، فالرسول ﷺ يقول: (خيركم خيركم لأهله)(٥)، فإن أنت أحسنت إليهم أحسنوا إليك، ويبدلوا حياتك التعيسة سعادة

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤). (٢) سبق تخريجه.
(٣) رواه البخاري (١٩٩١)، وأبو داود (٢٠٤٨).
(٤) كنز العمال (٤٥٩١٨).
(٥) رواه الترمذي (٣٩٨٥)، وابن ماجه (١٩٧٧)، وانظر: السلسلة الصحيحة (٢٨٥) وصحيح ابن ماجه (١٦٠٨).

وهناء، لا تبخل على زوجك ونفسك وأولادك، وأنفق بالمعروف، فإنفاقك على أهلك صدقة. قال ﷺ: (دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك)[1].

٣٠ ـ ألا تتوقع أن تكون شريكة حياتك صدى لنفسك؛ لأنها نشأت نشأة مختلفة عن نشأتك، أما بعض الصفات التي لا تروقك فطول العشرة وحسن المعاشرة بالإضافة إلى التفاهم في أمور كثيرة كفيلة بإزالتها، فالشريك يتأثر بأخلاق شريكه حتى ولو لم يظهر ذلك، بشرط أن لا تجعل تلك الصفات مادة لاحتقار شريكة حياتك لأن ذلك يزيدها عناداً وإصراراً.

٣١ ـ ألا تجعل نفسك مقياساً للصفات الجيدة، ولا تحاول المقارنة بينك وبين زوجتك؛ ليكن مقياسك القرآن الكريم والتوجهات النبوية الشريفة وسيرة الصالحين، فاذكر الصفات الحسنة في الجميع لأن الإسلام حث على ذلك ونهى عن ذكر السيئات.

٣٢ ـ التغاضي عن توافه الأمور، فالاختلاف في الذوق سواء في الطعام أو الشراب أو غير ذلك أمر وارد؛ لكن يجب ألا تتحول هذه الأمور إلى مادة نزاع بين الزوجين.

٣٣ ـ تبادل الهدايا: تبادل الهدايا بين الأزواج لا سيما هدايا الزوج للزوجة، أحد أسباب غرس المحبة بينهما، يقول رسول الله ﷺ: (تهادوا تحابوا)[2]. فالهدية هي تعبير عن المودة، وهي كسر لجمود ورتابة العلاقات الإنسانية، فإن كانت مثل هذه الهدايا تفعل فعلها وسط الأصدقاء والمعارف، فإن تأثيرها وسط الأزواج أكثر فاعلية وأعظم أثراً. ولا يشترط أن تكون الهدايا من تلك المقتنيات الثمينة الفاخرة؛ لأن الغرض من الهدية هو إظهار مشاعر

---

(١) رواه مسلم (٩٩٥). وانظر للمزيد: وصايا للسعادة الزوجية، د. حسان شمسي باشا.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وقال الألباني: (حسن). انظر: حديث رقم (٣٠٠٤) في صحيح الجامع.

الود والألفة في المقام الأول، وذلك يتحقق بأي مستوى من القيمة المادية للهدية؛ ولا مانع طبعاً إن كانت غالية وكل حسب طاقته وسعته.

ثالثاً: الوصايا المشتركة:

١ ـ تبادل الحب والعطف بين الزوجين من ناحية، وبينهما وبين الأولاد من ناحية أخرى، فإن الأسرة إذا غادرها الحب، وهجرها العطف لا بد أن تتفاعل فيها عوامل الانهيار والهدم، فتهدد مصير الأسرة، إن الحب المتبادل يجب أن يرقد في قلب كل واحد من أفراد الأسرة، حتى يكون قنديلاً يضيء له الدروب الحياتية، وحتى يكون نبراساً لمسيرته نحو روافد السعادة، وينابيع الازدهار، ومنابع الخير والنعيم، ومن ثَمَّ يكون مشعل الحياة الفضلى في درب الحياة الكبير.

إن الحب المتبادل هو العامل الفعال الذي يدفع كل واحد من أفراد الأسرة إلى أن يتحمل مسؤولياته برحابة صدر وفرح، فكل واحد يشعر بأنه سعيد لأنه يتمتع بعطف الآخرين، وحبهم العميق.

٢ ـ يجب أن يسود التعاون المشترك في المجالات المختلفة بين أفراد العائلة؛ لكي لا تشل الأسرة عن حيويتها، ونشاطها بصورة مستمرة، فإن التعاون يكنس الإرهاق، ويذيب التذمر من تحمل المسؤوليات، وكذلك يوطد علاقات أفراد الأسرة بعضهم مع بعض، ولا يدع مجالاً أن يتسرب التفكك إلى ربوع العائلة المسلمة التي تلتزم بمبدأ التعاون، والتكافل الاجتماعيين.

والتعاون بين أفراد العائلة لا بد وأن يقود سفينة الحياة نحو مرافئ السعادة، ونحو موانئ الرفاه والهناء والدفء، والتعاون لا بد أن يحقق كل الآمال التي يعيشها أفراد العائلة فرداً فرداً، وتترجمها على حلبة الواقع العملي، التعاون لا بد أن يجسد كل الأماني التي تدور في سراب الأفكار، فتمثلها مجسمة نابضة بالحياة.

٣ ـ تبادل الاحترام، والتوقير، والإحسان، سواء من جانب الصغير

للكبير، أو من جانب الكبير للصغير، فإن الاحترام، والإحسان يزرعان بذور الشعور بالشخصية، ويغرسان أوتاداً توطد العلاقات الأسرية بين الأفراد فعلى الوالدين أن يرحما الأولاد.

لكي يحترمهما الأولاد من جانبهم، وكذلك على الأبناء أن يحترموا الآباء ويحترم أحدهم الآخر.

٤ ـ طاعة الأب من قبل جميع أفراد العائلة لأنه يمثل النقطة المركزية في الأسرة، ولأنه أعرف ـ بحكم تجاربه وثقافته ـ بالمصالح الفردية والاجتماعية لكل واحد منهم، وطبيعي أن الإسلام يقرر الطاعة للأب في حدود طاعة الخالق، فلو تمرد الوالد على مقررات النظام العام وشذ عن حدود العقيدة وأطر الاعتدال، فلا يجوز للأولاد أو الزوجة طاعته في الأمور العقائدية والدينية، قال ﷺ: (لا طاعة لأحد في معصية الله إنما الطاعة في المعروف)[1].

٥ ـ قيام الزوج بواجب النفقة، وتجهيز الملبس، والمسكن للزوجة والأولاد في مقابل قيمومته عليهم، فإن كل هذه الأسس توطد علاقات أفراد العائلة وتربطهم الواحد بالآخر أكثر فأكثر.. وتجعل منهم جسداً واحداً إذا اشتكى منه عضو، اشتكت بقية الأعضاء.

٦ ـ التصالح عن طيب خاطر: الصلح الذي لا يأتي عن طيب خاطر، وعن عدم رضا وقناعة، يكون دائماً عرضة لأية نزاعات أو خلافات مستقبلية، وتحقيق أية مصالحة جيدة يكمن غالباً في العطاء المتبادل والمتكافئ من الطرفين والتسامح، فعندما يدرك كلا الشريكين أنهما قد ساهما بقدر مشترك من التضحيات والتنازلات لتحقيق الدفء الأسري، حينئذ سيعمل كل طرف جاهداً على نجاح ما تم الاتفاق عليه وعدم إعاقة سيره، أو البحث عن مشكلات جديدة.

٧ ـ كسر النمطية: فالإنسان بطبعه يحب التجديد في كل أمر من أمور

---

(١) رواه أحمد وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٧٥١٩) من صحيح الجامع.

دنياه، والنمطية والروتين أحد أسباب الملل وجلب الكآبة، لذلك ينبغي على الزوج والزوجة أن يضفيا على حياتهما نوعاً من التغيير وألا يعكفا على نمط واحد، كأن تجتهد الزوجة في تغيير زينتها بما يناسبها، أو تتعلم نوعاً جديداً من الأطعمة والمشهيات فتضيفه إلى مائدتهما، وعليها كذلك من وقت لآخر أن تغير من صورة بيتها بنقل الأثاث وتحويره من مكان إلى آخر.

والزوج مطالب كذلك بأن يكسر الروتين بوسائل كثيرة منها على سبيل المثال الخروج مع أهله للترويح عن النفس من خلال الرحلات المشروعة والمباحة من دون إفراط ولا تفريط، زيارة الأقارب بين حين وآخر.

* * *

الفصل الثاني

المشكلات الزوجية

المشكلات الزوجية

يؤدي اختلاف المشارب والأذواق بين الزوجين إلى ظهور الاختلافات والنزاعات بينهما، والقول بأن الحياة الزوجية يمكن أن تسير دون نزاع وخلاف بين الطرفين أمر مستحيل وبعيد عن الحقيقة؛ ولكن من الواقعي بمكان أن نبحث عن وسائل الاستفادة من هذا الخلاف وعدم تصعيد الخلاف، فالزوج جاء من بيئة غير بيئة الزوجة، والاختلاف هذا سواء في الطباع أو العادات يؤدي ولا بد إلى التصادم. ومن هنا كان لزاماً على الزوج والزوجة على السواء إلى تفهم هذا الأمر، وهذا يفسر لنا أن الحياة الزوجية في بدايتها ـ في الغالب ـ مشحونة ومملوءة بالخلافات، لذا في هذه الفترة يجب على الزوجين ضبط النفس وعدم الانفعال في كل مشكلة وخلاف؛ لأنها قد تكون كثيرة وقد تكون قليلة من أسرة لأخرى، وكما قال الرسول ﷺ عن المرأة وأنها خلقت من ضلع أعوج: (فدارها تعش بها)[1].

إن الإسلام يوصي في حالة النزاع العائلي بين الزوجين أن يلجأ أحد الطرفين إلى الصمت في سبيل الله، وأن يغض الطرف عن أخطاء الطرف الآخر، وأن يتعامل معه بما يرضي الله ورسوله.

وما أكثر النزاعات التي تنشأ من حساسية المرأة أو غيرتها ولكن فطنة الرجل ويقظته تعيد المياه إلى مجاريها فيخفت النزاع ويعم الاستقرار في محيط الأسرة.

إن الحياة الزوجية ترافقها المشاكل ولا يمكن تحملها إلا بالصبر وضبط

---

(١) رواه أحمد، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (١٩٤٤) في صحيح الجامع.

النفس، وتفويت الفرصة على شيطان الغضب، والتسامح، وغض الطرف قليلاً عن أخطاء الطرف الآخر، وهذا رسول الله ﷺ قمة الخلق الإنساني يقول: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[1].

والمشكلات الزوجية من الموضوعات الشائكة نظراً للآثار المترتبة على حدوثها من تشتت الأسر، وتهدم كيانها وضياع أفرادها، وما إلى ذلك من انعكاسات خطيرة على أخلاقهم وعلى تصوراتهم وأفكارهم وبالتالي أضرار خطيرة على أنفسهم وأمتهم.

وبعض الناس لا يقيم لهذه المسألة وزناً ويعتبرها من القضايا الهامشية، وما عَلِمَ الاهتمام الشديد والتركيز الشديد الذي حظيت به قضية الأسرة من قبل التشريع الإسلامي.

فقد جعل الإسلام من مسؤوليات الرجل ـ وهو يبدأ في تكوين اللبنة الأولى من لبنات المجتمع ـ أن يحسن اختيار الزوجة؛ لأن سوء الاختيار يجعل الإنسان يعيش المشكلة من أساسها؛ لأنه لم يعرف كيف يختار شريكة حياته وأم ولده أو أنه وضع لاختياره معايير ليست شرعية، وهذا يؤدي إلى المشاكل الزوجية؛ ومن ثَمَّ لا بد أن نعرف أسباب هذه المشاكل.

* * *

(١) ابن ماجه (١٩٧٧)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٣٣١٤) من صحيح الجامع.

المبحث الأول

أسباب المشكلات الزوجية

١ - **التهاون بالذنوب والمعاصي**: المعاصي تزيل النعم وتشتت القلب وتدمر المبادئ والقيم، يقول أحد السلف: (إني لأعصي الله فأرى سلوك ذلك في زوجتي ودابتي).

فالزوج عندما يكون قائماً بحدود الله مستمسكاً بعروة الله وكذلك الزوجة، متأدبين بآداب الشرع فمن أين تأتي المشاكل، فلو حصل أي نقص بسبب بشرية الزوجين فسرعان ما يقضى عليه بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فمن أعظم ثمرات الطاعة أن يدوم الوئام وأن يحصل الوفاق بين الزوجين.

٢ - **إهمال الحقوق**: إن الحياة الزوجية تنطوي على حقوق وواجبات يتوجب على الزوجين رعايتها واحترامها، وإن معرفة هذه الحقوق والواجبات أولاً هي الخطوة الأساس في طريق بناء الأسرة الصالحة المنشودة، وعدم احترام هذه الحقوق يؤدي للنزاع والشقاق، وقد بينا حقوق الزوجين كل منهما تجاه الآخر والحقوق المشتركة بينهما فلتراجع.

٣ - **تدخل الأقارب والجيران في المشاكل وتكبيرها**: ويأتي التدخل بخلل من الزوج أو الزوجة، هو يشتكي أو هي تشتكي للأقارب، فينبغي عدم التدخل في شؤون الأسرة من خارج نطاق الأسرة سواء من الأقارب أو الأصدقاء، فليس لأحد الوصاية على الأسرة؛ بل إن التدخل كثيراً ما يأتي بالخلافات.

٤ - **تضخيم العيوب**: عدم النظر إلى المحاسن والإيجابيات والتركيز على

الأخطاء والسلبيات، قال ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)(١).

٥ ـ **سوء الظن**: من قبل الزوج أو من قبل الزوجة حتى تفقد الثقة، وفقدان الثقة تدمير للأسرة، ما ينبغي للزوجة أن تخفي عن زوجها شيئاً، يجب عليهما أن يولدا الثقة بينهما، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

٦ ـ **الجهل بالوسائل الشرعية**: عدم معرفة الوسائل الشرعية في علاج الخلافات الطفيفة التي تحصل في الأسرة، إذ لا يتبادر إلى الزوجين عند أي مشكلة سوى الطلاق، وهذا خطأ، فالطلاق آخر علاج، فهناك وسائل شرعية منها: الوعظ، والهجر في المضاجع، والضرب الغير مبرح، إرسال حكماً من أهله وآخر من أهلها حتى يصلحوا، فإن لم تنفع هذه الأساليب كلها طلقها طلقة واحدة في طهر لم يمسها فيه(٢).

٧ ـ **تحكيم العاطفة**: تحكيم العاطفة أو المصلحة المادية عند اختيار الزوج أو الزوجة، فكثيراً ما ينشأ الزواج عن حب عاطفي مشبوب لا يلبث أن يفتر بعد الزواج بأشهر قلائل، وما يلبث أن يكتشف الزوجان أن بينهما بوناً شاسعاً في الأخلاق أو المزاج أو الثقافة أو الميول، وكثيراً ما ينشأ الزواج عن الإعجاب بالجمال في الزوج أو الزوجة، يعجب الشاب بجمال فتاة، فيطلب إلى أهله أن يخطبوها له، ثم سرعان ما ينكشف له الجمال الجسمي عن قبح نفسي ودمامة خلقية.

وقد تعجب الفتاة بشاب وسيم الطلعة فتسرع إلى إجابة طلبه، ثم يشتد بها الأسى حين تكتشف فيه خلقاً سيئاً أو طبعاً دنيئاً، وكثيراً ما ينشأ الزواج عن طمع في الثروة.

---

(١) رواه مسلم (١٤٦٩).

(٢) المشكلات الزوجية أسبابها وعلاجها شريط للشيخ سعيد بن مسفر.

٨ ـ سوء فهم كل من الزوجين لطباع الآخر: قد يكون الزوج حاد المزاج، شديد الإحساس يتأثر لأقل الأشياء التي يراها مخالفة لذوقه، فلا تراعي زوجه فيه هذا، فتضحك وهو غضبان، وتعرض عنه وهو يوجه إليها الخطاب، ويتكلم الكلمة فتجيبه عليها بعشر كلمات.

وقد تعجب الزوجة باللون الأحمر من الثياب فيجبرها الزوج على أن تلبس الأبيض مثلاً، وقد تحب شرب اللبن وهو لا يميل إليه، فيجبرها على أن تترك ما تميل إليه إلى ما يميل هو إليه، فما تلبث الزوجة أن تشعر بالانقباض، ثم ينقلب الانقباض إلى تبرم، ثم يؤدي التبرم إلى النزاع لأقل سبب.

٩ ـ عدم تقدير الزوجة لأعباء زوجها وواجباته الاجتماعية: فقد يكون الزوج سياسيًّا من واجبه أن يجتمع إلى الناس ويستقبلهم، وقد يكون عالماً أو أستاذاً من واجبه أن يقرأ ويكتب، فتضيق زوجه بالاجتماعات العامة، وتتبرم من قراءاته وكتاباته؛ بل تتبرم من كتبه وتتأفف منه حين تراه يدخل البيت وفي يده كتاب جديد، ولقد كانت زوجة الإمام الزهري تتبرم منه حين تراه منكباً على كتبه وتقول له: (والله لهذه الكتب أشد علي من ثلاث ضرائر) ولئن كان من حق الزوجة أن يخصص لها وقتاً ليؤنسها ويأنس بها، فليس من حقها أن تنكر عليه تفرغه لواجبه الاجتماعي أو العلمي، أو أن تظهر السخط على عمل يرتاح إليه ضميره وتطمئن إليه نفسه.

١٠ ـ تدخل الزوج في الشؤون المنزلية أكثر مما ينبغي: كم من رجل فارغ من العمل يقف مع زوجته في المطبخ فيقول لها: الماء الذي وضعته قليل، أكثري من الملح، خففي النار، حرِّكي الطعام، وهكذا تضيق زوجته بفضوله، فما تلبث يوماً بعد يوم أن تنفجر وتثور، وإذا كان من حق الزوج أن يبدي رغبته في الطعام الذي يأكله فليس من حقه أن ينصّب نفسه طاهياً يُعَلِّم امرأته أصول الطهي كل يوم.

١١ ـ عدم مراعاة الزوجة لأوضاع زوجها المالية: فهي تريد أن تلبس كما تلبس صديقتها تلك، وتريد أن تستكثر من الزينة أو أثاث البيت كما استكثر

فلان من أثاث بيته وزينته، دون أن تلحظ الفرق بين ثروة زوجها وزوج صديقتها أو جارتها، وما أكثر المناسبات عندنا لشراء الثياب، وهكذا يرهق الزوج في ميزانيته، ويضطر إلى أحد أمرين: إما أن يستدين ويرهق نفسه نزولاً عند رغبة زوجته، وإما أن يتحمل الخصام والخلاف بينه وبينها ليحافظ على ميزانيته وكرامته بين الناس[1].

١٢ ـ إفشاء الأسرار: قد يفشي الزوج أو الزوجة بعض الأسرار لقريب أو صديق، مما يسبب الخلافات بين الزوجين، ويزداد الأمر فيكون حراماً إذا كانت هذه الأسرار هي أسرار الجماع، قال رسول الله ﷺ: (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)[2].

○ كيفية حل المشكلات:

ينبغي على الزوجين أن يأخذا مسائل الخلافات بتعقل ووعي وهدوء، وحسن ظن وأن ينظرا نظرة واقعية إلى الخلافات الزوجية إذ إنها من الممكن أن تكون عاملاً من عوامل الحوار والتفاهم إذا أحسن التعامل معها.

والأسلوب الذي يتبعه الزوجان في مواجهة الخلاف إما أن يقضي عليه أو يضخمه ويوسع نطاقه.

وقبل الدخول في حل الخلافات يحسن التنبه إلى بعض الضوابط:

أولاً: لا شك أن للكلمات الحادة، والعبارات العنيفة، والكلمات غير الموزونة والمحسوبة، لها صدى يتردد باستمرار حتى بعد انتهاء الخلاف، علاوة على الصدمات والجروح العاطفية التي تتراكم في النفوس، لهذا ينبغي البعد عن الكلام الفاحش، والحط من النسب أو الجاه أو المكانة، أو سب الأسرة والأهل والأقارب.

---

(١) مشكلاتنا العائلية وأسبابها، د. مصطفى السباعي.

(٢) رواه مسلم (١٤٣٧)، وأبو داود (٤٨٧٠).

ثانياً: لزوم الصمت والسكوت على الخلاف حل سلبي مؤقت للخلاف، إذ سرعان ما يثور البركان عند دواعيه، وعند أدنى اصطدام.

ثالثاً: البعد عن أساليب التهكم والسخرية، أو التعالي والغرور.

فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: (لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً)[1].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: (لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً كان يقول لأحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه)[2].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: (إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)[3].

رابعاً: البعد عن التعالي بالنسب أو المال أو الجمال أو الثقافة، فإن هذا من أكبر أسباب فصم العلاقات بين الزوجين. قال ﷺ: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)[4] أي رد الحق واحتقار الناس.

فعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد)[5].

ولكن إذا وقعت الخلافات الزوجية فينبغي اتباع الخطوات التالية:

- تحديد موضع النزاع والتركيز عليه، وعدم الخروج عنه بذكر أخطاء أو تجاوزات سابقة، أو فتح ملفات قديمة، ففي هذا توسيع لنطاق الخلاف.
- أن يتحدث كل واحد منهما عن المشكلة حسب فهمه لها، ولا يجعل فهمه صواباً غير قابل للخطأ أو أنه حقيقة مسلمة لا تقبل الحوار ولا النقاش.
- لا تجعل الحقوق ماثلة دائماً أمام العين، وأخطر من ذلك تضخيم تلك

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٦). (٢) رواه البخاري (٥٦٨٤).
(٣) رواه البخاري (٥٦٨٥). (٤) رواه مسلم (٩١).
(٥) رواه مسلم (٢٨٦٥)، وأبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩).

الحقوق، أو جعل حقوقاً ليست واجبة في قنوات الواجب فتتأصل في النفس ويتم المطالبة بها.

- إدراك كلا الجانبين حق الآخر ووظيفته وحدود مسؤولياته.
- الاعتراف بالخطأ عند استبانته وعدم اللجاجة فيه، (فالاعتراف بالحق خير من التمادي في الباطل) والاعتراف بالخطأ طريق الصواب.

وينبغي ألا يستعمل هذا الاعتراف أداة ضغط؛ فبعض الناس يجعل الاعتراف بالخطأ في سجل السيئات فكلما حدثت مشادة، أو سوء فهم، قال الزوج أو الزوجة للآخر: تذكر المشادة الماضية لما اعترفت أنك مخطئ فيها وتبين صواب قولي وسلامة تصرفي، فهذا مما يحمل الآخر على عدم الاعتراف مرة ثانية واللجوء إلى اللجاجة والمراء والمخاصمة ومحاولة الانتصار بحق أو باطل.

- الصبر على الطبائع المتأصلة في المرأة مثل الغيرة. كما قال ﷺ: (غارت أمكم) وليكن لنا في رسول ﷺ أسوة حسنة في تقدير الظروف والأحوال ومعرفة طبائع النفوس وما لا يمكن التغلب عليه.

فعن أنس قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: (غارت أمكم) ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت[1].

- يجب أن يعلم ويستيقن الزوجان بأن المال ليس سبباً للسعادة، وليس النجاح في الدور والقصور إنما النجاح في الحياة الهادئة السليمة من القلق البعيدة من الطمع.

(١) رواه البخاري (٤٩٢٧).

- تقدير حجم الخطأ وعدم تضخيمه، ويعالج بقدره ولا يزاد عليه ويتمادى فيه فلا يتعدى الحدود المعقولة في معالجة الخطأ. انظر إلى رسول الله ﷺ يجد من بعض زوجاته خطأ ومخالفة فيعالجها في لحظات ولا يبقى لها أثراً بعد ذلك، لا كمن يطيل أمد الغضب والهجر أياماً في أمر لا يستحق كل هذا.

❁ ❁ ❁

الوهن الثاني

نماذج من المشكلات الزوجية

إن الإنسان ينشد الاستقرار الأسري في جميع مراحل عمره، وهذا الاستقرار الأسري لا يتحقق في جو من المشاحنات والنكد، وكيل الاتهامات وتصيد الزلات والاستجابة لما يدور في النفس من الوساوس وسوء الظن، ولا شك أنه لا يخلو بيت من البيوت من المشاكل، والمشاكل إذا كانت في حدودها المعقولة فهو أمر طبيعي، أما إذا تدخل أهل الزوجة أو أهل الزوج في حل المشاكل وكانوا من أهل العقل وحسن التدبير فإن المشكلة تتلاشى، ولن ترى لها وجوداً، أما إذا كان المتدخل جاهلاً فإنه يسير في حله للمشكلة وفق ما يمليه عليه عقله وغيرته على قريبته أو قريبه، فيزداد الأمر سوء لسوء فهم هذا القريب.

وقد يظن البعض السعادة في الثراء ولا نناقش ذلك الرأي لبيان فساده في حياتنا العملية، فكم من فقير يعيش في سعادة لا تقدر بمال، وكذلك كم من غني يعيش في شقاء، ورزق الله ليس في المال وحدة؛ بل في الصحة والمال وهدوء البال وبر الأبناء... وهكذا.

وهذه إحدى النساء الغربيات التي دأبت على الترحال مع زوجها تقول: (تعلمت أن أحتمل وأقدر ما يفعله أناس يختلفون عني مشارب وتفكيراً، وتعلمت أن أتغاضي عن المنغصات اليومية التي بدت تافهة بالقياس إلى الحاجات الأساسية التي ظننت أنني افتقدتها، بتشتيت بيتي، وتعلمت أن البيت السعيد لا يقوم على أثاث منسق، وأدوات مرصوصة، وإنما البيت السعيد هو وليد الحب، والفهم، والدفء، والقدرة على استخلاص أقصى المتعة من كل موقف طارئ، وأكثر من هذا أنني خرجت بعقيدة ثابتة هي أن السعادة

والنجاح لا دخل لهما بارتفاع مستوى المعيشة وتوفر الرفاهية).

وهذه بعض المشكلات التي تعترض الزوجين نعرضها مع وضع حلول لها، نسأل الله التوفيق فيها والسداد.

* * *

١ ـ كيف تعامل زوجة لا تحبها؟

كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول: زوج ابنتك صاحب الدين، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لا يظلمها!

﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٣٤].

أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها مما أباحه الله تعالى له فيها، فلا سبيل له عليها بعد ذلك فليس له ضربها ولا هجرانها وتمام الآية تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب.

ويقول رسول الله ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر)[١].

إن هذا الحديث العظيم ينبه إلى أمر هام ينبغي أن يدركه الزوج، كما ينبغي أن تدركه الزوجة أيضاً، فإن الكمال لله وحده ولله در القائل:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معائبه

إن اعتقاد كل من الزوجين بوجوب طلب السعادة الكاملة من الآخر هو سبب لأكثر المتاعب والمشكلات.

والغريب أن كثيراً من الأزواج أناني يطلب السعادة لنفسه دون أن يفكر بمنحها لرفيقته، ناسياً أن في الإعطاء سعادة لا تقل عن الأخذ!.

ما أسعد الزوجة أو الزواج الذي يتحلى بالصبر والاحتمال، فإن في الحياة الزوجية عقبات وصخوراً قد تعترض لكل من الزوجين في كثير من الأحيان، ففي الصبر تذليل لكل ذلك، أما الطيش ففيه كل الخطر، وسرعان ما يهدد الأسرة بالانحلال والتصدع.

---

(١) سبق تخريجه.

إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث يوجه كلا من الزوجين إلى التساهل ما دام ممكناً، فإذا أبغض كل من الآخر صفة جاءت صفة أو صفات أخرى تشفع لصاحبها، وبذلك يصير الوفاق ويتم الوئام وتسلم الأسرة، وإن التفكير بمصير الأطفال، وألم الفراق، كل ذلك كفيل بتنازل كل من الزوجين عن شيء من سعادته من أجل استمرار الحياة الزوجية وهي مهمة دينية وليست متعة فقط!!.

وقد جاء في كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي[1]: (شكا رجل من بغضه لزوجته وقال: ما أقدر على فراقها لأمور منها كثرة دينها علي وصبري قليل ولا أكاد أسلم من فلتات لساني في الشكوى وفي كلمات تعلم بغضي لها.

فقلت له: هذا لا ينفع وإنما تؤتى البيوت من أبوابها، فينبغي أن تخلو بنفسك فتعلم أنها إنما سلطت عليك بذنوبك (ليس هذا غالباً فهناك كثير من الصالحين لهم زوجات شريرات!) فتبالغ في الاعتذار والتوبة، فأما التضجر والأذى لها فما ينفع كما قال الحسن بن الحجاج: عقوبة من الله لكم فلا تقابلوا عقوبته بالسيف وقابلوها بالاستغفار.

واعلم أنك في مقام مبتلى ولك أجر بالصبر: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ فعامل الله سبحانه بالصبر على ما قضى واسأله الفرج.

فإذا جمعت بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب والصبر على القضاء وسؤال الفرج، حصلت ثلاثة فنون من العبادة تثاب على كل منها، ولا تضيع الزمان بشيء لا ينفع، ولا تحتل ظنًّا منك أنك تدفع ما قدر: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الأنعام: ١٧].

وأما أذاك للمرأة فلا وجه له؛ لأنها مسلطة فليكن شغلك بغير هذا.

قال الرجل: وهذه المرأة تحبني زائداً في الحد، وتبالغ في خدمتي، غير أن البغض لها مركوز في طبعي.

---

(١) (٣/٥٤٢) طبعة دار الفكر، تحت عنوان: كيف تعامل زوج لا تحبها؟.

فقلت له: فعامل الله سبحانه بالصبر عليها فإنك تثاب.

قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عملك عندك؟ قال: كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فآبى فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان إني قد هويتك! وأنا أسألك بالله أن تتزوجني.

فأحضرت أباها وكان فقيراً فزوجني وفرح بذلك، فلما دخلت إلي رأيتها عوراء عرجاء مشوهة، وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج فأقعد حفظاً لقلبها ولا أظهر لها من البغض شيئاً، وكأني على جمر الغضا من بغضها.

فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فما من عملي هو أرجى عندي من حفظي قلبها.

قيل: فهذا عمل الرجال. وأي شيء ينفع ضجيج المبتلى بالتضجر بإظهار البغض؟ وإنما طريقه ما ذكرته لك من التوبة والصبر وسؤال الفرج.

فلا بد على الزوج أن يتنازل عن أنانيته من أجل مستقبل أبنائه وخاصة إذا كان هذا البغض نشأ بعد الزواج، وخاصة إذا كانت زوجته تحبه وتقوم له بكل حقوقه.

قال رجل للخليفة عمر بن الخطاب: إنني لا أحب زوجتي! فقال: إن البيت لا يبنى على الحب![1].

❁ ❁ ❁

(١) تحفة العروس (١٨٦).

٢ ـ الزوجة النكدية

يشكو الرجل من أن زوجته نكدية!! وأن بيته قطعة من الجحيم، يعود إلى بيته فتداهمه الكآبة، إذ يطالعه وجه زوجته الغاضب الحاد النافر المتجاهل الصامت.

بيته خال من الضحك والسرور ويغيب عنه التفاؤل مثلما تغيب الشمس عن بيته فتلتهمه الأمراض، يقول: في بيتي مرض اسمه النكد، ويرجع السبب كله إلى زوجته، ويدعي أنه لا يفهم لماذا هي نكدية؟ لماذا تختفي الابتسامة من وجهها معظم الوقت ويحل محلها الغضب والوعيد؟ ولماذا هي لا تتكلم؟ لماذا لا ترد؟ والحقيقة أن هذا الزوج لا يعرف أن زوجته بصمتها الغاضب إنما هي تدعوه للكلام. إنها تصدر إليه رسالة حقيقية إنها رسالة سلبية، ولكن هذه طريقتها لأنهما لم يتعودا معاً ـ الزوج والزوجة ـ على طريقة أكثر إيجابية في التفاهم، ويقلق الزوج ويكتئب هو أيضاً، ثم يغلي في داخله، ثم ينفجر، وتشتعل النيران وبذلك تكون الزوجة قد نجحت، فقد استفزته إلى حد الخروج عن توازنه؛ لأنها ضغطت على أهم شيء يوجع رجولته وهو التجاهل، أي عدم الاعتراف بوجوده، أي اللامبالاة، ولكن هذه ليست حقيقة مشاعرها فهي تغلي أيضاً لأنها غاضبة، غاضبة من شيء ما؛ ولكنها لا تستطيع أن تتكلم فهذا هو طبعها، وربما يمنعها كبرياؤها فهذا الزوج يخطئ في حقها وهو لا يدري أنه يخطئ وأن أخطاءه ربما تكون غير إنسانية، ربما يتجاهلها عاطفيًا، ربما يتجاهلها فراشياً، ربما بخله يزداد، ربما بقاؤه خارج البيت يزداد من دون داع حقيقي، ربما أصبح سلوكه مريباً، . . . ربما وربما، وهناك عشرات الاحتمالات؛ ولكنه هو لا يدري أو هو غافل، أو يعرف ويتجاهل، وهو لا يدري أنها تتألم، أي أنه فقد حساسيته؛ ولكنها لا تتكلم.

لا تفصح عن مشاعرها الغاضبة، وربما لأنها أمور حساسة ودقيقة، ربما لأن ذلك يوجع كرامتها، ربما لأنهما لم يعتادا أن يتكلما، ولهذا فهي لا تملك إلا هذه الوسيلة السلبية للتعبير، وهي في الوقت نفسه وسيلة لعقاب التجاهل.

وإذا بادل الزوج زوجته صمتاً بصمت وتجاهلاً بتجاهل فإن ذلك يزيد من حدة غضبها، وربما تصل لمرحلة الثورة والانفجار فتنتهز فرصة أي موقف وإن كان بعيداً عن القضية الأساسية لتثير زوبعة، لقد استمر في الضغط عليها حتى دفعها للانفجار.

ضغط عليها بصمته وتجاهله ردًّا على صمتها وتجاهلها وتلك أسوأ النهايات فهي - أي الزوجة - تصمت وتتجاهل لتثير وتحرق أعصابه وتهز كيانه وتزلزل إحساسه بذاته ليسقط ثائراً هائجاً وربما محطماً.

وهنا تهدأ الزوجة داخليًّا ويسعدها سقوطه الثائر، حتى وإن زادت الأمور اشتعالاً وشجاراً تتطاير فيه الأطباق وترتفع فيه الأصوات، وهذا هو شأن التخزين الانفعالي للغضب، وتتراكم تدريجيًّا مشاعر الغضب حتى يفيض الكيل وتتشقق الأرض قاذفة بالحمم واللهب فتعم الحرائق.

قد يستمر هذا الأسلوب في التعامل والتفاعل سنوات وسنوات وهذا يؤدي إلى تآكل الأحاسيس الطيبة ويقلل من رصيد الذكريات الزوجية الحلوة ويزيد من الرصيد السلبي المر، ويعتاد الزوجان على حياة خالية من التفاهم وخالية من السرور ويصبح البيت فعلاً قطعة من جحيم، فتنطوي الزوجة على نفسها ويهرب الزوج من البيت، وتتسع الهوة، كان من الممكن ألا توجد لو كان هناك أسلوب إيجابي للتفاهم.

وتشخيصاً للموقف نستطيع أن نقول: إننا أمام زوج لا يعرف ما يضير ويضايق ويؤلم زوجته، وهذا الزوج يتمادى في غيه مع الوقت، وهو أيضاً قد فَقَدَ حساسيته تجاه زوجته.

وأننا أمام زوجة تكتم انفعالاتها وتخزن أشجانها، وتحترق بالغضب، وهذه الزوجة تلجأ إلى أسلوب سلبي في الرد على زوجها، وذلك بإشاعة جو

النكد في البيت لتحرم زوجها من نعمة الهدوء والاستقرار والسلام ونعمة الإحساس بذاته.

وتظل الزوجة تستفز زوجها حتى يثور؛ ولكنهما لا يتعلمان أبداً بل يستمران في نفس أسلوب الحياة الذي يهدد بعد ذلك وبعد سنوات أمن واستقرار البيت، واستمرار حالة الاستنفار معناه تراجع المودة والرحمة.

وهنالك ألف وسيلة تستطيع الزوجة عن طريقها استفزاز زوجها، وكذلك هناك أكثر من ألف طريقة يستطيع بها الزوج استفزاز زوجته أهمها كما قلنا الصمت والتجاهل والوجه الغاضب والكلمات اللاذعة الساخرة والناقدة والجارحة أو يتعمد أي منهما سلوكاً يعرف أنه يضايق الطرف الآخر، أو قد يلجآن إلى أسوأ أنواع الاستفزاز وهي إثارة الغيرة والشك.

والعناد هو نوع من أنواع البغي والتمادي والتحدي، والتحدي هو أسوأ سلوك زوجي والتحدي يخلق عداوة، والعداوة تؤدي إلى العدوانية وبذلك يحدث تصلب وتخشب وتحجر وتفتقد المرونة وتضيع روح التسامح والتواضع والتساهل والتنازل، واستمرار الزوجين في العناد معناه عدم النضج، أو معناه أن أحدهما يعاني ألماً نفسيًّا حقيقيًّا وأن الطرف الثاني يتجاهل عن عمد أو عن غير عمد هذا الألم.

وهذا معناه أننا أمام مشكلة زوجية تحتاج إلى رعاية، فكلاهما يعاني، وكلاهما غاضب، وكلاهما خائف، وكل منهما يتهم الآخر ويحمله النصيب الأكبر من المسؤولية ويرى نفسه ضحية، أي لا يوجد استبصار ولا يوجد بصيرة.

الخطأ الأكبر الذي يقع فيه الزوجان أن يجعلا المشاكل تتراكم من دون مواجهة، بدون توضيح بدون حوار بصوت عال هادئ، بدون أن يواجه كل منهما الآخر بأخطائه أولاً بأول، بدون أن يعبر كل منهما عن قلقه ومخاوفه وتوقعاته وآلامه وهمومه، يجب أن يرفع كل منهما شكواه إلى الآخر بكلمات واضحة وصوت مسموع ونبرة ودودة، ويجب الاستمرار والمثابرة والإلحاح في عرض الشكوى حتى تصل إلى ضمير الطرف الآخر.

قد يكون تجاهل الزوج لمتاعب الزوجة ليس عن قصد أو سوء نية أو خبث؛ ولكن لأنه لا يعرف، لا يعلم لأنها لم تتحدث إليه لأنها لم تعبر بشكل مباشر، ربما ولأنها تعتقد بأنه يجب أن يراعي مشاعرها دون أن تحتاج هي أن تشير له إلى ذلك، ربما تود أن يكون هو حساساً بالدرجة الكافية، ربما تتمنى هي أن يترفع هو عن أفعال وسلوكيات تضايقها وتحرجها، وهذا جميل وحقيقي، جميل أن يكون لديها هذه التصورات وهذه الأمنيات المثالية؛ ولكن الأمر يحتاج أيضاً إلى تنبيه رقيق ـ إشارة مهذبة ـ تلميح راق كلمات تشع ذوقاً وحياءً دون مباشرة، ولا مانع خاصة في الأمور الهامة والحساسة والدقيقة من المواجهة المباشرة والحوار الموضوعي، فهذا حق كل منهما على الآخر، وهذا هو واجب كل منهما تجاه الآخر، وهذا هو أصل المعنى في المودة والرحمة؛ لأن الزوجين اللذين وصلا إلى هذه المرحلة من الاستفزاز المتبادل يكون قد غاب عنهما تماماً المعنى الحقيقي للمودة والرحمة، والحقيقة أن أي إنسان مقدم على الزواج ـ رجلاً أو امرأة ـ يجب أن يكون متفهماً وبعمق وبقلبه وعقله وروحه المعاني الحقيقية لأعظم كلمتين: المودة والرحمة[1].

وهذه خلاصة خبرات بعض الزوجات النكديات:

إذا أردت أن تجعلي زواجك نموذجاً في التعاسة والشقاء وتفقدي حب زوجك واحترامه فافعلي ما يأتي:

- استقبلي زوجك بلهفة لتحاصريه بالأسئلة والاستجوابات، وتنتزعي منه اعترافات غير صحيحة، وتصدعي رأسه بالشكوى من الأبناء، وتغرقيه في تفاصيل حياة الجارات.

- تعطري له، بالبصل والثوم والزيت المقدوح، وعرق اليوم الطويل، أما زجاجة العطر التي أهداها لك فستنفعك في يوم ما، حين تهدينها مثلاً لصديقة في أية مناسبة.

---

(١) متاعب الزواج، د. عادل صادق.

- تفقدي مواعيد راحته، لتقومي بالتنظيف الكامل للبيت، وشغلي الغسالة والمكنسة في وقت واحد، واصرخي في الأولاد، واطلبي منه تغيير المكان الذي يجلس فيه أكثر من مرة لتنظيفه.

- أعطيه قدره من وجهة نظرك من خلال مقارنته دائماً بأزواج شقيقاتك وقريباتك وصديقاتك، وإشعاره بأنه لا يساوي شيئاً وندب حظك معه في كل مناسبة.

- توددي إلى أمه، حتى ترعى لك الأطفال أثناء وجودك في عملك، وتقف في صفك حين تختلفان، فإذا اعتلت صحتها، أو شهدت شهادة حق ذات مرة، فكشري عن أنيابك ولا تتهاوني في إسماعها وصلة من التحقير، وانسي تماماً أنها أم صاحب بيتك وجدة أولادك.

- احرصي على ماله بالادخار منه قدر ما تستطيعين دون علمه وبمفاجأته بين الحين والآخر بطلبات لا يتوقعها لتحصلي منه على المزيد، ولا تتوقفي عن الطلب بإلحاح حتى يصرخ في وجهك ويقلب جيوبه، ويخرج ويغلق الباب وراءه بعنف وغضب.

- تزيني له، حين يكون لك عنده مطلب، وبالغي في تدليله وإسعاده حتى إذا تحقق لك ما تريدين، أظهري وجهك الآخر، وعودي إلى سابق عهدك من الإهمال والبهدلة، واجعليه يشعر بأنه أفاق من حلم سعيد قصير على كابوس مزعج.

- اعتني بملابسه بتفتيش جيوبه بدقة بحثاً عن أية نقود ربما يكون قد نسيها، أو أية ورقة تدينه وتمثل بالنسبة لك ورقة ضغط تبتزينه بها، واهتمي أيضاً بنظافتها إلى حد غسل الملابس الملونة بسائل التبييض لإزالة البقع وأنت تعرفين ما سيحدث بعد ذلك.

- اخفضي صوتك، وأنت ـ تقطعين فروته ـ مع أمك، أو صديقتك حتى لا يسمعك، أما وأنت تتحدثين معه اجعلي صوتك أعلى من صوته، وليكن شعارك في التعامل مع زوجك. «خذوهم بالصوت».

- ذكريه بأيامكما السعيدة في بداية الزواج، قبل أن تفاجئيه بقائمة أعددتها سلفاً بعيوبه التي ظهرت لك مع العشرة، وتتهميه بأنه كان يخدعك وبأنه تمسكن حتى تمكن، فإذا حاول الدفاع عن نفسه أسكتيه بإشارة منك، وقولي له بحدة؛ لو حلفت لي أن الماء يتجمد لن أصدقك، وتمسكي بموقفك حتى لو شعرت بأنك تظلمينه.

- تعرفي على هواياته حتى تنغصي عليه وقت ممارستها وتغرقيه في بحر من المشكلات، والخلافات، وتجعليه يشعر بالندم: لأنه اختارك من بين كل النساء زوجة له.

- إذا اشترى لك أو للأولاد شيئاً فابتسمي ابتسامة سخرية واستهزاء واسعة، وقولي له بلا تردد: (ياما جاب الغراب لأمه).

- ساعديه في الإنفاق حتى تكسري أنفه وتعيريه وتضمي أولادك إلى صفك حين يحدث بينكما خلاف بتذكيرهم بما تشترينه لهم، وابتزاز مشاعرهم بالملابس واللعب ليعادوا أباهم ويؤيدوك في خلافاتك معه.

- أظهري انزعاجك الشديد حين يمرض؛ لأن معنى ذلك أنه سيأخذ إجازة من عمله، وستضطرين لخدمته، وحبذا لو أشعرته بذلك حتى يضاف الألم النفسي إلى ألمه الجسدي.

- اصنعي له ما يحبه من طعام بعد فاصل من الشكوى من قلة المصروف والبكاء على الحظ الضائع، وترديد المثل الشعبي: اطبخي يا جارية كلف يا سيدي.

- أحسني معاملة أهله أمامه فقط، وبمجرد انصرافكما من زيارتهم ابدئي في الثرثرة، والحديث عن عيوبهم وتصرفاتهم التي لا تعجبك، وإذا كانوا هم في زيارتكما فأكثري من الشكوى بعد انصرافهم من الفوضى التي أحدثوها في البيت، ومن طريقتهم في تناول الطعام، وقارني بين سلوكهم الهمجي وسلوك أهلك المتحضر، ولا تصمتي إلا إذا ترك المكان وانصرف غاضباً.

- ودعيه وهو ذاهب إلى عمله بقائمة من التحذيرات من التأخير أو التحدث مع الزميلات، ودسي في كفه ليس كفك الدافئة لتشجيعه وتحفزيه، وإنما ورقة بالطلبات التي يجب أن يشتريها في طريق عودته.

- إذا استشعرت من تصرفاته ونظراته أنه يرغب في دعوتك للفراش، فتمارضي، واستعيني بكل الوسائل حتى يظل الأولاد مستيقظين واخترعي أسباباً تدعوك لعدم النوم عندما يدخل هو إلى غرفتكما، ولا تنامي قبل أن يستغرق هو في النوم يائساً محبطاً.

- اجعلي أهلك يعرفون قدره، وذلك بأن تحكي لهم تفاصيل حياتكما، وتقحميهم في كل خلاف يحدث بينكما وتنتهزيها فرصة للحط من قدره، وكشف عيوبه، وهز مكانته وتحقيره، بحيث تدرك أسرتك أنك تزوجت أسوأ رجل وأن حظك العاثر أوقعك فيمن لا يستحقك.

- إذا دعاك زوجك للصلاة أو لقراءة ورد قرآني، فتعللي، وإن أصر قولي له بسخرية: لن آتي، وابقى خذنا على جناحك[1].

* * *

(١) المرشد النفيس إلى الزواج التعيس، الشبكة الإسلامية، نور الهدى سعد.

٣ ـ إذا كنت رجلاً طلقني الآن!!

عند كل خلاف مهما كان حجمه صغيراً أو كبيراً تلقي المرأة بهذه الكلمة «إذا كنت رجلاً طلقني الآن» قد لا تكون تقصد به الطلاق، فغالباً ما تريد الزوجة أن تقيس مقدار حب الزوج لها؛ ولكن كانت الصورة استفزازية، ولكي يثبت الزوج أنه رجل يقول لزوجته: «أنت طالق» هكذا بكل بساطة تُهْدم الأسرة، بعدها يفيق الاثنان وكأنهما كانا مغيبان العقل، يفيقان على الندم وقت لا ينفع الندم، يفيقان وقد خسرا الأسرة، ويبدأ كل منهما في إلقاء اللوم على الآخر.

لذا نقول للزوجة: إياك ومثل هذه الكلمات المثيرة للغضب، فطلب الطلاق محرم إذا كان دون سبب، ففي الحديث عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة)[1].

والبأس: الشدة أي في غير حالة شدة تدعوها وتلجئها إلى المفارقة، كأن تخاف أن لا تقيم حدود الله فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجميل العشرة لكراهتها له أو بأن يضارها لتنخلع منه.

وبالنسبة للزوج عليه أن يكون أكثر صبراً، فإذا قالت له زوجته: «إذا كنت رجلاً طلقني الآن» فليتذكر قول الرسول ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[2].

---

(١) رواه أبو داود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٩٩)، وابن ماجه (٢٠٥٥)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٢٧٠٦) في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢٦٠٩).

(الذي يملك نفسه عند الغضب): أي إنما القوي من كظم غيظه عند ثوران الغضب وقاوم نفسه وغلب عليها فحول المعنى فيه من القوة الظاهرة إلى القوة الباطنة، ومن ملك نفسه عنده فقد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه[١].

فعلى الزوج إن صاحت فيه زوجته بذلك أن يخبرها أنه رجل الآن وكل آن؛ ولكنه لن يطلقها حفاظاً عليها وعلى أولاده وأسرته.

* * *

(١) فيض القدير (٧٥٧٧).

١ ـ الملل في المعاشرة الزوجية

يعتبر الملل الجنسي في الحياة الزوجية ظاهرة مألوفة ومعروفة منذ القدم، وقد ابتكرت الشعوب والمجتمعات وسائل عديدة لتحسين الشهية والمتعة الجنسية بما يتناسب مع أحوالها الخاصة وبما يضمن استقرار الحياة الزوجية واستمرارها.

ومن المعروف أن الأساليب والمشهيات الجنسية يمكن أن يكون لها مفعول إيجابي في كثير من الحالات، مثل الثياب الخاصة والعطور والأجواء والوضعيات الخاصة، وأيضاً الأثاث الجديد لغرفة النوم واستعمال الورود والإضاءة والمرايا، إضافة إلى استعمال الأعشاب والأطعمة والأدوية وغير ذلك، مما هو شائع ومتنوع ومعروف.

ويمكن أن ينشأ الملل الجنسي عن تغيرات في الجسم وعن أمراض جسمية متنوعة بعضها عارض ومؤقت وبعضها مزمن، وتلعب الأساليب الصحية والتجميلية بمختلف أشكالها ووسائلها مثل الحمية والرياضة واستعمال العلاجات الدوائية والجراحية دوراً مفيداً في عدد من الحالات.

ومن الناحية النفسية لا بد من التأكيد على أن الملل الجنسي يعكس في كثير من أسبابه عوامل نفسية داخلية، حيث تؤدي مشاعر الإحباط المتكررة والانزعاج والتوتر والمخاوف والقلق إلى تكوين ردود مزاجية وسلوكية سلبية تتسم بالشكوى والملل وعدم الرضا عن الطرف الآخر، واضطراب الوظيفة الجنسية نفسها بمظاهرها الجسمية والفيزيولوجية: مثل عدم الرغبة الجنسية أو ضعفها إضافة إلى صعوبات الانتصاب والإثارة الجنسية، يمكن أن تعكس اضطراباً في العلاقة الزوجية الإنسانية، واضطراباً في التفاهم والحوار وحل المشكلات الحياتية اليومية.

وتعكس هذه الحقيقة ضرورة النظر إلى ما خلف الأعراض والشكاوى، أي إلى العلاقة نفسها بين الرجل والمرأة وصعوباتها ومشكلاتها، وبالتالي توجيه النظر نحو حلها وتعديلها أو السير في الطريق الصحيح المؤدي لتخفيف الصراع والتوتر وتعديل أساليب التفاهم وتحقيق الذات الإيجابي ضمن العلاقة الزوجية، ويمكن للحوار والتعبير عن الانفعالات وعن الغضب والإحباط أن يلعب دوراً إيجابيًّا في التنفيس عن المشاعر السلبية المتراكمة والحبيسة ومن ثَمَّ تعديلها وتفهمها وتبديلها.

ومن الناحية العملية يمكن أن يهرب بعض الأزواج تخفيفاً عن الملل الزوجي (أو المشكلات الزوجية والجنسية) إلى أساليب شاذة متعددة كالإدمانات المتنوعة أو إقامة العلاقات المحرمة الشاذة أو الاهتمام بالعمل بشكل مبالغ فيه، وبعضهم يبحث عن زوجة ثانية أو أكثر، وبعضهم يصبر ويتحمل أوضاعه، وأما الزوجات فبعضهن يصبرن ويدارين الأمور، وبعضهن يلجأن إلى التعويض عن الإحباطات والمشاعر السلبية بشراء الأشياء والحاجيات أو بالاهتمام بالأطفال أو العمل أو الانحراف بمختلف أشكاله ودرجاته.

ولا بد من التأكيد على وجود مخارج إيجابية للرجل والمرأة، وأولها تعديل المشكلات والسير في طريق اغتناء العلاقة وغناها من النواحي الروحية والعاطفية والجسمية، وقد يصعب ذلك أو يتعثر ولا بد من المحاولة مراراً، وعندما تستحيل الحياة المشتركة وتتفاقم المشكلات لا بد من البحث عن الحلول الأقل ضرراً بما يتناسب مع الظروف الخاصة لكل أسرة، كالتعدد أو الانفصال أو الطلاق أو غير ذلك.

وأخيراً، فالملل الجنسي ربما كان موضوعاً مبالغاً فيه من الناحية الجسمية والفيزيولوجية، فالزوج والزوجة يمكن أن يعيشا حياة طويلة مديدة وطبيعية من الناحية الجنسية يشتهي أحدهما الآخر، والاشتهاء الجنسي بالمعنى العضوي الكيميائي تحكمه أمور متنوعة ويلعب الخيال الشخصي دوراً في ذلك،

ويختلف الأفراد في تكوينهم وحساسيتهم وردود أفعالهم الجسمية وفي مخيلتهم أيضاً، وتنمية الخيال وتنويعه وما يصاحب ذلك من أحاسيس يمكن أن يكون مفيداً وإيجابيًّا ما دام ضمن الحدود الطبيعية بعيداً عن السلوك الجنسي المضطرب أو الشاذ.

والحياة الجنسية يمكن أن تتجدد وتزدهر ولا بأس بفترات من الملل المؤقت والعابر، وعندما يطول لا بد من بحث المشكلة فيما خلفها، وبالتفصيل[1].

❁ ❁ ❁

(١) الطب الجنسي النفسي، د. حسان المالح.

٥ ـ الحموات

مشكلة عريقة تأصلت جذورها بتأثير الإعلام والأفلام، لا بد أن تظهر الحماة في كل مشكلة بين الزوجين، فالزوج لا يعامل أم زوجته مثل أمه، وكذلك الزوجة لا تعامل أم زوجها كأمها، إذا جاءت الزوجة لتخبر زوجها برأي أو شيء يخص الأسرة فإن أول سؤال يسأله الزوج لزوجته هل أمك زارتنا اليوم أو كلمتك في الهاتف؟ وفي الطرف المقابل الزوجة ترى أن أم زوجها هي التي تتحكم في كل شيء حتى تصرفات زوجها، فسوء النية متوقع من الزوج والزوجة على السواء.

وقد انطبع في النفوس مقت الحماة وكرهها فأصبحت العروس لا تدخل بيت الزوجية إلا وهي تضع في ذهنها الطرق التي يجب أن تسلكها مع حماتها حتى تتقي مكائدها فتظل تترصد كل كلمة تتفوه بها حماتها وتتصيد أي حركة تقوم بها حماتها وتحيك حولها القصص والحكايات، ومن هنا تنسج خيوط الكراهية بينهن وينتج عقوق الوالدين، ويتبع ذلك رحيل البركة والخير من البيت.

فأول انطباع لدي كثيرات من النساء بأن الحموات: متحكمات ظالمات، يجرن على زوجات الأبناء، وهذا الانطباع ينعكس على تصرفات زوجات الأبناء فيجعل كل حماة تتحفز لزوجة ابنها ردًّا على أفعالها، وهكذا ندور في حلقة مفرغة من المشاحنات بين الزوجات والحموات.

ورحم الله تلك المرأة العابدة التي كانت تحث زوجها على طاعة أمه فتقول له: (أقسمت عليك أن لا تكسب معيشتك إلا من حلال، أقسمت عليك أن لا تدخل النار من أجلي، بر أمك، صل رحمك، لا تقطعهم فيقطع الله بك).

ولا بد أولاً أن نذكِّر ببر الوالدين، وأن طاعة الزوج لأمه واجب عليه، وطاعة الزوجة لزوجها واجب عليها ـ في غير معصية الله ـ يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [العنكبوت: ٨].

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: (الصلاة لوقتها) قال: قلت: ثم أي؟ قال: (بر الوالدين) قال: قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه[1].

بعدما سبق من الآيات يتبين لنا مكانة الوالدين وعظم حقهما، ويجدر بالزوج أو الزوجة أن يحفظا حق والديها، ولا ينسون فضلهما والتضحيات التي قاما بها في مختلف مراحل عمريهما، فقد ينسى الزوج أو الزوجة أنهما لم يصلا إلى ما هم فيه من تحصيل علمي أو مكانة اجتماعية أو صحة في الجسم إلا بفضل الله، ثم بالرعاية الكاملة حينما كانا صغاراً من الأبوين والمتابعة الدائمة لهما حينما كانا مراهقين.

تذكر حينما كنت صغيراً كانت الأم تحيطك برعايتها من اهتمام بصحتك

(١) رواه البخاري (٥٠٤)، ومسلم (٨٥)، وإرعاء، معناه: إبقاء عليه ورفقاً به.

وقد مسحت بيديها على جسمك من رعايتها، وقد أزالت بيدها الأوساخ والقاذورات التي تخرج وتحيط بك، إذا كان لك ولد فانظر كم من الجهد الجسمي والنفسي تبذله لسعادته، كم مرة سهرت أمك على تمريضك حينما كنت مريضاً، هذا التمريض لا يقارن بممرضة عاملة فهذه العاملة عيناها على ما تتقاضاه من مرتب من دون تقصير في عملها في كثير من الأحيان ولله الحمد، أما والدتك فعينها على صحتك التي لا تمانع من أن تمنحك شيئاً من صحتها وعافيتها في سبيل أن تكون معافى صحيح الجسم والنفس، فهل من المروءة أن تكافئهما على ما بذلاه من صحة ورعاية وبذل وحنان وتعليم بجفوة في التعامل أو هضم لجهدهما المبذول وتنظر إليهما على أنهما كبيران في السن لا يفهمان متطلباتك، فكم من مشاعر الإحباط تعيشه الأم والأب حينما يروا هذه الجفوة في التعامل، وخاصة أنهما قد يكونا في أمسِّ الحاجة إلى أن ترعاهما لكبر في سنهما أو اعتلال في صحتهما بذلا معظمه في رعايتك لتصل إلى ما أنت فيه من صحة وعافية، فيشعران أنهما قد خسرا ثمرة جهدهما فيك، وهذا مما يزيد الأمر سوءًا؛ لأنه مرتبط بالمشاعر والأحاسيس لأنهما في سن يوجب عليها أن يقضيا ما تبقى منه في حياة هادئة مستقرة.

لذا فعلى الزوجة أن تبين لأم زوجها أنها ابنة لها، وأن من أسباب سعادتك رضاها، وأنك تسعين جاهدة لرضى زوجك وأهله، وأنك سعيدة وفخورة بها وأنك تشكرين الله على هذه النعمة.

○ خطوات عملية للعلاج:

- أن تطرد الزوجة من مخيلتها تلك الصورة المشوهة للحماة، وتضع في نفسها أن أم زوجها هي بمثابة أمها، فإن أخطأت تجاهها يوماً فلتعاملها بمثل ما تعامل به والدتها إن أخطأت في حقها.

- أن لا تقصَّ على زوجها كل ما يقع بينها وبين أمه وهي تتباكى وتذرف الدمع حتى تستميل قلبه إليها، وتكسب وده، ويصور له الشيطان أمه ظالمة مستبدة فيزحف الجفاء إلى نفسه ويسير في طريق العقوق.

- إن رأيت أن زوجك لا يقوم بواجب بر الوالدين فحاولي أن تنصحيه ببر والديه والسعي نحو رضاهما، فإن رضا الوالدين من رضا الله ﷻ، ولا تكوني كمن تسعى لإفساد العلاقة بين الزوج ووالديه، أو بين الزوج وأمه، واحذري غضب الله ﷻ، فإن عقوق الوالدين من أكبر الكبائر، وعقوبتها لا تؤخر للآخرة فحسب، بل تعجل في الدنيا أيضاً.

- الزوجة الواعية لا تتدخل فيما يقدمه زوجها لأمه وما يهبه لها؛ بل تساعده على أن يكثر لها العطاء، وتحاول هي أن تهديها هدايا قيمة وجميلة بين حين وآخر.

- إذا ذهبت لزيارة حماتها تحرص كل الحرص على أن تأخذ معها طبقاً شهيًّا وترفض أن تكون ضيفة ثقيلة يتبرم من حضورها من يستقبلها.

- الزوجة الذكية هي التي تستطيع أن تأسر قلب حماتها بحسن معاملتها وظُرف أخلاقها، فإذا كان لدى حماتها مدعوون على الطعام تتفانى في مساعدتها ولا تجلس وكأنها ضيفة الشرف.

- الزوجة المحترمة تحرص على تعليم أولادها احترام حماتها وطاعتها وتغرس المحبة والود لها في قلوبهم وتعوِّدهم على زيارتها ولا تحرمها منهم.

- تحرص كذلك على أن تُعَلِّم أولادها آداب زيارة الجدة وخاصة إذا كانت كبيرة السن فلا تدعهم يزعجونها بأصواتهم وحركاتهم وتعودهم على عدم إلقاء القاذورات وأوراق الحلوى على الأرض، أو العبث بأثاث المنزل؛ بل لا تدعهم يخرجون من المنزل حتى ينظفوا لها المكان ويرتبوه، فبذلك تتمنى الحماة زيارتهم كل يوم وتلح عليهم في تكرارها.

- إذا اجتمع على الزوج طلب أمه وطلبك، فما عساك أن تفعليه؟ هل تقلبين البيت إلى جحيم لا يطاق إلى أن يتحقق طلبك قبل طلبها أو تقدمين طلبها على طلبك؟.

- إن كنت حقًّا راجحة العقل فقدمي قضاء حاجتها على حاجتك راضية غير متذمرة، وإياك وإشعال نار الغضب ورفع راية القطيعة بينك وبين زوجك من أجل هذا التقديم، فإن حماتك إذا رأت منك هذا التنازل وهذا الاحترام فإنها بلا شك ستتنازل عن أشياء كثيرة فيما بعد(١).

- كوني حسنة الظن بها، ودعك من الأقوال التي توصف بها الحموات، فكثير منهن طيبات القلب على عكس ما يتردد على الألسن، واعلمي أن سوء الظن من أعظم أسباب المشكلات، فسوء الظن يجعلك تؤولين الأحداث بطريقة خاطئة، وربما يجعلك تسمعين أشياء غير صحيحة، فالإنسان غالباً يسمع ما يفكر فيه، فقد تقول لك كلمة عادية ومع توفر سوء الظن عندك ربما تسمعينها خطأ ويحدث الخلاف، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

- اكسبي أهل زوجك، وأشعريهم أنك لم «تخطفي» منهم ابنهم كما هو المفهوم الشائع، وأنك «ابنة» لهم، وعندها سيتركون لك هامشاً تتنفسين فيه بحرية، ولن يكون ذلك إلا بعد جهد وصبر وحكمة.

- نعم قد تجدين بعض السلوكيات التي لا تعجبك من حماتك فاعتبريها مثل والدتك، وارحمي فيها الكِبَر، واصبري على أخلاقها وصفاتها وغيرتها أحياناً منك، ونقدها لك أحياناً أخرى، ولا تجعلي ذلك سبباً للمشكلات، ولكن عليك بالصبر وحسن خلقك وإحسانك إليها حتى وإن أساءت إليك.

- يفضل الاستقلال بمحل الإقامة، وأما مَنْ اضطرته الظروف لهذا الوضع فعليه أن يتعامل معه بكياسة وتقبل للعيوب واستفادة من المميزات.

- وضع أسس واضحة فيما يتعلق بعلاقتك أنت وزوجك في حدود ما يعرفه الأهل وما لا يعرفه، خاصة في العلاقة الخاصة بين الزوجين.

(١) مجلة الفرحة، العدد ١٣.

فمن ناحية ينبغي أن تدرك والدة الزوج أن ابنها قد صار له بيت مستقل، له خصوصيته، وأسراره، وأنه ليس من البِرِّ أن يكشف لها الولد عن سره، كما لم يكن الأب يكشف أسرارها لوالدته.. وهكذا.

وعلى الزوج أن يحسن معاملة أمه وفي ذات الوقت يقدر زوجته ويحترمها أمام أهله خاصة، وأن يعمل على إيجاد حلول شافية مرضية لما يقع من مشكلات بعلاج أسبابها الأصلية.

ويعمل على توفير جو من الثقة والحب والطمأنينة في الأسرة، وبين الزوجة والأم، فلا يميل برأسه هكذا أو هكذا، وإنما يكون العدل أساس حكمه، حتى ولو على نفسه.

■ وبالنسبة للحماة تقول الأستاذة زينب الغزالي لها: وأنت أيتها الحماة الحبيبة، أرجو أن تتنبهي إلى أسباب سلامته، فكم كانت سعادتك وأنت تزفين ابنك يوم عرسه، كم كنت موفقة وأنت تؤكدين أن زوجة ابنك ستكون كابنتك، فماذا يا سيدتي وقع بعد الزواج..؟.

إنها هي التي ضممتها إلى صدرك والسعادة تجري في دمائك وتملأ وجهك، ثم تابعت الحب الذي كان بين الزوجين بعد زواجهما، فماذا أغضبك من سعادة ولدك وزوجه؟.

إنني أعتب عليك ألا تنزليها منزلة ابنتك، فأنت تفرحين لابتسام زوج ابنتك وحنوه عليها، أفليس من واجبك أن تغمري ولدك وزوجه بهذا الذي تغمرين به ابنتك وزوجها؟.

إن العدل شريعة الله، فراجعي نفسك في علاقتك بزوجة ابنك، واقرئي معاني الرحمة والمودة في كتاب الله، وأن ذوي القربى أولاهم بالمودة والمحبة، فالزوج هو فلذة كبدك وأبناؤه هم أحفادك، فاملئي قلبك بالحب للزوجة والأحفاد، حتى ينشأ البيت على أساس من النور الرباني، فالبيوت التعسة لا يصل إليها نور مرضاة الوالدين ودَعَواتها لأبنائهما وبناتهما، فلا تحرمي بيت ولدك من دعواتك الحانية، ومودتك المثمرة، فالمال يفنى وتبقى المعاني الجميلة للحياة.. تراحم الأسرة وتوافقها.

لا تبحثي عن أخطاء زوجة ابنك، ولكن انصحيها، واعلمي أنها من جيل غير جيلك، ومن واقع غير واقعك، فكوني لها الأم الحنون، الأخت والصديقة وثقي أنها ستعاملك كابنتك وصديقتك، فترفرف بذلك أعلام السعادة على البيت.

* * *

٦ ـ سرعة الغضب

كثير من الزوجات تشتكي من سرعة غضب زوجها، فهو كثيراً ما يشتم ويثور ويلعن ويهدد بالطلاق، لأتفه الأشياء، وما إن تحاوره زوجته حتى يحمر وجهه وتنتفخ أوداجه، ويعلو صوته؛ بل وينعكس هذا الغضب على الأولاد فيشتمهم ويضربهم، ولا تدري ماذا تفعل معه؟ وسرعة الغضب قد تكون في المرأة، لذا سيكون العلاج عامًّا إن شاء الله.

بداية نوضح أن الغضب نزعة من نزعات الشيطان، يقع الإنسان بسببه في كثير من السيئات والمصائب؛ لذلك جاءت الشريعة بذكر طرق كثيرة للتخلص من هذا الداء، وللحد من آثاره، والناس في الغضب على ثلاثة أحوال:

الحالة الأولى: تفريط فلا يغضب المرء بالكلية، ويكون ضعيفاً لا حمية له، فلا يغضب لحرمات الله ولا يغار على عرضه ولا يكرم نفسه، وهذه خسة ودناءة في نفسه.

والثانية: الإفراط في الغضب بأن يطغى على العقل والدين، فيخرج صاحبه إلى الباطل ويغضب لأتفه الأشياء وهذا مذموم أيضاً.

والثالثة: حالة التوسط والاعتدال فيدافع المرء عن نفسه ودينه وعرضه وماله، ويغار على حرمات الله وهذه محمودة، وكان النبي ﷺ لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله ﷻ فعن عائشة ﵂ قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله ﷻ)[1].

---

(١) رواه مسلم (٢٣٢٨).

وقد بوّب البخاري «باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله» وقد قال تعالى: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: ٧٣] وذكر خمسة أحاديث في كل منها غضبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أسباب مختلفة راجعة إلى أن كل ذلك كان لأمر الله، وإظهار الغضب فيه منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليكون أوكد، وقد ذكر تعالى في موسى وغضبه لما عبد قومه العجل وقال: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤][(١)].

والغضب من الناحية العلمية هو صورة من صور الانفعال النفسي يؤثر على قلب الشخص الذي يغضب مثل تأثير العَدْو أو الجري، وانفعال الغضب يزيد من عدد مرات انقباضات القلب في الدقيقة الواحدة فيضاعف بذلك كمية الدماء التي يدفعها القلب أو التي تخرج منه إلى الأوعية الدموية مع كل واحدة من هذه الانقباضات أو النبضات، وهذا يجهد القلب لأنه يقسره على زيادة عمله عن معدلات العمل الذي يفترض أن يؤديه بصفة عادية أو ظروف معينة إلا أن العَدْو أو الجري في إجهاده للقلب لا يستمر طويلاً؛ لأن المرء يمكن أن يتوقف عن الجري إن هو أراد ذلك، أما في الغضب فلا يستطيع الإنسان أن يسيطر على غضبه لا سيما وإن كان قد اعتاد على عدم التحكم في مشاعره، وقد لوحظ أن الإنسان الذي اعتاد على الغضب يصاب بارتفاع ضغط الدم، ويزيد عن معدله الطبيعي حيث إن قلبه يضطر إلى أن يدفع كمية من الدماء الزائدة عن المعتاد المطلوب، كما أن شرايينه الدقيقة تتصلب جدرانها وتفقد مرونتها وقدرتها على الاتساع لكي تستطيع أن تمرر أو تسمح بمرور أو سريان تلك الكمية من الدماء الزائدة التي يضخها هذا القلب المنفعل، ولهذا يرتفع الضغط عند الغضب، هذا بخلاف الآثار النفسية والاجتماعية التي تنجم عن الغضب في العلاقات بين الناس والتي تقوض من الترابط بين الناس، ومما هو جدير بالذكر أن العلماء كانوا يعتقدون في الماضي أن الغضب الصريح ليس له

(١) سبل السلام، كتاب الجامع، باب الترهيب من مساوئ الأخلاق (١٥٦٨/٢) ط. دار الحديث.

أضرار، وأن الغضب المكبوت فقط هو المسؤول عن كثير من الأمراض، ولكن دراسة حديثة قدمت تفسيراً جديداً لتأثير هذين النوعين من الغضب مؤداه أن الكبت أو التعبير الصريح للغضب يؤديان إلى الأضرار الصحية نفسها وإن اختلفت حدتها، ففي حالة الكبت قد يصل الأمر عند التكرار إلى الإصابة بارتفاع ضغط الدم وأحياناً إلى الإصابة بالسرطان، أما في حالة الغضب الصريح وتكراره فإنه يمكن أن يؤدي إلى الإضرار بشرايين القلب واحتمال الإصابة بأزمات قلبية قاتلة؛ لأن انفجار موجات الغضب قد يزيده اشتعالاً، ويصبح من الصعب التحكم في الانفعال مهما كان ضئيلاً، فالحالة الجسمانية للفرد لا تنفصل عن حالته النفسية مما يجعله يسري بسرعة إلى الأعضاء الحيوية في إفراز عصاراتها ووصول معدل إفراز إحدى هذه الغدد إلى حد سد الطريق أمام جهاز المناعة في الجسم وإعاقة حركة الأجسام المضادة المنطلقة من هذا الجهاز عن الوصول إلى أهدافها، الأخطر من ذلك كله أن بعض الأسلحة الفعالة التي يستخدمها الجسم للدفاع عن نفسه والمنطلقة من غدة حيوية تتعرض للضعف الشديد نتيجة لإصابة هذه الغدة بالتقلص عند حدوث أزمات نفسية خطيرة، وذلك يفسر احتمالات تحول الخلايا السليمة إلى سرطانية في غيبة النشاط الطبيعي لجهاز المناعة، وصدق رسول الله ﷺ الذي أوصانا بعدم الغضب، ومن هنا تظهر الحكمة العلمية والعملية في تكرار الرسول ﷺ توصيته بعدم الغضب[١].

ولعلاج الغضب طرق إذا التزم بها الشخص لم يتعرض للغضب المذموم إن شاء الله، منها:

١ ـ **الاستعاذة بالله من الشيطان**: كما صحت السنة بذلك، فعن سليمان بن صرد، قال: استب رجلان عند النبي ﷺ. فجعل أحدهما تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه. قال رسول الله ﷺ: (إني لأعرف كلمة لو قالها لذهب عنه الذي يجد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) فقال الرجل: وهل ترى بي من جنون؟[٢].

---

(١) الإعجاز العلمي في الإسلام والسنة النبوية، محمد كامل عبد الصمد.

(٢) رواه البخاري (٣١٠٨)، ومسلم (٢٦١٠)، والترمذي (٣٥١٦).

٢ ـ السكوت: ففي الحديث عن ابن عباس ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (علموا، ويسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت)[١] وذلك أن الغضبان يخرج عن شعوره وغالباً ما يتلفظ بكلمات قد يكون فيها سب وشتم ولعن أو طلاق فيهدم بيته والسكوت هو الحل لتلافي كل ذلك.

٣ ـ تغيير وضع الغاضب: قال رسول الله ﷺ: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع)[٢].

ولعل الحكمة من ذلك هي ما قاله الخطابي في شرحه لهذا الحديث: (القائم متهيئ للحركة والبطش، والقاعد دونه في هذا المعنى والمضطجع ممنوع منهما فيشبه أن يكون النبي ﷺ إنما أمره بالقعود والاضطجاع لئلا يبدر منه في حال قيامه وقعوده بادرة يندم عليها فيما بعد).

٤ ـ الوضوء: يقول رسول الله ﷺ: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)[٣].

٥ ـ لا تغضب: هذه وصية رسول الله ﷺ فعن أبي هريرة ﷺ قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: علمني شيئاً ولا تكثر علي لعلي أعيه قال: لا تغضب. فردد ذلك مراراً، كل ذلك يقول لا تغضب)[٤] وترك الغضب المذموم من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: (لا تغضب ولك الجنة)[٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٤٠٢٧) في صحيح الجامع.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٨٢)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٦٩٤) في صحيح الجامع.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٨٤)، وقال الألباني: (ضعيف). انظر: حديث رقم (١٥١٠) في ضعيف الجامع.

(٤) رواه البخاري (٥٧٦٥).

(٥) رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٧٣٧٤) في صحيح الجامع.

٦ ـ **اتباع القدوة في هديه ﷺ في الغضب**: فعن أنس ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته. ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك. فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء)[١].

٧ ـ **اتباع السلف عند الغضب**: فقد روي أن رجلاً وقع بأبي بكر فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت ـ أي غضبت ـ عليَّ يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان)[٢].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ﷺ، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ﷺ ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً.

فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، فاستأذن فأذن له عمر، فلما دخل قال: هي يا ابن الخطاب! فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر ﷺ حتى هَمَّ به. فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى[٣].

والأمثلة على ذلك كثيرة، فالواجب على المسلم أن يكون مقتدياً بالرسول ﷺ والسلف الصالح.

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٩٦)، وقال الألباني: (حسن). انظر: حديث رقم (٦٧٥٨) في صحيح الجامع.

(٣) رواه البخاري (٤٣٦٦).

٨ ـ **إدراك مساوئ الغضب**: ومساوئ الغضب كثيرة أعظمها أن الغضب بغير حق يعرض صاحبه لسخط الله، بالإضافة إلى عداوة الناس بسبب الشتم والسب والفحش والبطش، وقد يصل الأمر إلى قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، قُبح منظر الغاضب فقد انتفخت عروقه واحمر لونه وقطب جبينه.

ومساوئ الغضب على نفس الإنسان كثيرة كارتفاع الضغط والذبحة وغيرها، يقول الدكتور أحمد شوقي إبراهيم[1] عن حالة الجسم وقت الغضب فيه: (يتحفز الجسم ويرتفع ضغط الدم فيصاب بالأمراض النفسية والبدنية مثل السكر والذبحة الصدرية، وقد أكدت الأبحاث العلمية أن الغضب وتكراره يقلل من عمر الإنسان، لهذا ينصح الرسول ﷺ المسلمين في حديثه لا تغضب، وليس معنى هذا عدم الغضب تماماً؛ بل عدم التمادي فيه، وينبغي أن يغضب الإنسان إذا انتهكت حرمات الله).

ومن أشد الأمور السيئة التي تنتج عن الغضب وتسبب الويلات الاجتماعية وانفصام عرى الأسرة وتحطم كيانها، هو الطلاق، فينتج عن ذلك تشريد الأولاد، والندم والخيبة.

٩ ـ **الدعاء**: وهو من أعظم أسلحة المؤمن، فهو يطلب من ربه أن يخلصه من الشرور والآفات والأخلاق الرديئة، ويتعوذ بالله أن يتردى في هاوية الكفر أو الظلم بسبب الغضب، وللدعاء شروط كي يستجاب للإنسان فلا بد من المطعم الحلال والمشرب الحلال، وقد وضح أسباب عدم استجابة الدعاء إبراهيم بن أدهم حين سأله أهل البصرة ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ والله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فقال: يا أهل البصرة قد ماتت قلوبكم بعشرة أشياء:

عرفتم الله ولم تؤدوا حقه، وقرأتم القرآن ولم تعملوا به، وادعيتم حب

---

(١) هو عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن، واستشاري الأمراض الباطنية والقلب، مجلة الإصلاح، العدد ٢٩٦، سنة ١٩٩٤م.

الرسول ﷺ وتركتم سنته، وادعيتم عداوة الشيطان وأطعتموه، وادعيتم دخول الجنة ولم تعملوا لها، وادعيتم النجاة من النار ورميتم فيها أنفسكم، وقلتم الموت حق ولم تستعدوا له، واشتغلتم بعيوب الناس ولم تنشغلوا بعيوبكم، ودفنتم الأموات ولم تعتبروا، وأكلتم نعمة الله ولم تشكروه عليها.

وهذا أحد الصحابة يعلمنا كيف تكون العلاقة بين الزوجين ساعة غضب أحدهما، يقول أبو ذر لزوجه: (إذا رأيتني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبى فإني رضيتك وإلا لم نصطحب).

وهناك عدة أمور على الزوجة أن ترعاها حيال زوجها الغاضب فعليها أن تبعد عن زوجها قدر المستطاع المؤثرات التي تتصور أنها مستغضبة له وعند حدوث أمر طارئ لا بد من اختيار الوقت المناسب.

وأن تحافظ على هدوئها عند الأزمة قدر الإمكان، وبعد انتهاء أزمة الغضب تناقش زوجها بهدوء وانبساط وابتسامة وتتحدث عن مخاطر الغضب وأنها تخاف عليه، ومن المعلوم أن مشاركة الزوجة لزوجها في أمور الحياة يبعد عن الزوج الشعور بالوحدة والاغتراب ويعيش تفكير الحياة الأسرية كلها أكثر من تفكيره بذاته.

عند حدوث أزمات الغضب حاولي أن تجعلي زوجك يسترخي مثلاً، أو غيري الموضوع وفكري في أن تسندي إليه مهمة خارج البيت، وبعد هدوئه فكِّرا سويًّا في المشكلة وستجدان الحل المناسب للمشكلة دون توتر واضطراب.

❁ ❁ ❁

٧ ـ زوجي يشتمني

تشتكي بعض الزوجات أن زوجها يسبها ويلعنها، وقد ينال من عرضها وشرفها، بل يزداد الأمر سوءاً ويفعل ذلك أمام الأبناء والأقارب، وإذا ما نشب خلاف لا يتورع عن سب زوجته ورفع صوته مما يسمع الجيران.

بداية نقول للزوجة أجزل الله لك الثواب على صبرك على ذلك الأذى، ونذكّر الزوج بقول الرسول ﷺ: (إن الله يبغض الفاحش المتفحش)[(١)].

والفاحش: ذو الفحش في كلامه وفعاله، قال القرطبي: الفاحش المجبول على الفحش الذي يتكلم بما يكره سماعه مما يتعلق بالدين، أو الذي يرسل لسانه بما لا ينبغي وهو الجفاء في الأقوال والأفعال والمتفحش المتعاطي لذلك المستعمل له.

وإذا سب الزوج زوجته أمام الأولاد فإن المشكلة تزداد تعقيداً؛ لأنه يؤدي إلى تشويه صورة الأم أمام الأبناء؛ لأن الطفل يعيش على القدوة منذ نعومة أظافره، وغالباً ما يكون القدوة هو الأب أو الأم سواء كانا قدوة حسنة أو سيئة.

يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: لا ريب أن الواجب على الزوجين المعاشرة بالمعروف، وتبادل وجوه المحبة والأخلاق الفاضلة، مع حسن الخلق، وطيب البشر، لقول الله ﷻ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. وقوله سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾. وقول النبي ﷺ: (البر حسن الخلق)[(٢)]. وقوله عليه الصلاة والسلام: (لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)[(٣)]. وقوله ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم

---

(١) رواه أحمد، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث (١٨٧٧) في صحيح الجامع.
(٢) رواه مسلم (٢٥٥٣). (٣) رواه مسلم (٢٦٢٦).

خياركم لنسائهم وأنا خيركم لأهلي)[1] إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الدالة على الترغيب في حسن الخلق وطيب اللقاء وحسن المعاشرة بين المسلمين عموماً، فكيف الزوجين والأقارب؟!.

وعلى الزوجة الصبر وتحمل الجفاء وسوء الخلق من زوجها، وأوصي كل زوجة بالمزيد من الصبر وعدم ترك البيت لما في ذلك ـ إن شاء الله ـ من الخير الكثير والعاقبة الحميدة لقوله سبحانه: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠] وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] ولا مانع من مداعبته ومخاطبته بالألفاظ التي تلين قلبه، وتسبب انبساطه إليك وشعوره بحقك، واتركي طلب الحاجات الدنيوية ما دام قائماً بالأمور المهمة الواجبة، حتى ينشرح قلبه، ويتسع صدره وستحمدين العاقبة ـ إن شاء الله ـ وفقك الله للمزيد من كل خير، وأصلح حال زوجك وألهمه رشده ومنحه حسن الخلق وطيب البشر، ورعاية الحقوق، إنه خير مسؤول وهو الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

(١) رواه الترمذي (١١٧٢)، انظر: السلسلة الصحيحة، حديث (٢٨٤).

٨ ـ الزوجة العاملة

بعض الأزواج يشتكي من إصرار زوجته على العمل رغم توفر ظروف الحياة لها، وبعض الزوجات تضطر للعمل تحت وطأة الأعباء المالية وبعضهن يعملن لمزيد من الرفاهية ولهثاً وراء كل جديد، لذا سيكون الكلام ملائماً لذلك بإذن الله تعالى، فالله خلق الرجل وأودعه من الخصائص الجسمية والنفسية ما يستطيع به النهوض بتبعاته، وخَلَق المرأة وأودعها من الخصائص الجسمية والنفسية ما تستطيع به القيام بتبعاتها.

وقد أثبتت الدراسات الطبية المتعددة أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله على هيئة تخالف تكوين الرجل، فقد بنى جسم المرأة على نحو يتلاءم ووظيفة الأمومة تلاؤماً كاملاً، كما أن نفسيتها قد هيئت لتكون ربة الأسرة وسيدة البيت، وأن هيكل المرأة الجسدي يختلف عن هيكل الرجل؛ بل إن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف في خصائصها وتركيبها عن خلايا جسم الرجل، وآية ذلك الفروق الهائلة بين الأنسجة والأعضاء والتي تبدو واضحة لكل ذي عينين بين الذكر والأنثى، فأعضاء المرأة الظاهرة والخفية وعضلاتها وعظامها تختلف إلى حد كبير عن تركيب أعضاء الرجل الظاهرة والخفية، كما تختلف عضلاته وعظامه في شدتها وقوة تحملها، وليس هذا البناء الهيكلي والعضوي المختلف عبثاً إذ ليس في جسم الإنسان ولا في الكون كله شيء إلا وله حكمة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] والحكمة في الاختلاف البيِّن في التركيب التشريحي والوظيفي بين الرجل والمرأة هو أن هيكل الرجل قد بني ليخرج إلى ميدان العمل كادحاً مكافحاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧] أي: يا آدم، أما المرأة فتبقى في المنزل تؤدي وظيفتها العظمى التي أناطها الله بها وهي الحمل والولادة

وتربية الأطفال وتهيئة عش الزوجية ليسكن إليها الرجل بعد الكدح والشقاء.

إن أجلَّ أدوار المرأة في الحياة هو دور الأمومة وتربية النشء، وإن هذا الدور يكلفها كثيراً من العناء والمشقة من دون سائر الإناث من الحيوانات الأخرى اللائي يحملن ويلدن، وذلك لأن تلك الإناث لا تفرز بويضاتها إلا في فترة محدودة من العام، بينما تفرز المرأة بويضة كل شهر منذ البلوغ إلى سن اليأس، والمرأة طوال هذه المدة بين حيض وحمل ونفاس وإرضاع، وناهيك بما يترتب على كل فترة من هذه الفترات من آلام ومتاعب.

ومن هذه الآلام والمتاعب: آلام الحيض، وآلام الحمل، فهي تحتاج إلى عناية شديدة من المحيطين بها.

وأمام هذه الأعباء التي تنهض بها المرأة والجهد المضني الذي تتحمله أوجب الله تعالى رعايتها والعناية بها وعدم تكليفها ما يشق عليها، فعلى الوالد أن يرعى ابنته رعاية كاملة وينفق عليها إنفاقاً شاملاً يسهم معه في ذلك أخوها القادر ويقوم مقام أبيه إذا عجز أو مات، فإذا تزوجت شاركهما الزوج هذه الرعاية وقام بنصيب وافر منها، وإذا أنجبت ساهم الأولاد الكبار في رعايتها وقاموا بواجب برها وإكرامها، وعند فَقْدِ العائل من أب أو ابن أو زوج أو أخ تقوم الدولة بهذا الواجب عرفاناً بفضل المرأة وتقديراً لدورها.

ولقد مضت سنة الله لذوي العقول السليمة على أن يكون عمل المرأة داخل بيتها، فمنذ أقدم العصور والمكان الطبيعي للمرأة هو مملكة البيت تنجب الأولاد وترعى الزوج وتعد اللبنات الصالحة للأمة، فهي صاحبة فضل على المجتمع كله، إذ تمده بلبناته وتوفر لزوجها وأولادها كل أسباب النجاح، فلا يحرز أبناء الوطن تقدماً علميًّا أو نهضة شاملة، ولا يحققون مجداً وسؤدداً إلا وللمرأة أكبر الفضل فيه، فهي أم أو زوجة العالم والطبيب والمهندس والزارع والصانع، وأم الأمهات اللائي يرضعن أبناءهن العزة والكرامة، ويربينهم على التضحية والفداء.

ولذلك أمر الله ﷻ المرأة بالقرار في البيت، أي المكان الطبيعي الذي

تستقر فيه المرأة ويهدأ بالها وتؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها، حيث يقول سبحانه لنساء النبي ولغيرهن - من باب أولى - ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

ولقد حاول بعض من أغشت المدنية الكاذبة أبصارهم، وأعمى التقليد للأجنبي عيونهم أن يصوروا استقرار المرأة في بيتها بصورة البطالة، وعدم المساهمة في الإنتاج الوطني، وأخذوا يسمون قرار المرأة في بيتها رجعية وتخلفاً!!.

ولو أنهم كانوا بعيدي النظر ومن دعاة البحث الموضوعي فعرفوا متى اضطرت المرأة الغربية إلى الخروج إلى ميادين العمل، وأي وبال جره هذا الصنيع على المرأة وعلى الأولاد وعلى الأمة بأسرها، لكفوا عن هذه المهاترات وأقلعوا عن تلكم الترهات.

الخلفية التاريخية لخروج المرأة للعمل في أوربا أنه جاء نتيجة لمخططات الرأسماليين اليهود الذين قاموا بتحطيم نظام الأسرة واستغلال الرجال أولاً، فلما بدأ هؤلاء يطالبون بأخذ بعض حقوقهم لجأ الظالمون إلى استغلال النساء والأطفال الذين دفع بهم العوز والمسغبة إلى براثن الرأسماليين، ومنذ خروج المرأة في أوربا وهي تدور في الدوامة الرهيبة، تلهث وراء لقمة العيش، وتجتذب الجميلات منهن على تجارة الرقيق الأبيض الذي يعتبر من أكثر المهن تنظيماً في أوربا.

مجالات عمل المرأة خارج البيت: تبين مما سبق أن تكوين المرأة الجسماني وتكوينها النفسي والعاطفي يختلفان كثيراً عن تكوين الرجل مما يترتب عليه عدم ملاءمة كثير من الأعمال التي يقوم بها الرجل للمرأة، إما لأن بدنها لا يحتملها، وأما لأنها تنافي ما فطرها الله عليه من حشمة وحياء.

فهل من الإنسانية أن تتحمل المرأة صعاب الحياة وتخوض معترك العمل كالرجل وهي تواجه كل شهر تغيرات طبيعية (الحيض) تجعلها شبه مريضة؟! وهل من الإنسانية أن تكلف الحامل مع ما تعانيه من المتاعب، ما يكلفه الرجل من الأعمال؟! إن الأطباء ينصحون بأن تحاط المرأة بجو من الحنان وأن يعتنى

بها عناية خاصة في مثل هذه الظروف، فهل يمكن أن يتم ذلك في المصنع أو المتجر أو المكتب، وصاحب العمل لا تهمه حالتها الصحية أو النفسية ولا يعرف حاجتها إلى حنان أو رعاية إنه يعرف فقط أن عليها عملاً تأخذ في مقابله راتباً مهما كانت ظروفها، وعلمنا أن الله أودع في جسد كل واحد من الزوجين ما يغري الطرف الآخر به، فالمرأة أينما وجدت وحيثما حلت مطلوبة من الرجل، وهي في الوقت نفسه طالبة له، وذلك بحرصها الدائم على جمالها وزينتها فليس من الحكمة ولا مصلحة الطرفين أن تخالط المرأة الرجال.

ولهذا كله كان لا بد أن تكون مساهمة المرأة بالعمل خارج البيت محدودة ومشروطة، أما تحديدها ففي أضيق مجالاتها، ومن هذه المجالات: ١ ـ تطبيب النساء ٢ ـ تعليم البنات ٣ ـ الإشراف الاجتماعي، ورعاية الأمومة والطفولة، والقيام بما يماثل عملها في البيت كالحياكة.

وأما شروط تلك المساهمة:

١ ـ ألا تتعارض مع الوظيفة الحقيقية للمرأة وهي الزوجية والأمومة.

٢ ـ ألا تؤدي إلى الاختلاط.

٣ ـ أن تخرج لعملها كإنسان لا كأنثى فتحرص على ما أمر الله به من ارتداء الحجاب.

وليس هذا حجراً للمرأة ولا تقييداً لحريتها ولا تقليلاً لدورها في الحياة، فإن كل عمل يعمله الرجال يعدله حسن رعاية المرأة لزوجها، وتأملوا هذا الحديث: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، وأن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم وأنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله ﷺ، وإن أحدكم إذا خرج في سبيل الله حاجًا أو معتمراً حفظنا لكم أولادكم وأموالكم وغزلنا أثوابكم وربينا أولادكم، أنشارككم في هذا الأجر والخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه

بوجهه كله وقال: (هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها)؟ قالوا: يا رسول الله ما ظننا امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت إليها النبي ﷺ وقال: (افهمي أيتها المرأة وأعْلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها يعدل ذلك كله).

وفي غير المجال الرسمي (التوظف) تستطيع المرأة أن تقوم بالتوعية والتوجيه والإرشاد وأن تسهم في حل قضايا الأمة وتجاهد لصد الأعداء والمستعمرين عن طريق الكتابة والنشر وعقد المؤتمرات النسائية أما أن تعمل المرأة كل أعمال الرجال كأن تكون شرطية وطيارة ومهندسة وميكانيكية وعاملة في المصانع وسائقة للعربات وموظفة في البنوك والشركات والوزارات ـ لا في قسم خاص بالنساء ـ بل مختلطة مع الرجال فهذا لا يجيزه الشرع.

والحكمة من قصر أعمال المرأة على مجالات معينة:

١ ـ ملائمة طبيعتها كأنثى خلقت للحمل والولادة.

٢ ـ التفرغ للمهمة العظمى لتمدنا ببناة المجتمعات وصانعي الحضارات.

٣ ـ تحقيق الاستقرار الأسري، فإن عمل المرأة في كل الميادين يجعلها تختلط بغير زوجها ويجعل زوجها يختلط بغيرها، وغالباً ما يجد الواحد منهما في زميله من الملاطفة والموادعة ما لا يجده في زوجه، فينهار بذلك ما بين الزوجين، والشواهد في ذلك كثيرة.

٤ ـ حمل المرأة على الزواج والإنجاب وذلك لأن عملها المطلق يشجعها على تأخير الزواج أو العزوف عنه، حتى المتزوجة تعمد إلى عدم الإنجاب أو التقليل منه.

وإذا عملت المرأة في كل الميادين نتج أضرار كثيرة منها:

١ ـ التفكك الأسري والانحلال الأخلاقي.

٢ ـ شقاء المرأة وتعاستها، فقد خلقها الله لتصان ولا شك أن في العمل مشقات.

٣ - ضياع الأولاد وفقدان النشء الصالح.

٤ - مزاحمة الرجال وتعطيلهم، فلا شك أن توسيع دائرة توظف المرأة يؤدي إلى تعطيل قطاع كبير من الرجال عن العمل فتنتشر البطالة وهي معول هدم[١].

* * *

(١) للمزيد: طالع نظام الأسرة في الإسلام، د. محمد عجاج الخطيب وآخرون، عمل المرأة في الميزان، د. محمد علي البار.

٩ ـ زوجتي تريد أكثر!

بعض الأزواج يشتكي من جشع زوجته، فزوجته دائماً تطلب المزيد فإذا زارت إحدى صديقاتها أو إحدى جاراتها ووجدت شيئاً جديداً تبدأ في مطالبة الزوج بشراء مثله بحجة أن من اشتراه ليس بأفضل منا وهكذا، وإذا لم يوافق الزوج قامت القيامة وسمع من زوجته ما لا يشتهي فتلوم وتندب حظها العاثر في الزواج منه لأنه فقير، وتقارن بينها وبين صديقاتها، وتسأل لماذا هن أحسن حالاً منها؟.

وإذا حاول الزوج إرضاءها استدان بالإضافة إلى أنها لن تنتهي طلباتها، ويتساءل الزوج ما العمل مع مثل هذه الزوجة؟.

وهذه الحالة ناتجة عن عدم القناعة بما لدى الفرد، ومن المعلوم حقًّا أن الملذات والرغبات من مقومات الطبيعة البشرية، وما خلق الله تعالى النعم والمتع، إلا لنسر بها ونشكر واهبها، ولكن لا نتعلق بها وننسى خالقها، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥].

فالإسلام لا يتعارض مع الطبائع البشرية، فهو يسعى إلى تلبية دوافعها وغرائزها، بتنظيمها وتعديل ميولها ونوازعها، ولا يسعى أبداً إلى كبحها ووأدها.

كما لا يخفى أيضاً أن رغبات الإنسان لا حدود لها، وملذاته لا حصر لها، وكلما حصل على لذة طلب المزيد، وكلما وصل إلى غاية تاقت نفسه إلى

بلوغ ما بعدها، قال ﷺ: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)[1].

إن استمتاع الإنسان بهذه الأعطيات الإلهية شيء طبيعي ومباح، ولكن أن يبالغ في حبها ويتعلق قلبه بها فهنا مكمن الخطر، فالاستغراق في شهوات الدنيا ورغائب النفوس، ودوافع الميول الفطرية دون قيد، هو الذي يشغل القلب عن التبصر والاعتبار، ولما كانت هذه الرغبات والدوافع أساسية في حفظ الحياة وامتدادها، فإن الإسلام لا يقضي بكبتها أو إنكارها، ولكن يدعو إلى ضبطها وتنظيمها، وتخفيف حدتها المفرطة واندفاعها الشديد، فيكون الإنسان مالكاً لها متحكماً فيها، لا أن تكون مالكة له، متحكمة فيه.

فعلى المؤمن أن يكون كيساً حكيماً، يمنع نفسه من السقوط في مهاوي الشهوات، كي لا تشغله عن تهذيب روحه وإنارة عقله، وأن يوازن بين دنياه وآخرته كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢]. والعاقل من استبدل الذي هو أدنى بالذي هو أعلى، وأحل رضا الله وتقواه محل انقيادة لهذه الشهوات والملذات الآنية، التي قد يراها الإنسان من أجل النعم الدنيوية، ولكن المؤمن الحق الذي ارتبط قلبه بالذات الإلهية، يرى عالم الروح خيراً وأبقى، وهذه الرؤيا لا ينالها إلا الذين اتقوا ربهم وخافوه وذكروه، والشعور بالتقوى مهذب للروح، مرهف للحس، ضابط للنفس يكبح جماحها كيلا تنساق وراء الوهم والسراب، وفيه ربط لمتاع الدنيا بمتاع الآخرة حيث الجنات ونعيمها، والخيرات واستمرارها، والأزواج المبرأة من كل عيب، وكمال ذلك هو الحصول على رضوان الله وهو أعظم اللذات عند المتقين.

يقول تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٢).

فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًاۖ وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

فإذا أراد الإنسان أن يجعل من الحياة لهوا وتسلية وبذخاً في المظاهر، وحقلاً للمفاخرة بالأموال والأولاد، أصبحت بذوره عقيمة، ونتاجه هشيماً، وجزاؤه الجحيم، فالحياة الدنيا أحقر من أن نعطيها اهتماماً كبيراً؛ يحجبنا عن العمل الإيماني العقلاني المنتج وإلا أوردتنا موارد التهلكة والغرور.

والقناعة كنز لا يملكه إلا من آمن بحكمة الله قولاً وعملاً فيما قسم لخلقه، يقول تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢]، هذه الآية الكريمة تستنكر قول الذي يتبجح ويدعي أنه ليس من العدل أن يكون هناك فقراء بين الناس، وأن العدالة تقتضي أن يقسم الله تعالى الأرزاق بالتساوي، فلا يكون هنالك فقير ولا غني، وهم بذلك يتطفلون ويدعون القدرة على تغيير موازين المجتمعات البشرية، وتبديل القواعد التي ترتكز عليها، ولو أنهم أمعنوا النظر في الأمر لوجدوا أن استمرارية الحياة على هذه الأرض تقتضي وجود التفاوت بين الناس، في المال والعقل والقدرات، ليتم التعاون فيما بينهم، لئلا تتعطل أمور الحياة أو تخرج عن مسارها الصحيح.

ورحمة الله تعالى لا تقتصر على توزيع الأرزاق على الناس؛ بل هي أوسع من ذلك وأشمل، فكم من فقير قنوع، سعيد في حياته؛ ينعم برحمة الله تعالى، وكم من غني طامع سلب هذه الرحمة، فلا يهدأ له بال ولا يطمئن ولا يعرف للسعادة طعماً.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَاۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًاۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢].

ففي هذه الآية زرع الإسلام في أعماق المسلم القناعة وهي: الرضا بالميسور، واليأس مما في أيدي الناس، وذلك لئلا يتعلق قلبه بالماديات فتصبح هدفه، أو يصبح الإكثار منها غاية طموحه، وطلب منه في الوقت نفسه أن يسعى للكسب الحلال بكل جهده شريطة أن يسخر بعضاً من عطاء الله في سبيل خدمة عباد الله، بحيث تتوازن نفسية المسلم، فلا يشعر بالقلق إن قلّ نصيبه من الدنيا أو كثر؛ لأن الرزق الحقيقي هو غنى النفس ورضاها بما قسمه الله من عطاء مادي وروحي.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس)[1].

ولا بأس من تذكير الزوجة بمن هم أقل حظًّا من اللائي يعشن في ظروف أصعب ولكنهن يعشن راضيات قانعات ويبذلن سعياً دءوباً لجعل بيوتهن الفقيرة جنات خلد، لهن ولأزواجهن.

ولهذا جاءت الأحاديث تحث على التأمل في أوضاع الذين هم دوننا وجعل التطلع إلى الآخرين نوعاً من الشقاء، يقول ﷺ: (انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم)[2].

ولكي يصل المرء للقناعة عليه أن يدرك عدة نقاط أهمها:

١ ـ تحديد الأساسيات والضروريات: فقد يفاجأ المرء عند تحديده لضرورياته أن كثيراً مما يملك يزيد عن احتياجه، وأن كثيراً مما يريد ليس في حاجة إليه بالفعل!.

٢ ـ من بين تلك الضروريات هناك أولويات: قد يشعر المرء أنه يحتاج

---

(١) رواه البخاري (٦٠٨١)، ومسلم (١٠٥١).

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٤٢)، والترمذي (٢٦٣٢)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (١٥٠٧) في صحيح الجامع.

لضروريات كثيرة في وقت واحد، ولا يتمكن من الحصول عليها فيتولد عنده نوع من السخط على حاله، إلا أنه بتفكير قليل يقنع أن من بين تلك الضروريات يوجد قليل له الأولوية، فيركز سعيه لنيله؛ فيرضى ويتشجع للحصول على الباقي.

٣ ـ أن يزن الأمور جيداً فيما يتعلق بالإنفاق والادخار، والبيع والشراء وما إلى ذلك من معاملات فلا يجري وراء تزيين زائف ولا يندفع وراء شهوة عابرة.

٤ ـ أن يتعرف على إمكاناته فيحدد مهاراته ويرتب اهتماماته، ثم يستغل ما توصل إليه بيقين وقناعة للوصول لما يتمناه، ولا يضيع وقته وجهده في أعمال هو غير مقتنع بها.

▪ ـ وقبل كل شيء وبعده: أن يكون المرء على قناعة تامة ويقين صادق أن الأرزاق والأقدار بيد الله تعالى، وأن الله يبتلي المرء فيما آتاه، فلا يشغل نفسه بما عند غيره، وقد يهلك صاحبه ولا ينسى أن يؤدي الشكر ـ قولاً وعملاً ـ فيما يملك وألا يكون كافراً بنعمة ربه؛ فليسع لنيل رزقه متوكلاً على ربه داعياً إياه أن يلهمه الجد في السعي والقناعة بالزرق، وليتذكر قول نبيه الكريم: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[1]. وليتذكر حكمة العرب القائلة: «عَزَّ من قنع وذَلَّ من طمع».

● ● ●

---

(١) رواه البخاري (٦٠٧٢)، ومسلم (١٠٤٨).

١٠ ـ الملل في الحياة الزوجية

تمر الحياة الزوجية لغالبية الناس بالعديد من الأطوار، وأكثر هذه الأطوار شيوعاً الملل بين الزوجين وهو شعور يعتبره الزوجان نذير خطر، ولكن هذا الإنذار قد يكون مفيداً إذا أدرك الزوجان أنه طور عابر يعني الحاجة إلى التغيير والتجديد في نمط حياتهم، ولكن قد لا يكون بهذه البساطة إذا أخذ منحى آخر ووصل أحد الزوجين إلى حل منفرد فأحدث التغيير بمفرده بعيداً عن الأسرة والمنزل بإحدى الوسائل التالية:

١ ـ السهر الطويل خارج البيت، وكثرة الذهاب إلى البر والرحلات والأصدقاء.

٢ ـ اكتشاف هوايات ومواهب جديدة، مثل الألعاب المسلية والآن موضة الإنترنت.

٣ ـ قد يلجأ إلى الانغماس في عمل طويل ومجهد.

٤ ـ اختلاق المشاكل والمنغصات داخل البيت قد تصل للطلاق.

٥ ـ بعض الأزواج يلجأ إلى الزواج ثانية وأحياناً ثالثة.

٦ ـ قد ـ لا سمح الله ـ يصل به الأمر إلى البحث عن علاقات محرمة أو سلوك خاطئ.

ومما لا شك فيه أن هذا نوع من الهروب من المشكلة أكثر منه حلًّا لها ومن الأجدى البحث في أسباب الملل بين الزوجين.

وهنا يشير الأخصائيون النفسيون لعدد من هذه الأسباب:

١ ـ أسباب تتعلق بشخصية أحد الزوجين ونظرته إلى نفسه والآخرين، فقد تكون نظرة مثالية ويبحث عن شريك لا نظير له، وهو واحد من مشاكل

ما قبل الزواج حيث يبني الشباب عادة للشريك صورة مثالية.

٢ ـ وقد يكون أحد الزوجين يحمل نظرة سلبية عن الآخر ولديه من الإحباطات ما يجعله يقول: لا جدوى من أي تغير في حياتنا «حاولت إلى أن عجزت ليس هنالك فائدة..».

٣ ـ وقد يكون شخصاً تشاؤميًا ولديه مخاوف مرضية تجعله لا يستمتع بالعلاقة الزوجية ولا يشعر بأهمية التطوير في هذه العلاقة.

٤ ـ والمحيط كثيراً ما يلعب دوراً مؤثراً عند بعض الأزواج فالانتقادات والضغوط من الآخرين خاصة الأسرة والأب والأم والأقارب تثير الرفض لدى الزوج لزوجه، ولهذا حذر الرسول ﷺ من أن يفسد أحد زوجة على زوجها.

٥ ـ وتؤثر أيضاً طبيعة الاختلافات في الآراء والأفكار وكذا الاختلاف في طبيعة الأسرة التي ينحدر أحد الزوجين منها أو المستوى التعليمي وغيره.

ومع خصوصية الأسباب لدى البعض إلا أن الزوجين عليهما أن يدركا خطورة الموقف مع ظهور مؤشرات الملل واستمرارها لفترة طويلة وتراجع إيقاع الحياة والمشاعر بين الزوجين وسريان البرودة الانفعالية بينهما، ولذلك عليهما المبادرة إلى:

١ ـ دراسة كل من الزوجين للأسباب التي دفعته إلى الملل وتحميل نفسه قدراً من المسؤولية.

٢ ـ التعرف إلى الطريقة التي لجأ إليها للتخلص من الملل (السهر.. اكتشاف الهوايات.. إلخ ومحاولة وضع حد لها).

٣ ـ اكتشاف إيجابيات الطرف الآخر والتذكر بأن الآخر ليس سيئاً كليًا ولو كان كذلك لما اختاره من أول لحظة.

٤ ـ التذكر بأن هذا الطريق ليس في صالح الطرفين، وأنه سيؤدي إلى مزيد

من التأزم، وأنك في الحقيقة تحتاج إلى الاستقرار والسعادة، ويمكنك إيجادها مع هذا الشريك ببعض التطويرات.

٥ ـ استخدام الكلمات السحرية والمفاتيح السرية والذكريات الجميلة وستكتشف أن جبل الجليد بدأ يذوب.

٦ ـ دعم وإسناد الشريك وتمكينه من تعزيز قدراته في التعامل معك فيمكن للمرأة أن تظهر مزيداً من اللطف والأنوثة مع دعم الزوج لها، وكذلك المرأة يمكنها أن تنتظر من زوجها استجابات رائعة مع دعمها وإسنادها.

٧ ـ استثمار الآمال والأحلام المشتركة في الدفع إلى نظرة جديدة ومشرقة للمستقبل.

٨ ـ الاستماع إلى المحاضرات والأشرطة وقراءة الموضوعات المهتمة بهذا الأمر.

٩ ـ وفي حال تعذر الأمر مع هذه الوسائل لا بأس باستشارة ذي خبرة صادق النية أو مختص يقدم برنامجاً إرشاديًّا داعماً[١].

* * *

(١) صحيفة الرياض، مكارم بديع الفتحي.

١١ ـ زوجتي لا تثير إعجابي!!

سرني ما قرأته للأستاذ علي طنطاوي أن صديقاً له أراد أن يتزوج؛ لأن زوجته لا تثير إعجابه فيقول: قابلت صديقاً لي فوجدته ضيق الصدر كأن به علة في جسده أو همًّا في قلبه فسألته أن يكشف لي أمره فتأبى ساعة وتردد ثم قال لي: أنت الصديق لا يُكتم عنه وإني مطلعك على سري ومستشيرك فيه؛ إني أريد الزواج!! قلت: وما فعلت ربة دارك وأم أولادك؟.

قال: هي على حالها. قلت: وهل أنكرت شيئاً من خلقها أو من دينها أو من طاعتها لك وميلها إليك؟.

قال: لا والله. قلت: فَلِمَ إذن؟.

قال: إني رجل أحب العصمة وأكره الفجور، وقد ألفت زوجتي حتى ما أجد فيها ما يقنع نفسي عن أن تميل إلى غيرها وبصري عن أن يشرد إلى غيرها، وأطلت عشرتها حتى مللتها وذهبت في عيني فتنتها.

قلت: ما أقبح ـ والله ـ ما جزيتها به عن صحبتها وإخلاصها وما أعجب أمرك تسمع صوت النفس وأنت تظنه صوت العقل، وتتبع طريق الهوى وأنت تحسبه سبيل الصلاح وهذا تلبيس إبليس أو من وساوسه.

وهل تحسب أن المرأة الجديدة تقنعك وتغنيك وأنت لم تقهر نفسك وتزجرها؟ إن الجديدة تمر عليها الأيام فتصير قديمة وتطول ألفتها فتصير مملولة، وتستقري جمالها فلا تجد فيها جمالاً فتطلب ثالثة والثالثة تجر إلى الرابعة، ولو أنك تزوجت مائة ولو أنك قضيت العمر في زواج لوجدت نفسك تطلب امرأة أخرى.

وهل يمضي زوج عمره في تقبيل وعناق؟ إن لذلك لحظات، وباقي العمر

تعاون على الحياة وتبادل في الرأي وسعي للطعام واللباس وتربية للولد، واسترجاع الماضي وإعداد للمستقبل.

فعليك بزوجك عد إليها وانظر إخلاصها لا تنظر إلى وجهها ولا إلى جسمها فإني قرأت كتباً في تعريف الجمال كثيرة فلم أجد أصدق من تعريف طاغور: (إن الجمال هو الإخلاص) ولو أن ملكة الجمال خانتك وغدرت بك لرأيتها قبيحة في عينك، ولو أخلصت لك زنجية سوداء كأن وجهها حذاء السهرة اللماع لرأيتها ملكة الجمال.

* * *

١٢ ـ زوجي شكاك

بعض الأزواج بين طرفي نقيض فبعضهم يترك لزوجته الحبل على الغارب لا يغار مطلقاً فهو ترك الغيرة المذمومة والمحمودة أيضاً، لا يبالي بمن دخل على أهله، ولا من خالطهم، يسمح في بيته بدخول الرجال الأجانب في غيبته، ويترك زوجه تكشف ما حرم الله عليها أمام الرجال فتخرج من بيتها متبرجة أو متعطرة من غير أن يمنعها، ولا يسألها عن شيء، تخرج وتدخل كيفما تشاء، وهذا ديوث والعياذ بالله وبعضهم يخوّن من غير بأس ويضيق على أهله من غير سبب، وهو لا يتورع عن تتبع عورة امرأته وإساءة الظن بها وتجسس بواطنها، وقد نهى رسول الله ﷺ أن تتبع عورات النساء وأن يطرق الرجل أهله ليلاً ـ وكأنه ـ يتخونهم ويلتمس عثراتهم.

وكان هدي السلف كذلك من البعد عن سوء الظن بالأهل والولد والتجسس عليهم، ومن ذلك أن عبد الله بن مسعود كان إذا دخل داره استأنس وآنس أهله، كما كان الإمام أحمد يضرب برجليه الأرض وربما تنحنح.

وقال ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث)[١].

فنهى عن إساءة الظن دون دليل، أما إن صدر من المرء ما يحتمل الخير والشر فالمطلوب من المسلم أيضاً أن يحمله على المحمل الأحسن، وفي ذلك يقول جعفر الصادق رحمه الله: (التمس لأخيك عذراً من سبعين عذراً، فإن لم تجد فاتهم نفسك).

ولا يجوز إصدار الأحكام القطعية على الآخرين انطلاقاً من الظن أو ظن

(١) رواه البخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٥٦٣)، وأبو داود (٤٩١٧)، والترمذي (٢٠٥٥).

السوء الذي قد يكون بعيداً تمام البعد عن ساحة الواقع لذا يقول علي ﷺ: (ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن).

فيجب على المرأة البعد عن مواطن السوء والشبهات، وغيرة الزوج المحمودة تكون في البعد عن مواطن الريبة، وتكون في عدم رضا الزوج عن التبرج والاختلاط والتكشف ومنع أهله من ذلك وتكون في حراسة بيته من المنكرات التي تعج بها وسائل الإعلام.

ولكي يتجنب الزوجان خطر الغيرة عليهما بالآتي:

١ ـ لا يتبع الزوج ظنونه وشكوكه فيدفعه الشك تلو الآخر إلى عواقب وخيمة، وإنما عليه أن يطرد تلك الأفكار الشيطانية وأن يثق في زوجته ويطمئن إلى سلوكها وليطرد الشك إلى اليقين.

٢ ـ أن يقنع الزوج زوجته بالتزام الحجاب إن لم تكن ملتزمة به، فستر الجسد فريضة إسلامية، وهي تقي المجتمع من شرور التسول الجنسي، وكيف يغار زوج على زوجته وهو يتركها تسير هكذا تلبس لباس الكاسيات العاريات!! فالأوْلى له أن يلزمها بحجاب ربها بدلاً من النظر إلى من ينظر إليها بعين الغيرة والريبة.

٣ ـ على الزوجة أن لا تقوي شك الزوج أو تخالفه في نفسها وتعصي أوامره فتزيد شكوكه، فلتتعامل معه على أنه شخص يمر بأزمة يحتاج إلى من يقف بجانبه ويحيطه بالعطف والحب والحنان، فلترحب به دائماً ولتقابله بوجه بشوش ولا تنفعل عليه حين تجده يسألها عن أمر ما؛ بل عليها أن توضح له كل شبهة فيطمئن بذلك ويطرد أفكاره ووسوسته.

أما غيرة المرأ فهي في غنى عن البيان، فالمرأة الغيورة تعكر صفو الحياة الزوجية بكثرة أسئلتها لزوجها عن خروجه وأماكن ذهابه وإيابه، وتخرب بيتها بيدها.

فيجب على المرأة التي تزوجت عن اقتناع أن تثق بزوجها ولا تدع

الظنون تسيِّر حياتها، فالحياة مليئة بالمشاكل والمشاغل، فلتكن محامية عن زوجها لا قاضية تحاكمه، وعلى الزوج أن يترفق مع تلك الزوجة حال غيرتها ويتعامل معها بهدوء حتى تمر تلك الحادثة بسلام[١].

* * *

(١) أزواج وزوجات في قفص الاتهام، أبو عبد الله الذهبي.

١٣ ـ مولع بالنظر إلى النساء

تشتكي بعض الزوجات من أن زوجها مولع بالنظر إلى النساء؛ بل إنه قد يصل الأمر إلى متابعتهن.

بداية نقول: لقد أمرنا الله سبحانه بغض البصر عما حرم علينا فقال سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

والنظر إلى النساء آفة وفتنة من أشد الفتن، فقد ثبت في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (ما تركت بعدي فتنة، هي أضر على الرجال، من النساء)(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)(٢).

وفي الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. أنه قال: (حفظ البصر أشد من حفظ اللسان).

ولن نخوض في أقوال العلماء في ذلك، فالنظر إلى ما حرم الله منهي عنه في الكتاب والسنة، ولكن نحاول أن نقدم إرشادات علها تكون ومضات تنير لنا الطريق، أسأل الله ﷻ أن ينير قلوبنا جميعاً، وأن يجعل ما نقوله حجة لنا لا علينا.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٠٨)، ومسلم (٢٧٤٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٢).

أولاً: نصائح للزوج:

١ ـ عليك بتفقد قلبك، فإن من أعظم ما ابتليت به الأمة اليوم فساد القلوب لأن من علامة كمال الإيمان غض البصر عما حرم الله تعالى، ليس هذا فحسب، وإنما غض البصر واحد من الأمور التي يجب مراعاتها لكي يسلم قلب الإنسان وحينها تسلم جوارحه، ففتش عن عيوب أخرى قد تكون من أسباب إطلاق بصرك إلى الحرام، كعدم صلاتك في الجماعة، والبعد عن إخوانك وغير ذلك مما تعلمه أنت أكثر من غيرك.

٢ ـ تأمل أخي الكريم أن النظرة لذة ساعة تعقبها حسرة وندامة، فإن الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة فتأمل معي كلام ابن القيم رحمه الله تعالى حيث يقول: (الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة، فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تضيع وقتاً إضاعته حسرةً وندامةً... إلخ).

٣ ـ ابتعد عن ارتياد أماكن الفتن والمنكرات أو النظر إلى الصور المحرمة عبر أي وسيلة تساعد على ذلك، فهذا باب لا بد من إغلاقه، وإلا فإن ارتياد مثل هذه الأماكن والأوبئة المحرمة عبر أي وسيلة مع طلب غض البصر من المحال.

٤ ـ لا بد لك من المجاهدة كما قد علمت أن الجنة حفت بالمكاره، وأن النار حفت بالشهوات، فأمر تراه بلا مجاهدة يستحيل عليك تحصيله.

٥ ـ عليك أن تتذكر وأنت تُطْلِق بصرك أن نظر الله أسرع إليك من نظرك للحرام فاستحِ من نظر الله إليك.

٦ ـ عليك بالدعاء بأن يخلصك الله من الداء ولا تغفلن أخي الكريم عن أوقات الإجابة والثلث الأخير من الليل.

٧ ـ إذا أذنبت فجدد التوبة وإياك والركون لمدخل الشيطان وعليك باختيار طريق الخير والبعد عن طريق الشر.

ثانياً: نصائح للزوجة:

هذا الداء العامل الأساسي فيه هو الزوج، والزوجة عامل مساعد ومعين للزوج، فعليك أيتها الزوجة بحسن المظهر، وعليك أن تحسني أمور المعاشرة والتبعل، فالمرأة بطبيعتها حيية خجولة، قد يمنعها حياؤها من أن تتجاوب مع زوجها بالشكل المطلوب الذي يلبي له رغباته، وقد تكونين أنت كذلك.

وكل من الزوجين لباس لصاحبه وسكن له، قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فعلى الزوج أن يرشد زوجته إلى ما يرغب ويحب ـ مما أباحه الله له ـ وأن يبين لها أن لا حياء بين الرجل وزوجته، وقد أباح الله لكل منهما أن يستمتع بصاحبه كيفما شاء، إلا ما خصه الدليل بالمنع، كالوطء في الدبر، أو القبل حال حيضها، أو نفاسها.

فإذا قضى الزوج شهوته في الحلال لم ينصرف للنظرة المحرمة، ومن المعلوم أن الرجل هو صاحب المبادرة، لكن الزوجة عندما تغلف رغبتها بالدلال والزينة تشعر زوجها برغبتها وحبها لزوجها فكلما شعر أن زوجته سكن ومودة كلما قلل من نظره للحرام.

ـ ضعي بين يديه بعض الأشرطة والكتيبات المفيدة حول هذا الموضوع، ومن الكتب المفيدة في هذا الموضوع كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية.

ـ ذكري زوجك عقوبة الله في الدنيا والآخرة لمن فعل ذلك، وذلك بالأسلوب الحسن والروية، وأن تحاولي ألا تحوجيه إلى الذهاب إلى الأماكن العامة كالأسواق وغيرها.

ـ ولا تنسي السلاح القاطع وهو الدعاء له ولجميع المسلمين أن يتوب الله عليهم ويعصمهم من الحرام.

١٤ ـ الصبر عند مرض الزوجة

الصبر على مرض الزوجة يعد من مكارم الأخلاق ومن المروءة، وكذلك صبر الزوجة على مرض زوجها، وهذا يعني أن من الرحمة: التسامح في تحصيل بعض الحقوق المتبادلة مثل حق الاستمتاع الجنسي وحق الإنفاق.

وهذا نبي الله أيوب مضرب المثل في الصبر على قضاء الله في المرض ابتلاه الله، فذهب ماله، ومات ولده، وضعف جسمه، وأقعده المرض، حتى وصل به الحال إلى عدم قدرته على الحركة، وتفرق عنه الأصحاب والخلان؛ ولكن زوجته ظلت معه صابرة محتسبة.

وعندما دعا أيوب ربه، بدعاء قال تعالى: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣].

فما كان من الله إلا أن استجاب له: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٤].

فما كان من الله العلي القدير، إلا أن عافاه من مرضه، ورزقه الله من زوجته الصابرة أبناء، وهذا مثال رائع للصبر من أيوب ﷺ، ومن زوجته التي لازمته حتى النهاية.

أما أن تكون الزوجة متمارضة كثيرة الشكوى من غير مرض فهذا مدعاة لبغض الزوج لها ولأسلوبها، وكثير من النساء يشتكين التعب والمرض، وبشهادة الكثير من الأطباء فإن أغلب النساء اللاتي يعرضن عليهم لا يتصفن بأي مرض صحي، ولكن صحتهم النفسية على غير ما يرام.

وإذا نظرنا إلى المرأة نظرة منصفة، سنجدها في كثير من أطوار حياتها

يصيبها التعب والإرهاق، وهي بنت يصيبها تعب الدورة وآلامها، وهي متزوجة وحامل يصيبها آلام الحمل والوضع عند الولادة، وبعد الولادة تعب السهر والإرضاع وخدمة الأطفال.. إلخ.

وهذا يختلف من امرأة لأخرى، فهناك الشديدة القوية الصابرة، وهناك الضعيفة القليلة العزيمة الخائرة، والزوج الذكي هو من يخفف عن زوجته ولا يتأفف من كلامها وطريقتها، ويحاول أن يخرجها من آلامها هذه بالفكاهة أو الانشغال في موضوع آخر محبب إلى نفسها.

وهذا النبي ﷺ رجع ذات يوم من جنازة من البقيع، فوجد عائشة ﵂ تشكو صداعاً في رأسها وتقول: وارأساه! فقال عليه الصلاة والسلام؛ وقد بدأ يحس ألم المرض: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه» فلما كررت الشكوى داعبها بقوله: «ما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك؟!» فصاحت عائشة وقد هاجت غيرتها، ليكن حظ غيري! والله لكأني بك لو فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك! فتبسم رسول الله ﷺ[1].

فبالرغم من أن النبي ﷺ كان يشكو الألم والمرض، إلا أنه عليه الصلاة والسلام يداعب عائشة ﵂ بقوله ذاك حتى يخفف عنها، ولم يزجرها أو يعنفها.

وعلى الزوج أيضاً أن يعين زوجته في أعمال البيت حين يشعر منها بالتعب والإرهاق وليحتسب عند الله الأجر في ذلك.

وعلى الزوجة ألا تكثر الشكوى حتى لا تضايق الزوج، بل عليها أن تصبر وتحتمل، ولتعود نفسها على عدم الشكوى عند كل صغيرة فإنها ستنتصر بذلك على نفسها وعلى أمراضها وأوجاعها، ثم عليها أن تسارع بالكشف الطبي؛ لأنه ربما كان ما تشتكي منه مرضاً يستحق الكشف والعلاج، وحتى لا

---

(١) رواه ابن ماجه (١٤٦٥)، وقال الألباني: (حسن). انظر: صحيح ابن ماجه رقم (١١٩٧).

يكون التأخر في الكشف والعلاج عاملاً من عوامل التأخر في الشفاء أو صعوبته.

وعلى الزوجة أن تستعين بخبرة من سبقنها في الولادة وتربية الأبناء فستجد عندهن الكثير من النصائح المفيدة التي تجعلها توازن بين مطالب الأبناء وواجباتها في المنزل، وتعينها على تربيتهم والاهتمام بهم، حتى تبدأ من حيث انتهى الآخرون وتستفيد من خبراتهم، وتقلل قدر المستطاع من المجهود الذي تبذله ربما بدون عائد مجزئ نتيجة عدم الخبرة[١].

* * *

(١) أزواج وزوجات في قفص الاتهام، أبو عبد الله الذهبي.

١٥ ـ زوجي الحاكم بأمره

تشتكي بعض الزوجات أن زوجها في البيت، مستبد برأيه ولا يقبل أي مناقشة فيه، ويطلب تنفيذه والانصياع لأوامره حتى ولو خطأ، ولا محل لإقناعه بالعدول عن رأيه؛ بل لو حاولت الزوجة أن تناقشه في ذلك، لشب الخلاف الشديد بينهما وينتهي الأمر على إصرار الزوج على رأيه وليكن ما يكون. وفي الواقع أن استبداد الزوج بالرأي وإصراره على أن يخضع الطرف الآخر لهذا الرأي دون مناقشة أو مجادلة حتى ولو كان خطأ يجعل الحياة جحيماً لا يطاق ويزيد من التباعد بين الطرفين، ويقتل عروق المحبة بينهما؛ لأن الحياة الزوجية ليست مجرد أوامر تنفذ، وفروضاً يجب أن تطاع، وليست استبداداً أو تملكاً، وإنما هي مشاركة في كل شيء، في الرأي، في اتخاذ القرارات في محاولة تقريب كل منهما إلى الآخر ودخول كل طرف إلى أعماق نفس الآخر في محاولة فهم كل منهما حتى يستطيعا أن يصلا إلى بر الأمان والحب يسودهما، والاستقرار والهناء والسعادة طريقهما.

وليس معنى ذلك أننا ننافي قوامة الرجل، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ فالقرآن جعل قيادة الأسرة بيد الرجل، ليس حبًّا للرجل ولا بغضاً للمرأة، بل لخصائص الرجل، وإن اتفقا في تحقيق الأهداف المشتركة، وقد يقول قائل: رب قيادة المرأة للأسرة تفوق قيادة الرجل؛ بل يمكن للمرأة أن تحكم البلاد والعباد بشكل أكثر حنكة وقدرة من حكم الرجال! ورب امرأة صالحة تعادل أكثر من ألف رجل غير صالح، وهناك من الرجال من لا يقدرون على إدارة أنفسهم وإصلاحها فكيف يقدرون على إدارة أسرهم وإصلاحها؟ وفاقد الشيء لا يعطيه.

هذا القول إذا نظرناه بمنظار الخصوصية فقد يكون صحيحاً، أي بعض

النساء في طاقاتهن تفوق بعض طاقات الرجال، وهذا لا يمكن أن يعمم كقاعدة مركزية للانطلاق في مسيرة الحياة. فكما يتفاضل الرجال فيما بينهم، كذلك يتفاضل النساء فيما بينهن، وتفاوت تفاضل الرجال فيما بينهم يشكل حالة نسبية، وكذلك تفاوت تفاضل النساء فيما بينهن يشكل حالة نسبية أيضاً، ولو أخذنا قاسماً مشتركاً بين التفاوت الحاصل بين سلم تفاضل الرجال وسلم تفاضل النساء، لحصلنا على نتيجة واضحة بلا لبس، أي أن التفاوت في تفاضل نسب الرجال أكثر وأدق وأهم وأرجح من التفاوت الحاصل في التفاضل بنسب النساء، فتكون القاعدة العامة التي تقترب من الحقيقة أن الرجال أولى وأجدر في تسليم القيادة من النساء، وتكون رجاحة قيادة النساء وكفاءتهن المميزة باستثناءات وقفزات وراثية متطورة في حركة مسيرة البشرية. والقاعدة تغلب الاستثناء في جميع المجالات، هذا من منظار النسبة والتناسب فإعطاء الإسلام حق القيادة للرجل، ليس سوى تقرير للوضع القائم على أساس الفطرة، وعندما يتحدث القرآن عن حقوق المرأة والرجل داخل الأسرة يقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فالتشريع الإسلامي يضع الحقوق الزوجية بإزاء الواجبات ليحقق التوازن، يعنى حقوق الزوجة ومسؤولياتها تماثل بعضهما البعض، ومعنى الدرجة هنا هي الصفح والإغضاء عن التقصير سبق بيانه[(١)].

فيجب على الزوج ألا يستبد برأيه وأن يثق بشريكة عمره، وبمن اختارها قلبه وعقله وأن يشركها دائماً في آرائه ومشكلاته ومحاولة الوصول معاً إلى رأي موحد في مواجهة أي مشكلات أو صعاب؛ لأن انعدام الثقة بينهما واستبداد الزوج برأيه تجعل الحياة جحيماً لا يطاق مما يزيد من صعوبة التفاهم الحر البناء وتبدأ علامات الفشل والضياع تلوح بالظهور كإنذار يهدد استمرار الحياة بينهما، واستحالة العِشْرة الزوجية مما يقتل الحب ويقضي على الارتباط الذي جمعهما، وتضيع المعاني الجميلة، والقيم السامية، والذكريات الغالية بسبب

---

(١) لماذا جعل القرآن قوامة الرجال على النساء؟، مكي قاسم البغدادي.

استبداد الزوج وتعصبه بالرأي، فيفقد مثل هذا الزوج أجمل لمسات الحياة من الود والألفة والحب والحنان والرحمة.

فالعلاقة الزوجية الناجحة هي القائمة على الحوار بين الزوجين، وقد كثرت المشكلات الأسرية التي قد يكون من أسبابها في أحيان كثيرة، كلمة طائشة وعبارة نابية وحوار غاضب ولغ فيه الشيطان فكان بعد ذلك النزاع والخلاف والشقاق الذي انتهى بدوره إلى هجر وفراق؛ بل ربما تحول إلى طلاق!!.

والذي ينظر إلى حوارات السلف الصالح التي كانت تدور في بيوتهم يجد فيها نفائس إيمانية ولطائف تربوية ينبغي أن تكون منهجاً لنا في حواراتنا مع أهلينا، نقتبس من مشكاتها ونسير على ضوئها، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده.

فهذا شريح القاضي قابل الشعبي يوماً، فسأله الشعبي عن حاله في بيته فقال له: من عشرين عاماً لم أر ما يغضبني من أهلي! قال له: وكيف ذلك؟.

قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتي رأيت فيها حسناً فاتناً، وجمالاً نادراً، قلت في نفسي: سوف أتطهر وأصلي ركعتين شكراً لله، فلما سلمت وجدت زوجتي تصلي بصلاتي وتسلم بسلامي. فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدي نحوها، فقالت: على رِسْلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على محمد وآله، أما بعد: إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فأتركه، وقالت: إنه كان في قومك من تتزوجه من نسائكم، وفي قومي من الرجال من هو كفء لي، ولكن إذا قضى الله أمراً كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك به الله، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولك.

قال شريح: فأحوجتني - والله - يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الموضع فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلي على النبي وآله وسلم، وبعد: فإنك قلت كلاماً إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك. أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها.

فقالت: كيف محبتك لزيارة أهلي؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري.

فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له، ومن تكره فأكره؟.

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة، فمكثت معي عشرين عاماً لم أعقب عليها في شيء إلا مرة، وكنت لها ظالماً.

ومن خلال الحوارات التي تجرى داخل البيوت يجد المرء أخطاء كثيرة، تذهب بفائدة الحوار، وتبطل أثره في النفوس، بل وربما جلبت الشقاق والنزاع والخلاف وأورثت البغض والحقد والكراهية، ومن هذه الأخطاء:

أ ـ الحوار في ظروف غير مناسبة: وعلى سبيل المثال: تخطئ الزوجة التي تفتح باب الحوار ـ بل باب المشاجرة ـ مع زوجها وهو غضبان؛ ولذلك قال أحد الشعراء قديماً يوصي زوجته:

خذي العفو مني تستديمي مودتي	ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدف مرة	فإنك لا تدرين كيف المغيب
ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى	ويأباك قلبي والقلوب تقلب
فإني وجدت الحب في القلب والأذى	إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب!

ب ـ وتخطئ الزوجة التي تفتح مع زوجها حواراً تطلب منه أشياء تريدها عند دخوله للبيت بعد فترة غياب في العمل لا تدري كيف قضاها الزوج!.

ج ـ كذلك يخطئ الزوج الذي فتح باب الحوار لتقويم زوجته أمام الأهل والأولاد والأقرباء.

د ـ الاستئثار بالكلام: هناك بعض الأزواج لا يدع مجالاً للمحاورة داخل الأسرة، إما لعرف خاطئ أو لتكبر في نفسه واعتداد بذاته وغرور برأيه، وإما لاحتقار واستصغار للمقابل.

ويتولد عن هذا الخطأ: البغض أو الكره للزوج أو العزلة عنه أو عدم

القناعة بما يمليه عليهم، فإذا حضر الزوج التزم أهل البيت ـ على مضض ـ بما يريد، وإذا خرج عادوا إلى ما يريدون بعد أن يحمدوا الله على خروجه!!.

وها هو سيد البشر ﷺ يسمح لزوجاته أن يراجعنه في القول فتدلي كل واحدة منهن برأيها وتعبر عما في صدرها؛ بل وتدافع عن نفسها، فليس هو وحده الذي يتكلم في البيت.

قالت زوجة عمر، وقد أنكر عليها عمر ﷺ وعنها مراجعتها له بالحديث: (إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل)[1].

هـ ـ استثارة غضب الزوج: هناك بعض النساء تثير زوجها في حوارها فتختم بعض حواراتها بـ «..وإلا سأذهب إلى بيت أهلي»، «..وإلا طلقني!!». فتدفعه دفعاً إلى الاستبداد بالرأي ليثبت قوامته.

و ـ عدم الاعتراف بالخطأ: على الزوج ألا يتحرج إذا حاور زوجته في قضية ورأى أن الحق لم يحالفه[2].

فعلى الزوج ألا يمطر زوجته بكلماته القاسية، وأن يشمل أسرته بالحنان، وكذلك على الزوجة ألا تلجأ زوجها للنفور والغضب، بل عليهما أن يطهرا جوهما الأسري وحوارتهما من هذه الأساليب اللاذعة فإن عاقبتها مُرَّة.

هذه مجموعة من المشكلات التي تقع في محيط الزوجين وفيما يلي بعض المشكلات التي تقع في محيط الأبناء، وهذا ما سنناقشه في الباب الثاني.

* * *

(١) رواه البخاري (٢٣٣٦)، والترمذي (٣٣٧٤).
(٢) حوارات أسرية، مازن بن عبد الكريم الفريح، بتصرف يسير.

الباب الثاني

تربية الأبناء ومشكلاتهم

الفصل الأول

حتمية التربية

حتمية التربية

تعد تربية الطفل من أصعب الأمور؛ فالأولاد يحتاجون إلى انتباه شديد ومراقبة ومعاينة منذ حداثة سنهم؛ ومما تهوّن هذه الصعوبة أن تربية الأولاد هي استمرار وامتداد للإنسان، فالأولاد هم بضعة من الشخص وهم ثمرة قلبه، فحينما يرى الإنسان أولاده على دين وصلاح واستقامة يشعر بسعادة ما بعدها سعادة؛ فالولد الصالح ذخيرة العبد في حياته حيث الذكر الجميل بين الناس، وبعد مماته حيث المغفرة والرحمة من الله. وهذا نتيجة عمل الإنسان ومدى اهتمامه بتربية أولاده وسعيه إلى تنشئتهم وفق ما يرضي الله: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم: ٣٩ ـ ٤١].

فالرجل لا يعتبر نفسه قد أنجب أولاداً إلا إذا كانوا صالحين؛ لأن ذِكْره سيبقى مجيداً بعد موته، إذا شوهد الابن تُذِكِّر الأب بالخير والرحمات، والعكس صحيح إذا كانت التنشئة والتربية غير ذلك، نسأل الله السلامة.

○ الهداية من الله:

الهداية ليست في يد الإنسان؛ بل هي بيد من يهدي من يشاء بفضله ورحمته، ويضل من يشاء بعدله وحكمته؛ ولكن على العبد هداية الدلالة والإرشاد والنصح والتوجيه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦] وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢] عن أبي ذر ـ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله ﷻ: (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم)[١].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

ومن بذل النصح لزوجته فلم تهتد فليس عليه إلا أن يقرأ قوله سبحانه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم: ١٠].

ومن بذل وسعه قدر طاقته مع أبنائه فما زادهم إلا إصراراً وإعراضاً وعناداً، فليقرأ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٢ ـ ٤٦] فأي تسرية عن القلب وتسلية للعقل أعظم من هذه؟.

وهذا سيدنا إبراهيم الخليل ﷺ يقول لأبيه آزر: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ٤٤ ـ ٤٥].

عندما يرى العبد حال الأنبياء والصالحين وإخلاصهم ودعوتهم لذويهم وفي المقابل يرى إصرار من يدعونهم يتيقن أنه ليس بيديه شيء، وأنه لا حول له ولا قوة، لذا فوجب ألا يعتمد على نفسه، ولا يركن لقدرته، ولا يثق بغير ربه، فيقول: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث؛ أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين)[1].

وتزداد الصعوبة في ظل المجتمعات المنحرفة عن الإسلام، والتربية إذا

(١) قال الألباني: (حسن). انظر: حديث رقم (٥٨٢٠) في صحيح الجامع.

لم تكن حسنة فإنها تؤثر على الطفل سلباً، فهناك من الآباء من يزرع في نفس ابنه الروح الانهزامية أو الجبن أو الاتكالية دون قصد، وبعدها نبدأ في إلقاء التهم على غيرنا فالأب يلقي المسؤولية على المعلم والمدرسة، والمعلم يلقيها على المجتمع والأسرة... وهكذا، الكل يلقي المسؤولية من على عاتقه، ولكن الضحية في النهاية هو الطفل، وساعتها يتدم الوالدان على تفريطهما في الأمانة والمسؤولية التي ألقيت على عاتقهما في تربية ابنهما أو الإهمال فيها؛ ولكن قد يكون مضى وقت الندم وإصلاح ما تهدم، وقد قال رَسُولَ الله ﷺ: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَة رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ - قَالَ وَحَسِبْتُ أَنْ قَالَ - وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)(١).

ليس للأب عذر في الانصراف عن تربية الأولاد، يجب على كل أب أن يمضي وقتاً كافياً مع أولاده، نسمع بعض الآباء أنهم يخرجون من المنزل وأولادهم نائمون ويرجعون وهم نائمون، فهؤلاء قد أخطؤوا في حق أولادهم أيما خطأ، فينشأ الأولاد على العصيان والتمرد لا يقبلون النصح من الأهل ويصبحون عبئاً على آبائهم مع أنهم هم المسؤولون عن ذلك بتقصيرهم في تربيتهم.

ونفس الطفل كالقارورة إذا لم يحسن استخدامها انكسرت، فالطفل عينه على الأب والأم والمعلم، فإن أحسنوا التربية نشأ صالحاً، وإن كانت الأخرى فلا نلومن إلا أنفسنا، والطفل ينشأ كما عوده أبوه، وقد قال ﷺ: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)(٢).

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩)، وأبو داود (٢٩٢٨).

(٢) رواه البخاري (١٢٩٣)، ومسلم (٢٦٥٨)، وأبو داود (٤٧١٤).

وقال الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

فالأب يدفع بابنه إلى المدارس الأجنبية، ويسمح لرفقاء السوء بمصاحبة ابنه، ويُدْخل إلى بيته جهاز التلفزيون والفيديو والأفلام الماجنة، ثم يسأل لماذا انحرف الأبناء؟!.

والمعلم له فضل كبير وقد قيل في فضله: لولا المربي لما عرفت ربي؛ ولكن إن نسي مهام وظيفته واتجه للدروس الخصوصية، والطالب لا يهمه غير الورقة المكتوب فيها أنه قد نجح حتى وإن كان يجهل مبادئ القراءة والكتابة، كما قيل:

يا خيرة الأقوال ... وضعوك في الأغلالِ
ليس المدرس مخلصاً ... والطفل غير مبالِ
هذا لنيل شهادة ... وذا لنيل المالِ

من هنا جاء هذا الفصل ليلقي الضوء على المشكلات التي تعترض الأبوين في رحلة تربيتهما لأبنائهما، مع تقديم المقترحات للوقاية والعلاج للمشاكل التي يواجهها الآباء، آملاً أن يجد الآباء والمربون فيه بغيتهم، وأن يكون باعثاً على إعادة النظر في تربية أبنائنا تربية دينية سليمة، بعيدة عن العادات والتقاليد الموروثة التي نطبقها دون تفكير حتى المتعلمين، مستلهمين الهدى والرشاد من الكتاب والسنة، متخذين فيها خير قدوة لنا الرسول ﷺ، داعين الله ﷻ أن يوفق الآباء ويعينهم على تربية أبنائهم التربية الصالحة؛ ليكونوا ذخراً لآبائهم في الحياة وبعد الممات، وقد قال ﷺ عن مواصلة الحسنات بعد الموت، ووضح لنا أن من سبب ذلك ولد صالح يدعو له فقال: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

(١) رواه مسلم (١٦٣١)، وأبو داود (٢٨٨٠).

أهمية التربية وأهدافها

في الحديث السابق وضح لنا الرسول ﷺ أسباب استمداد الثواب بعد الممات، ولكي نحافظ على صفات المجتمع الإسلامي لا بد أن يكون أسلوبنا في تربية الأبناء هو الأسلوب النبوي، فيُربى الابن على طاعة الله ﷻ وعلى احترام القيم والأخلاق الحميدة.

قال ابن عباس: اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار، وقال قتادة: تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها. وقال الضحاك: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه(١).

وللأدب أهمية كبرى في تربية الطفل، فقد قال بعض السلف لابنه: «لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إليَّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم». وقال أبو زكريا العنبري: «علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسد».

ومن المُسلَّم به أن الإنسان يولد صفحة بيضاء، خالية من أي اتجاه أو تشكل للذات، وإنما يحمل الاستعداد لتلقِّي العلوم والمعارف وتكوين الشخصية والتشكل وفق خط سلوكي معين.

لذا نجد القرآن الكريم يخاطب الإنسان بهذه الحقيقة، ويذكِّره بنعمة العلم والتعليم والهداية، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

(١) انظر: تفسير ابن كثير في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾.

شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

وهذا الإمام علي ﷺ في وصيته لابنه الحسن يقول له: [وإنما قلب الحَدَث كالأرض الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فباكَرْتُك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك، لتستقبل بجد رأيك ما قد كفاك تجربته، فتكون قد كفيت مؤنة الطلب، وعوفيت من علاج التجربة][١].

○ أثر البيئة على الطفل:

تعد الأسرة من أهم العوامل المكونة لشخصية الطفل والتي لها تأثير مباشر فيها، فهي المحيط المباشر الذي يعيش فيه الطفل؛ لذا فإن المناخ العائلي، والعلاقات التي تربط بين أفراد الأسرة، من أهم العوامل التي تؤثر على عمليات النمو النفسي والاجتماعي للطفل، حيث إن الأسرة التي يتوافر فيها عوامل الحب والمودة والعطاء والاستقرار النفسي تُعَد عوامل ضرورية لتوفير مشاعر الأمن للطفل، ولتوفير عوامل النمو الانفعالي السوي له؛ لأن تفاعلات الطفل وعلاقاته الاجتماعية المستقبلية، وكذلك نمو الطفل الانفعالي والعاطفي تتشكل وتتأثر بناء على أنماط التفاعل بين الوالدين والطفل في الأسرة، وحيث إن الأطفال هم أساس مستقبل أي مجتمع فإنه يبرز لنا أهمية اتباع أساليب معاملة سليمة معهم.

ولكن قد لا تقوم الأسرة بالأدوار الواجبة عليها، كما أنه لا يفترض خلوها من المشكلات المختلفة، وذلك إما نتيجة لأسباب تتعلق بأفرادها أو لأسباب أخرى مجتمعية، فنتيجة للتغيرات المتعددة المرتبطة بطبيعة الحياة المعاصرة، نلاحظ نشأة صورة جديدة ومتغيرة من الظواهر والمشكلات التي تواجه حياة الأسرة، ومن المعلوم أن للبيئة دوراً رئيساً في التربية، فالطفل الذي يعيش في بيئة صالحة ينشأ نافعاً لنفسه وأهله ووطنه، وفي المقابل نجد الطفل الذي تربى في بيئة شاذة، أو تَربّى تربية منحطّة فإن هذه التربية تترك تأثيرها في

---

(١) كنز العمال (٤٤٢١٥).

سلوكه، فتجني عليه، وتصنع منه إنساناً مجرماً معذَّباً في حياته وشقيًّا في آخرته والعياذ بالله.

لذا فالتربية الإسلامية تعتمد على إصلاح شأن الأسرة والمجتمع المحيط بالطفل، كما تعني بإصلاح كل وسائل التوجيه التربوي.

○ أسس في التربية:

إن المقصد الأساسي للأسرة هو تزويد المجتمع بالعناصر اللازمة لنموه واستمراره، وليس معنى ذلك أن تكون هذه الزيادة عددية، وإنما لا بد من أن تكون هذه العناصر صالحة، فالعناصر الصالحة هي القادرة على العطاء والاستمرار وتحويل المجتمع الخامل الذي يشغل نهاية القائمة ويستجدي طعامه من بقايا الموائد إلى مجتمع يحمل بين طياته عناصر البقاء والارتقاء نحو الأفضل.

والعامل الأساسي في صلاح هذه العناصر هو قيام الأسرة بدورها التربوي الذي أوجبه الله عليها، والإسلام اعتنى بالأسرة وجعل لها ثوابت وأسس راسخة تعتمد عليها لا تتغير ولا تتبدل مع مرور الزمان واختلاف المكان.. وهي:

١ ـ العقيدة: والتي تعني الإيمان بأركان الإسلام الستة: «الله الواحد، والملائكة، والرسل، والكتب، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

٢ ـ العمل: وأركانه خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً. ويتميز العمل بالإخلاص ومتابعة السنة والتقوى و....إلخ.

٣ ـ الأخلاق: وهي ميزة الإسلام الكبرى، وشعاره الذي جاء به رسول الله ﷺ.. (إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ)[1].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢٧٣). وصححه الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة حديث (٤٥).

٤ - الجهاد في سبيل الله يقول تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج: ٧٨].

قال ﷺ: (وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ)[١].

إن هذه الثوابت من صميم ما أرسل به الرسول ﷺ، وهي ما حافظ عليه السلف فكانت ثمار تربيتهم قادة وعلماء قادوا العالم لقرون طويلة.

والإسلام حين اعتنى ببناء الأسرة، ووضع لها الأسس التي تقام عليها، هذه الأسس التي تحتوي على الكثير من الملامح الحضارية التي تؤهل الأسرة المسلمة لدورها الاجتماعي والتربوي الذي يؤدي إلى النهوض الحضاري[٢].

○ عقوق الآباء:

نسمع عن عقوق الأبناء للآباء؛ ولكن عادة لا يأتي هذا العقوق إلا إذا عق الآباء الأبناء وهم صغار، جاء رجل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو إليه عقوق ابنه، فأحضر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابنه وأنَّبه على عقوقه لأبيه، فقال الابن: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب (القرآن).

فقال الابن: يا أمير المؤمنين إنه لم يفعل شيئاً من ذلك: أما أمي فإنها كانت لمجوسي، وقد سماني جعلاً (جعراناً)، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً.

فالتفت أمير المؤمنين إلى الرجل، وقال له: أجئت إليّ تشكو عقوق ابنك، وقد عققته قبل أن يعقك، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك؟!.

ويقول الإمام الغزالي في رسالة أنجع الوسائل: «الصبي أمانة عند

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦٣)، ومسلم (١٧٤٢)، وأبو داود (٢٦٣١).

(٢) للمزيد: راجع د. يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣م.

والديه، وقلبه الطاهر جوهرة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم؛ شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة والديه.

وأكّد ابن القيم رحمه الله هذه المسؤولية فقال: «قال بعض أهل العلم: إن الله سبحانه يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة، قبل أن يسأل الولد عن والده، فإنه كما أن للأب على ابنه حقًّا، فللابن على أبيه حق، فكما قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨] قال أيضاً: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم، فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبتِ إنك عققتني صغيراً، فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يَحْبِسَ، عَمَّنْ يُمْلِكُ، قُوتَهُ»[1].

○ أهداف التربية في الإسلام:

للتربية الإسلامية أهداف وغايات أساسية تستهدف تحقيقها والوصول بالإنسان إلى مستواها، وهذه الأهداف يجب أن يجعلها الآباء والمربون في أذهانهم، فهي القاعدة الأساسية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة؛ لذلك كان واجباً على الأب والمربي والمدرسة والدولة والمصلح الاجتماعي أن يراعي تحقيقها، ويعمل على تركيزها.

---

(١) رواه مسلم (٩٩٦).

وأهم هذه الأهداف:

١ - تعريف الإنسان بربّه تعريفاً يقوم على أساس الوعي والفهم السليم، لإثارة العلاقة السليمة بين الإنسان وخالقه، ولتكوين فهم إيماني أصيل يساهم في بناء شخصية الفرد وإثارة تصور سليم للحياة الدنيا والآخرة.

٢ - تعريف الإنسان بنفسه وعالمه، ليعرف قدره وقيمته الإنسانية، ويعرف العالم الذي يحيط به، والمجتمع الذي يعيش فيه، وليعرف حقوقه وواجباته وغاية وجوده، وعلاقته بهذا العالم وبالحياة.

٣ - تنمية روح الأخوة الإسلامية، وتأكيد الإخلاص للعقيدة والأمة الإسلامية، وهذا من أهم الأهداف التي تسعى الجهات والمؤسسات التربوية لتحقيقها كل حسب مسؤوليته واستطاعته.

٤ - تربية مشاعر الحب والانسجام وتقوية الإحساس بمفهوم الخير والشر، وإمداد الفرد بوعي يجعله قادراً على الانسجام مع مَنْ حوله فلا يرى الشر في العوالم المحيطة.

٥ - إيجاد تفكير إسلامي منظم يوصله إلى الالتزام المنهجي في كل تفكير وعمل.

٦ - إعداد شخصية إنسانية متوازنة تتفاعل في إطارها كل عناصر الإنسان المادية والفكرية والروحية على أساس من الوحدة والانسجام.

٧ - تنمية وتوجيه طاقات الإنسان المختلفة، تمهيداً لتوظيفها في مجال الخير والبناء، واستثمارها لصالح الإنسانية.

٨ - غرس الروح والتفكير العلمي في نفس الإنسان، وزرع حب العلم والشوق إلى تحصيل المعرفة، وتزويد الطفل والناشئ والشاب بالعلوم والمعارف، والمهارات، والخبرات اللازمة.

٩ - إعداد الفرد للعيش في ظلال الحياة الإسلامية، والمساهمة في بناء هيكل المجتمع والحياة.

١٠ ـ الحفاظ على تراث الأمة الإسلامية، وماضيها المجيد بدراسة تاريخ الأمة، والتعريف بأمجادها وحضارتها، ودورها التاريخي بشكل نزيه وخالٍ من التعصب والدس والتشويه الذي تعرّض له التاريخ، لنكشف لأجيالنا عن وجه التاريخ الناصع، وليكتشف الطالب العبرة والقدوة في هذا التاريخ العظيم.

١١ ـ تنمية الروح القيادية في الأطفال والناشئة والشباب، وتأكيد دور الأمة الإسلامية الرسالي، وتوضيح مسؤوليتها الحضارية الكبرى في الحياة وإشعارهم بمسؤوليتهم الإنسانية لإنقاذ البشرية وهدايتها إلى سبيل الخير والسلام، لتنشأ فيهم روح الاستقلال والأصالة العقائدية، وينمو في نفوسهم النزوع إلى قيادة البشرية، ودعوتها إلى رسالة الحق.

○ متطلبات الطفل من أبويه:

تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل في حياة الإنسان، ففي هذه المرحلة تنمو قدرات الطفل، وتتفتح مواهبه، ويكون قابلاً للتأثير والتوجيه والتشكيل.

ويؤكد علماء النفس أن الأسرة تكاد تكون الأداة الوحيدة، التي تعمل على تشكيل الطفل إبان حياته الأولى، فقد أثبتت الدراسات أن الطفل يكون بحاجة إلى أن ينمو في كنف أسرة مستقرة، كما أثبتت حاجته إلى أخوة ينمون معه ويشاركونه حياته الأسرية، فالأم تحتضن الطفل في مرحلة المهد، ومنها يستمد شعوره بالأمن، وعن طريق الأب يمكن للطفل أن يشبع الكثير من حاجاته ورغباته، وأن ينال منه أيضاً العطف والتقدير والمحبة.

وتشير الدراسات في مجال التربية وعلم النفس إلى:

أ ـ أن أهم عنصرين يجب أن تسودهما العلاقات المتزنة في الأسرة هما الزوج والزوجة، ففي الأسرة المتزنة يكون كل من الوالدين مدركاً وواعياً بحاجات الطفل السيكولوجية والعاطفية المرتبطة بنموه، ومن أهم هذه الحاجات حاجة الطفل إلى الشعور بالأمن والطمأنينة، والحاجة إلى التقدير والحب والثقة بالنفس، والحاجة إلى الانتماء،

وإلى بناء علاقات اجتماعية، والحاجة إلى العطف والتعليم والتوجيه.

٢ - يكون الأب مدركاً لما قد يكون من وراء سلوك طفله من رغبات ودوافع يعجز الطفل عن التعبير عنها بوضوح.

٣ - لا يكون الطفل مَسْرحاً يظهر عليه أحد الوالدين رغباته غير المشروعة كأن يستخدم في إيذاء وضرر الطرف الآخر، أو الكيد له، أو أن يضع في طفله محور صراع بينه وبين غيره من الكبار الذين يتصلون بالطفل.

٤ - يشعر الفرد بالحنو والأمان والاستقرار، الأمر الذي يبعد عنه القلق والاضطراب ويفتح أمامه الطريق للتكيف النفسي السليم ويمكنه من أن ينمي قدراته وإمكاناته، ليكون مواطناً ناجحاً نافعاً، سويًا.

تقول د. هدى قناوي: «أصبح من المسلّم به في الوقت الحاضر لدى علماء الصحة النفسية والباحثين في مجالها أن الاتجاهات التي تترك آثاراً سلبية، ويعزى إليها مستوى الصحة النفسية، الذي يمكن أن تكون عليه شخصياتهم كراشدين فيما بعد هي:

١ - **التسلط**: ويتمثل في فرض الأب أو الأم لرأيه على الطفل.. وهذا الاتجاه غالباً ما يساعد على تكوين شخصية خائفة دائماً، خجولة وحساسة.

٢ - **الحماية الزائدة**: وتتمثل في قيام أحد الوالدين، أو كلاهما نيابة عن الطفل بالواجبات أو المسؤوليات، التي يمكن أن يقوم بها، والتدخل في كل شؤونه، فلا تتاح للطفل فرصة اتخاذ قرار لنفسه حتى في اختيار ملابسه وأصدقائه.

٣ - **الإهمال**: ويتضح في صورتين: صورة لا مبالاة، وصورة أخرى هي عدم إثابة للسلوك المرغوب فيه، والنتيجة تكوين شخصية قلقة مترددة، تتخبط في سلوكها، شخصية متسيبة غير منضبطة في أي عمل.

٤ - **التدليل**: ويتمثل في تشجيع الطفل على تحقيق معظم رغباته بالشكل الذي يحلو له وعدم توجيهه لتحمل أية مسؤولية تتناسب مع مرحلة النمو التي يمر بها.

٥ ـ القسوة: وتتمثل في استخدام أساليب العقاب البدني «الضرب» والتهديد به، والنتيجة شخصية عدوانية.

٦ ـ التفرقة: بمعنى عدم المساواة بين الأبناء جميعاً، والنتيجة شخصية أنانية حاقدة تعودت أن تأخذ دون أن تعطي، تحب أن تستحوذ على كل شيء لنفسها.

وفي رأي د. «جلاس توم» أن أهم العوامل الأساسية اللازمة لتحقيق التوافق السليم بين الصغير وأهله تتلخص فيما يلي:

١ ـ ينبغي أن يتعلم الطفل منذ وقت مبكر جدًّا أن الأمور لا يمكن أن تسير وفق هواه، ومن ثَمَّ وجب ألا نعطيه كلما يطلب أو يريد، إذ لا بد أن يتعود إغفال بعض رغباته، وأن يتعود العطاء، وهو يود لو يأخذ، وأن يقسم لعبه ويشاطر زملاءه إياها.

٢ ـ من الخير أن يتجنب على الدوام أن نرشو الطفل، وأن نبذل له من الوعود ما نعرف أننا لن نستطيع الوفاء به.

٣ ـ الأمر الطبيعي السوي هو أن يستكمل الطفل استقلاله، ويتحمل المسؤولية كاملة في سن مبكرة ما أمكن التبكير بذلك، ولندعه يحاول، ويخفق، إذا استلزم الأمر ذلك؛ فإنه سوف يتعلم من أخطائه.

٤ ـ ينبغي أن يكون كلا الوالدين رفيقاً بالطفل صديقاً له، موطناً لثقته.

٥ ـ وقد يجدر أن نذكر هنا أن من القواعد الأساسية في تنشئة الأطفال أن الوالدين جبهة واحدة تعمل على توجيه الطفل، فإذا ثار بينهما خلاف فليلتمسا له الحل بعيداً عن سمع الطفل.

كذلك يشير الدكتور «مختار حمزة» إلى واجبات الآباء «في رأيه» بشأن تربية وتنشئة أطفالهم وأهمها:

١ ـ العمل على إعداد الطفل إعداداً يكفل له مواجهة واقع الحياة، فلا بد أن ينمو الطفل، وقد تهيأ لمواجهة أحداث الحياة.

٢ ـ لا بد أن يحاول الأب توزيع حبه وعطفه ورعايته على سائر الأبناء، كبيرهم وصغيرهم.

٣ ـ ينبغي على الآباء أن يوجهوا أبناءهم بشأن ما يرتكبون من أخطاء أو ما يبدو منهم من قصور، بحيث يكون هذا التوجيه وقتيًا، أي متعلقاً بالموقف القائم، ولا يتعداه إلى غيره من مواقف.

٤ ـ يجب أن يكون للأبناء نصيب من وقت الآباء، فلقد كثرت مشاغل الحياة في هذه الأيام، وكثرت الأعباء الملقاة على عاتق الآباء، فانصرفوا عن أبنائهم لا يعطونهم من الوقت والرعاية ما هو حق لهم.

وأصبح كثير من الآباء لا يساهمون مساهمة فعالة في الإشراف على أبنائهم، مما قد تكون له آثاره السلبية على تنشئة هؤلاء الأبناء، ويجب أن ندرك أهمية مباشرة الآباء لأبنائهم وإعطائهم من الوقت ما يمكن الابن من أن يتوحد بأبيه، وأن يمتص عنه مُثُله ومبادئه.

٥ ـ يجب ألا يلقي الآباء أوامر أو نواهٍ للأطفال بقصد منعهم من سلوك معين باستخدام الألفاظ الدالة على التحريم مثل «عيب» أو «لا يصح» في الوقت الذي لا يستطيع فيه الطفل إدراك معاني الأشياء.

٦ ـ كذلك يجب على الآباء ألا يفرضوا على أطفالهم التزامات جديدة بشكل مفاجئ؛ بل يجب مراعاة التدرج في تحميلهم المسؤوليات، أي أن يكون ذلك خطوة بخطوة بما يتناسب مع مستويات نموهم، وفي الوقت الذي يصبحون فيه قادرين على الفهم والتمييز.

ويجب أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم، فشخصية الطفل إنما هي نتاج لتفاعله مع مَنْ يحيطون به، ويبدأ هذا التفاعل أول ما يبدأ مع والديه.

ثم تبقى كلمة.. إن «البستاني» الحصيف لا يلوم إلا نفسه إن نبتت الشجرة التي يرعاها هزيلة ضعيفة[1].

---

(١) د. مختار حمزة، مجلة الوعي الإسلامي.

أسس تربوية

○ **الاعتراف بالقدرات:**

يتخيل كثير من الآباء والأمهات أن ما لم يحققوه في شبابهم من طموحات وآمال ورغبات لا بد أن يروه ويحققوه في أبنائهم وبناتهم، وأن الظروف وإن كانت قد حالت بينهم وبين تحقيق طموحاتهم، فإنهم يوفرون لأبنائهم وبناتهم ما يجعلهم قادرين على تحقيق هذه الآمال التي صعبت عليهم، وهذا من الظلم لهؤلاء الأطفال، فلا بد من وضع قدرات الأبناء في الاعتبار، فالأبناء ليسوا مطالبين بتحقيق رغبات الآباء والأمهات، وليس من برِّ الأبناء والبنات بآبائهم أن يحققوا آمال الآباء.

لذا نجد الآباء حريصين كل الحرص على زرع طموحاتهم في نفوس أبنائهم، وهو يتخيل أنه بذلك يحفِّز أبناءه، ولا يدري أنه يحبطهم ويحطِّم معنوياتهم، ويصنع شخصية مهزوزة خائفة، فيحاول الأبناء مضطرين تحت وطأة حبهم لآبائهم، ورغبة في إرضائهم إلى تحقيق ما يطلبه الآباء والأمهات، فيبذلون أقصى ما يمكنهم، وقد يدركون أو لا يدركون ما يريده الآباء، ولكنهم في كثير من الأحيان لا يصلون إلى ما يرضي آباءهم وأمهاتهم، ويعبِّر الآباء والأمهات عن ذلك بصور شتَّى، ويقع الأبناء في حيرة ماذا يفعلون؟ إنهم يبذلون أقصى ما يستطيعون، فيقعون في الخوف وعدم الثقة في النفس؛ لأنهم دائماً يشعرون أنهم مقصِّرون.

فعلى الآباء أن يجعلوا آمالهم في حدود قدرات أبنائهم، فإذا ما بذل الابن مجهوداً يناسب قدراته وطاقاته، بصورة طبيعية بدون خوف أو توتر شجعه على ذلك ولا يطلب ما يفوق إمكاناته؛ لأنه لن يستطيع ذلك بالإضافة على زرع

الصفات السلبية من عدم الثقة والخوف والإحساس بالذنب والتقصير دائماً، والصواب أن النجاح هو أن يحقق الإنسان مستواه الذي يرتضيه لنفسه في حدود قدراته وإمكاناته.

وعلى الآباء تدريب الطفل على الأعمال التي تنمي قدراته، وهناك أسس وقواعد لا بد من مراعاتها حتى يؤتي التدريب ثماره المرجوة ومنها:

١ ـ تكليف الطفل تكاليف مناسبة لجنسه، فالولد يصنع ما يصنعه الرجال والبنت تعمل ما تعمله النساء من مساعدة الأم في المنزل وتقليد الأم فيما تراه.

٢ ـ تكليف الطفل تكاليف مناسبة لسنه: فليس من المناسب تحميل الطفل أحمالاً لا يستطيعها بلا مراقبة ولا إرشاد.

٣ ـ التدرج في التكاليف: فنبدأ معه بالتكاليف البسيطة والسهلة والآمنة والمفهومة، ونبتعد عن التكاليف المعقدة التي تحتاج أكثر من مهمة لإنجازها.

٤ ـ عدم العقوبة في حال الخطأ، فالتعنيف والتوبيخ يسببان إحباطاً شديداً لدى الطفل مما يترك أثراً تربويًّا سيئاً في نفسه كما يجعل التدريب ومهارات التعليم تنتكس عند الطفل، والصواب هو توجيه الطفل بكل هدوء إلى خطئه ومحاولة تدريبه من جديد ليتجاوزه، فالخطأ لا يعني بأي حال من الأحوال العجز أو الفشل.

٥ ـ المراقبة في بدايات التكليف: فالبدايات دائماً تحتاج إلى تصويب ومتابعة حتى نجعل الطفل يتقن العمل حتى لو حصل على بعض المساعدة في المرات الأولى.

٦ ـ اختيار الوقت المناسب في التكليف: فلا تطلب منه عملاً أثناء لعبه مع الأطفال أو انسجامه بلعبة، وخاصة في البدايات مع تكليفه بأمور تحتمل التأخير، حتى يفرغ من لعبه.

٧ ـ التوسط في التشجيع، فلا تهمل تشجيعه حتى يتشجع ويواصل تدريبه، ولا تبالغ في الثناء عليه حتى يدرك أن هذا من الواجبات التي يجب القيام بها.

○ وصايا تربوية للمربين:

يجب على الآباء والأمهات أن يعلموا أن قضية تربية الأولاد مسؤولية مشتركة بين الزوجين، مصداقاً للحديث الذي يرويه عبد الله بن عمر ﵄ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُو مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أَهْلِهِ راعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ راعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(١).

ولا شك أن الزوج يضطلع بالعبء الأكبر من هذه المسؤولية بحكم القوامة الشرعية التي حمَّله الله تعالى إياها، ولكن تقصير بعض الأزواج في مسؤوليتهم لا يعفي الزوجات من التقدم إلى الميدان، وسد الخلل، وتدارك النقص إذ هما شريكان في بناء الأسرة وتكوينها، والصورة المثلى أن يكون الزوجان متعاونين على البر والتقوى في كل شأن، حريصين على أداء هذه المسؤولية الشرعية على أحسن وجه، وأن يكونا كمثل الأخوين المتحابين في الله تعالى، اللذين مثلهما «كمثل اليدين تغسل إحدهما الأخرى».

وكما قال الشاعر:

وإن تجد عيباً فسد الخللا ... فجل من لا عيب فيه وعلا

وينبغي على الوالدين ألا يختلفا أمام الطفل في أمر من الأمور الخاصة بالتربية، فيقول الأب للابن افعل كذا وترى الأم ألا يفعل هذا، ويحار الطفل بين الوالدين، من يطيع، أمه أم أباه؟ وقد عُلم وفُهِّم أن عليه أن يطيع كليهما!.

إن هذين الأمرين المختلفين يتركان أثراً سيئاً في نفس الطفل، ويحولان دون بناء شخصية الطفل بناء سليماً صحيحاً.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٣٢).

ولحل مثل هذه المواقف لا بد من الاتفاق المسبق بين الوالدين على موقف واحد، إجابة واحدة، يظهر فيها الوالدان متفقين أمام أبنائهما.

فلا بد للوالدين أن يتفقا على قواعد معينة في لعب الولد وفي خروجه متى يكون، ومع مَنْ؟ وهكذا فلا يشعر الابن باختلاف آراء والديه.

ولكن إذا كانت هناك مواقف طارئة، فقد لا يكون ممكناً أن يتفق الوالدان على موقف واحد تجاهها مسبقاً، فكيف يفعل الوالدان إزاءها؟.

إضافة إلى مواقف لم تكن قد خطرت على بال الوالدين ليتفقا مسبقاً عليها، فكيف يكون التصرف المثالي؟.

هنا يحسن أن لا يخالف أحد الوالدين الآخر في الأمر الذي وجهه إلى الطفل، ويؤجل معارضته له إلى ما بعد قيام الطفل بالأمر وفي غيبته حتى لا يشهد خلاف أبويه.

ومثال ذلك إذا رأت المرأة زوجها يكلف ولدها بحمل شيء ونقله إلى مكان آخر، وهي ترى أن هذا الشيء ثقيل جدًا على الطفل، وأن وزنه لا يتناسب مع سنه، فمن الخطأ هنا أن تقول الزوجة لزوجها أمام طفلهما: أليس في قلبك رحمة، كيف تريده أن يحمل كل هذا؟ إنه ما زال صغيراً!.

وكان على الأم أن تنتظر لتفاتح زوجها بهدوء في غياب الطفل، وليس أمامه، وتشرح له كيف أن تكليفه غير مناسب لسن ولدهما.

وإذا كانت خشيتها على الطفل تدفعها لعدم الانتظار إلى ما بعد فيمكنها أن تقوم بمساعدة الطفل في حمل ما كلفه به أبوه أو حمله عنه، دون أن تطلب منه رفض أمر أبيه له.

مثال آخر: أن يرى الأب أن الابن عليه أن يذاكر الآن، والأم ترى أن الطفل عليه أن يذهب للنوم، فلا تعترض الأم بأن موعد نومه قد أتى فلا بد من النوم؛ بل تنتظر بعض الوقت، ثم تأمر الولد بالانصراف وساعتها تناقش زوجها بأن الولد قد ذاكر وقت النهار وأنه لا بد من النوم مبكراً ليستيقظ للمدرسة نشيطاً وهكذا.

وهكذا تكون التربية على الاتفاق والتوجيه لا التعارض وإثبات أن شخصية أحد الأبوين أفضل من الأخرى، أو أن حجة أحد الوالدين أفضل من الآخر، وإلا تشتت الأبناء وقد يظهر فيهم النفاق بسبب أن الابن يريد طاعة أبيه التي ترى الأم أن رأيه خطأ فيلجأ الابن للنفاق ليرضي والديه كليهما[1].

وعندما يكون الزوجان كذلك تثمر جهودهما التربوية أطيب الثمار، فلا تتبدد جهودهما، ولا تهدر طاقاتهما، وتظهر آثار تعاونهما على تربية أولادهما سلوكاً قويماً سويًّا، ونجاحاً في الحياة متميزاً؛ ولكن عندما يكون أحد الزوجين بانياً مجتهداً، والآخر مهملاً مفرطاً، أو هادماً مخرباً، فأي خير يرتجى؟!! وأي نشأة سوية للجيل تنتظر؟.

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه   إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

أو كما قال القائل:

سارت مشرقة وسرت مغرباً   شتان بين مشرق ومغرب

وإن كثيراً من الآباء قد يخطئون أسس التربية القويمة، ولا يراعونها في علاقاتهم، وفي سلوكهم مع أبنائهم، ثم يعزون فساد أولادهم وانحرافهم إلى الأسباب والعوامل الخارجية العديدة الضاغطة، التي تخرج عن قدرتهم وسيطرتهم، وهذا نوع من التهرب من المسؤولية الشرعية التي يتحملونها، وسيسألون عنها يوم القيامة. وقد يكون لهذا القول حظ من الصحة والقبول، لو أنهم ساروا على منهج رشيد في تربية أبنائهم وبناتهم، وحرصوا على رعايتهم الرعاية التامة، ومتابعتهم في جميع مراحل نموهم، واتخذوا ما يستطيعون من الأساليب والوسائل لإبعاد المؤثرات الضارة عنهم، فإذا شذ أحدهم بعد ذلك أو انحرف فلن يكون إلا بنسبة ضئيلة شاذة، لا تشكل قاعدة ذات خطر، أو ظاهرة تستعصي على المعالجة، ومن ثَمَّ فقد كان لا بد من بيان أسس التربية القويمة وتوضيحها، ليكون كل من الزوجين على بينة من مسؤوليته وسلوكه،

(١) مشكلات تربوية في حياة طفلك، بتصرف.

ويعرف جوانب التقصير أو التفريط في عمله، فيسعى إلى تدارك ذلك وتلافيه، قبل فوات الأوان، ثم الندم حيث لا ينفع الندم[1].

وهذه بعض الإرشادات والوصايا التربوية التي تساعد كل أب، وأُم، ومربٍّ، ومربية على توجيه أطفالهم الوجهة السليمة في الحياة:

١ - يجب أن نغرس فيه الثقة بقدراته:

ولا يتم ذلك إلا بالاحترام والمحبة فإنهما يدفعان الطفل للانقياد والطاعة، وعدم الخروج عن أوامر الوالدين وإرشاداتهم، وتجعله يتقبل نصائحهم بسهولة وبرحابة صدر من غير تعنت أو عناد، والسر في ذلك يكمن في أن للطفل كغيره من الأشخاص غريزة تؤثر فيه تأثيراً سلبيًّا إن لم تستغل الاستغلال الحسن وتوجيهه التوجيه الصائب وهي غريزة حب الذات، وحب من يحسن معاملته بالطريقة الصحيحة والمعقولة.

ولا شيء يحاكي هذه الغريزة ويرضيها أبلغ من الاحترام والتكريم، لذا فإن الطفل الذي يلاقي تكريماً واحتراماً من أسرته فإنه ينطلق بروح شفافة وقديرة لا يشوبها شيء من التعقيد، وعلى العكس منه فالطفل الذي لا يحصل على القدر الكافي من الاهتمام والاستجابة لهذه الغريزة الكامنة عنده فإنه يشعر بالذلة والحقارة ويفقد القدرة على مواجهة صعاب الأمور.

وباختصار إن الطفل الذي يستطيع أن يدرك قيمة نفسه ومكانته بين أبويه اللذين يغذيانه بجميل الآداب وأفضل الصفات فإنه ينشأ على الثقة بقدراته وطاقاته ويدخل معترك الحياة مرفوع الرأس، عالي الهمة ولا شيء يقف أمام عزيمته وإرادته.

فإن أخطأ الطفل في شيء أو لم يحصل على درجات عالية في اختبار فلا يوجه إليه اللوم مثلاً بقولك: أنت لن تصلح أبداً، أنت لا يوجد فيك رجاء، ثم تقارن بينه وبين إخوته أو أصدقائه، فهذا يكسبه العناد ويصيبه بالإحباط، أما لو

---

(١) د. عبد المجيد البيانوني، مجلة الرسالة، عدد ذي القعدة ١٤٢٠هـ.

وجهت اللوم بشيء من الرقة لغرست فيه الإصرار فمثلاً لو قلت له: أعلم أنك تعبت هذا الشهر لكن إنه ليس آخر الاختبارات وفي الاختبار القادم آمل أن تكون الأول على الفصل، فإن هذا سيعطيه بعض الثقة لتجنب الخطأ وهكذا.

٢ ـ يجب أن نغرس فيهم تحقيق العبودية لله:

فالهدف الأسمى والأعلى للتربية هو إعداد النشء والرقي به لتحقيق الغاية الأساسية من خلقه، ألا وهي عبودية الله ﷻ والخلافة في الأرض ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦] إذاً فالتربية تهيئ المسلم ليقوم بهذا العمل وهذه المهمة؛ ليحقق الغاية التي من أجلها خلق وأوجد في هذه الحياة، وما يأتي بعد هذه الثمرة فلا يزيد على أن يكون فرعاً لهذه الثمرة الأساس.

٣ ـ يجب أن نمنح أبناءنا الحب والعطف والحنان:

وذلك بأن نربي فيهم احترام الشخصية، لتنشأ بيننا وبينهم علاقات ودّية، ولنوفر لهم جوًّا من الأمن والطمأنينة يساعد على نمو الشخصية السوية، وسلامة الاتجاه في الحياة.

٤ ـ نربي أطفالنا على الإيمان بالله، وحبه، والإحساس برحمته ونعمه:

وذلك بأن نعوّدهم على ترديد ذكره وشكره بالعمل والقول على نعمائه فشكر النعمة بالمحافظة عليها قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فالشكر عمل قبل أن يكون قولاً، ونجيب على أسئلتهم التي تخطر بأذهانهم عن الإيمان بالله والآخرة بطرق بسيطة تلائم عقلهم وتغرس فيهم من أقرب طريق الإيمان بالله.

٥ ـ نعرّفهم بقصص الأنبياء، وسيرة الرسول ﷺ:

ونراعي في ذلك أن يكون بأسلوب قصصي محبّب ومبسّط، ليأخذوا منه العبرة والقدوة من سيرة الرسول ﷺ والسلف الصالح، والسيرة النبوية مليئة بالقصص الهادف، وإن تركنا التربية بهذا الجانب ـ وهو القصص ـ ذهب

الأولاد للقصص عبر التليفزيون وغيره ممن ينزعون منه الفضيلة.

٦ - نحث أبناءنا على التمسك بالتقاليد والعادات الإسلامية:

ولن يكون ذلك إلا بتربيتهم على رعايتها واحترامها، كالنظافة، والتحية، وآداب الطعام، واللباس، والتعاون... إلخ، ونبعدهم عن كل تقليد مخالف للإسلام من أكل وشرب وسلام وحلق شعر ولبس و... إلخ.

٧ - نربي أبناءنا على حبّ كتاب الله وتلاوته وفهمه:

وذلك عن طريق القدوة والمتابعة والتعليم والتشجيع، والمسابقات وأمثالها، وبذل المال لتعليم الأولاد كتاب الله، ولا بد من استخدام أسلوب الإثابة، فكلما حفظ الطفل سورة حصل على هدية، وكلما أتم جزءاً زادت الهدية، ولا يشترط أن تكون هدية مادية فقد تكون معنوية، ولا بد من الثناء عليه لحفظه.

٨ - نحث أبناءنا على أداء العبادات:

ونبدأ بالعبادات التي يمكن أداؤها من غير أن نرهقهم، أو ننفّرهم منها بالإثقال، وسوء المعاملة، وأفضل طريقة لذلك هي الطريقة العملية، فنصطحبهم إلى المساجد لتربيتهم على ارتيادها، فالابن يتعلم من أبيه الكثير عندما يذهب معه إلى المسجد في الصلاة أكثر من أن يعظه بالصلاة دون أن يراه هو محافظاً عليها.

٩ - نحرص على أن لا يسمع، أو يشاهد أو يمارس أبناؤنا شيئاً محرّماً:

وإذا حدث وأن وقعوا في فعل خطأ، فلا بد من توضيح الصواب لهم، وتنبيههم إلى أن هذا خطأ نكرهه ونرفضه، ولا بد من التزام الكبار بما ينصحون به، فماذا يعني أن تقول له: إن الإسلام لا يرضى أن تخرج البنت متعطرة ومتزينة ويجد أمه تخرج كذلك، أو يشاهد الأب في التلفاز صوراً محرمة ويسمع الثناء والإعجاب بها، أو أن تثني على ثوب فتاه يظهر شيئاً من جسدها أو تختار ثوباً لأخته عند شرائك لملابسها يظهر مفاتنها، إنك إن فعلت ذلك

تسببت في انقسام الشخصية لابنك أو ابنتك، ثم تسأل بعد ذلك عن العلاج وأنت السبب في المرض نفسه.

١٠ ـ نربيهم على مكارم الأخلاق:

كالشجاعة والصدق، والكرم، وحب الآخرين.. إلخ، عن طريق المعاملة والمواقف العملية، وعن طريق الإرشاد وتصحيح المواقف.

١١ ـ نعرّف أبناءنا بأعداء الإسلام، ونحذّرهم منهم:

نركّز فيهم على روح الأخوة الإسلامية، ونوسّع آفاق معرفتهم بالعالم الإسلامي، عن طريق الأمثلة والوقائع العملية في تاريخ أمتنا، السالف منه والمعاصر. وماذا علينا وعليهم، نحو كل بلد إسلامي مغتصب وأن أعداء الدين لن يكونوا لنا أصدقاء.

١٢ ـ نساعدهم على المساهمة في المناسبات والأعياد الإسلامية والمشاركة فيها:

وذلك بأن نوضح لهم أن أعياد المسلمين الدينية هي الفطر والأضحى، ونبعدهم عن أي مشاركة في أعياد غير إسلامية، ويجب عليك الالتزام بذلك، فلا يراك الأولاد تحتفل بعيد الميلاد أو شم النسيم أو مثل هذه الأعياد.

١٣ ـ نربّي أبناءنا تربية تنمّي فيهم روح الاستقلال بالنوع:

بمعنى أن كل جنس يتعلم ما يناسب دوره في الحياة، فنميّز بينهم باللباس، ونوع الألعاب، والمهارات التي يتدربون عليها، والكتب التي يقرءونها، والمجالس التي يحضرونها.. إلخ، حتى لا يتشبه الأخ بأخته أو العكس، فمثلاً لا نشترى للولد الذكر خاتماً من الذهب بحجة أنه صغير وغير مكلف، نعم هذا صواب؛ ولكن لا بد من تنمية روح الاستقلال بجنسه كما قلنا.

١٤ ـ نربّي فيهم حب العمل، وروح الجد:

وذلك بإشراكهم في أعمالنا التي يمكن لهم أن يشاركوا فيها، وتكليفهم ببعض الأعمال غير المُرهقة، والأمثلة على ذلك كثيرة يختار الأبوان ما يناسب طفلهم وقدراته.

١٥ ـ تحمل المسؤوليات:

يجب أن يربى النشء على تحمل المسؤولية منذ الصغر، وهذا لا يكون بين يوم وليلة؛ ولكن لا بد من التدرج بحيث نجعله يتصرف في بعض الأمور وحده حتى وإن أدى ذلك لفساد أو خسارة بعض الأشياء التافهة مع مراقبته من بعيد، فإن أفسد هذه المرة ثم قَوَّمْته وأصلحت ما أفسد وبينت له الصواب سيحذر في المرات القادمة من الوقوع فيه فتكون عوَّدته على تحمل المسؤولية مع غرسك فيه الثقة بالنفس.

١٦ ـ تفاهم الزوجين على منهج التربية وأسلوبها، والحذر من الاختلاف والتناقض:

لا شك أن التفاهم بين الزوجين أساس التربية المثلى وقوامها، فلا يمكن أن تنهض تربية قويمة للأولاد، ما لم تقم على أساس راسخ من التفاهم بين الزوجين، على منهج التربية الإسلامية القويمة، وأسسها ومبادئها، وأهدافها وغايتها، وأساليبها ووسائلها، ونحن نعلم أن التفاهم لا يمكن أن يكون على كل شيء، وإنما يكون على الخطوط العريضة، والمبادئ العامة، ولا بد من مساحة بعد ذلك لحرية التصرف من قبل كل من الوالدين بما لا يخرج عن تلك الخطوط، وبما لا يتعارض مع توجيه الطرف الآخر ورأيه؛ بل واحترام رأيه وتقديره أمام الأولاد.

ولا يخفى أن التفاهم بين الزوجين إنما يقودنا إلى التركيز على حسن الاختيار قبل الزواج من قبل كل من الزوجين للطرف الآخر، فإذا لم يتم حسن الاختيار أولاً، فلا بد من المعاناة والاجتهاد لتوحيد التصورات والمفاهيم، وإقناع الطرف الآخر بالتوجه الإسلامي الواعي، لتبدأ خطوات التربية على منهج واضح، وأسس بينة سليمة.

١٧ ـ استشعار المسؤولية التربوية:

لا بد من جعل التربية الصالحة هي الشغل الشاغل لتحقيق رضا الله تعالى وهي من أعظم أسباب الفتح والتوفيق للعبد، ألم يكرم الله عبد الله بن أبي حدرد، وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ، برؤية الأذان في النوم عندما باتوا

مهمومين لِهَمِّ رسول الله ﷺ؟ فكان من بركات همهم بما اهتم به رسول الله ﷺ أن أكرمهم الله تعالى برؤية صادقة، توافقت مع الوحي واعتضدت به.

والهم التربوي نعني به أننا عندما نهتم بأي أمر تتوجه طاقاتنا الفكرية والنفسية والجسدية كلها إلى هذا الأمر، وما يتطلبه منا من استعدادات وجهود، فإذا كان الأمر يتطلب جهداً فكريًّا أعملنا فكرنا، واتخذنا من وسائل ذلك ما يحقق لنا ما نرغب، وإذا كان الأمر يتطلب جهداً جسديًّا عضليًّا، تحفزت له عضلاتنا، وأخذت الوضع المناسب للتغلب عليه وتحقيقه.

وإذا كان الأمر يتطلب طاقة نفسية، شحنت له عواطفنا بصورة ملائمة، وتوجهت إليه، وغلبت في ذلك الموقف قوى النفس الأخرى، فإذا وجدنا أنفسنا في أي شيء من ذلك لا نملك الأسباب الملائمة، فإن الأمر الطبيعي في حياتنا ألا نستسلم ونلقي أسلحتنا إلا أن يحاط بنا، ونجد أنفسنا لا نملك أمام هذا الأمر حولاً ولا قوة.

فمن أسرار النجاح في التربية لأبنائنا إذن أن نحمل في قلوبنا همًّا لتربيتهم، ومعالجة مشكلاتهم، وتحقيق أرفع ما نصبو إليه في تكوينهم وبنائهم، مما يدفعنا إلى أن نبدع من الوسائل والأساليب ما يحقق لنا ذلك على أحسن صورة، وأن نطور علاقتنا بهم بما يتلاءم مع نموهم الجسمي والعقلي ونضجهم النفسي، والمراحل التي يدرجون بها.

والتربية ما لم تكن همًّا، يشغل على الإنسان فكره، ويجعله يقلب الرأي على وجوهه، ويدرس ما أمامه كل الاحتمالات، ويتخذ أحسن ما يحقق له أهدافه لن تؤتي ثمارها المرجوة.

والصورة المقابلة لما نعنيه بالهم التربوي حالة التسيب واللامبالاة، واعتبار التربية أمراً نافلاً متروكاً لتقلبات الزمن في نظر كثير من الآباء والأمهات، والتواكلية في التربية، والتنصل من التبعات، وإلقاء المسؤولية على الآخرين، أو التسويف في أمر التربية في الصغر، ثم إعلان العجز عند الكبر، وغلبة العواطف في مواطن ينبغي أن يحكم فيها العقل والجد، فكل تلك الصور

التي شاعت وذاعت في مجتمعاتنا، وأصبحت هي الأصل في حياة الأسر وعلاقاتها، وكل ذلك مما يتنافى مع استشعار مسؤولية التربية، والاهتمام بأمرها.

١٨ - وضح أهدافك في الحياة في نفسك أولاً، واحرص على تطابق سلوكك مع أهدافك:

من المعروف أن أهداف الوالدين العليا تؤثر في أولادهما بصورة أو بأخرى، وأن أهداف الإنسان وتوجهاته تحدد مساره في الحياة، وترسم سلوكه، ويؤكد لنا ذلك أن الله تعالى عندما عالج في القرآن الكريم أسباب هزيمة المسلمين في غزوة أحد، نص على هذه الحقيقة فقال سبحانه: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

فبين الله سبحانه أن إرادة الدنيا، والتوجه إليها ينعكس على سلوك الإنسان بالخلل بالهدف الأعلى من الحياة الذي حدده الله لعباده: وهو بلوغ مرضاة الله تعالى، وهذا الهدف يتفرغ إلى أهداف أدنى منه وأصغر، وهذه الأهداف لا يربطها بالإسلام إلا أن تكون مشتقة من الهدف الأكبر، معززة له.

فعندما تكون مشتقة من قيم الإسلام ومبادئه، فإنه تترجم ولا بد في حياة الإنسان، وفي سلوكه العملي، كما تتجلى في أخلاقه ومواقفه.

وعندما تغيب هذه الأهداف العليا السامية عن تصورات الإنسان وسلوكه فإنه تضطرب شخصيته ولا تستقر، ويتخبط في حياته، ولا يهنأ، ولا يدري أين يتوجه أو يسير، وكذلك الإنسان عندما يرين على قلبه غشاء الأهواء والسيئات، ويتكثف فيه ركام الشهوات والشبهات، وتستغرق حياته فيها، فيتوجه قلبه إلى الأهداف الصغيرة، ويتعلق بها، فقد تكون أهدافه جمع الأموال، أو التطلع إلى كثرة النساء، أو الحرص على الجاه بين الناس، أو المنصب، أو الرئاسة.

ومثل هذا الإنسان رجلاً كان أو امرأة أنى له أن يغرس في نفس أولاده قيم الإسلام وآدابه، أو أن يحملهم على سلوك سبيله، أو الالتزام بهديه؟ إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه، وكل إناء لا ينضح إلا بما فيه.

١٩ ـ التدرج في تربية الأبناء ورعايتهم وتكليفهم، والحذر من الإهمال والتسويف:

التربية عملية تنشئة مستمرة، وأهم مقومات نجاحها وإثمارها: أن تكون متدرجة متمهلة، لا تنطلق من ردود الأفعال، ولا تأخذها فورة حماسة آنية، ثم يعقبها همود وتراخٍ، أو تترجح وتتذبذب بين الاهتمام البعيد عن الواقع أو الإهمال والتسويف.

إنما التدرج في التربية كما أنه أصل راسخ في التشريع الرباني، فهو أصل راسخ في التربية والبناء والالتزام.

وإن من معاني الرب سبحانه: أنه يربي عباده بما يصلحهم، من السراء والضراء، والشدة والرخاء، والمنع والعطاء، والابتلاء بالخير والشر، ويتدرج بهم في ذلك كما تدرج بعباده رحمة بهم في مجال التشريع، ولم يكلفهم ما لا طاقة لهم به.

وإن من مقتضى هذه الحقيقة في تربية الناشئين ألا يحمل الناشئ المسؤولية الكبيرة قبل إن ينجح في تحمل المسؤولية الأدنى، ويتدرج في ذلك بصورة طبيعية معقولة، وألا يمنح العطاء الكبير قبل أن يختبر عقله وحكمته، وسيرته وعمله مع العطاء اليسير، ويظهر حسن تصرفه فيه، وأن يتدرج معه المربي في كل شأن من شؤونه تدرجاً طبيعيًا، يتلاءم مع نموه الجسمي والعقلي والنفسي، لا يزيد عن ذلك فيفسد نموه واتجاهه، ولا ينقص عنه فيكبت طاقاته، ويقتل طموحه وإبداعه.

ويمكن أن يستدل لذلك بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٥ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ [النساء: ٥، ٦].

فالسفيه هو الذي لا يحسن التصرف بأمواله، لا يعطى له ماله الخاص؛ بل يحجز عنه حتى يثبت رشده، وقد وصف الله تعالى أمواله: بأنها أموال الأمة، وإن من مسؤولية الأمة أن ترعى أبناءها وتحسن توجيههم بما يعود عليهم بالخير والرشاد.

كما أمر الله الأوصياء باختبار اليتامى الذين يكونون تحت رعايتهم أن يختبروا رشدهم في التصرف بأموالهم، وذلك لا يكون إلا بالتدرج في التصرف بها، فإن ظهر رشدهم تدفع إليهم أموالهم عندئذ، وإلا فإنها يجب أن تبقى تحت وصاية الأمة ممثلة بمن ينصبه القاضي للقيام بهذه المهمة.

وقد قال الحكماء قديماً: «طعام الكبار سم للصغار» فكما أن اللحم طعام للكبار شهي؛ ولكنه قد يكون سمًّا قاتلاً للطفل الرضيع، الذي لا تتحمل معدته أكثر من حليب أمه.

وأما الإهمال والتسويف في أمر التربية: فهو الداء الوبيل، والشر المستطير، الذي ضيع الحقوق، وأفسد الحياة، وقد ابتلي به المسلمون على اختلاف فئاتهم على مستوى الأفراد في أنفسهم، وعلى مستوى علاقات الأفراد مع الآخرين والمسؤوليات المنوطة بهم.

٢٠ ـ الحرص على تربية الأولاد منذ الطفولة الأولى:

التربية منذ الطفولة الأولى: هي الأصل الذي يجب على الوالدين أن يوليانه كل اهتمام، وإن التأمل في هدي النبي ﷺ وسيرته ليعلمنا أن التربية العملية للناشئ تبدأ منذ الطفولة الأولى، والأمثلة والنماذج، والأحداث والمواقف في سيرة النبي ﷺ كثيرة مستفيضة، في كل باب من أبواب الخير، وفي كل جانب من جوانب الحياة.

ويخطئ كثير من الآباء والأمهات عندما يظنون أن التربية تبدأ عند سن الرشد، أو قريباً منه، أو في مرحلة الطفولة المتأخرة؛ بل إن مرحلة التربية تبدأ منذ الطفولة الأولى، والعلماء الربانيون المدققون يعلموننا أن التربية تبدأ قبل ذلك بكثير:

- تبدأ من حسن الاختيار بين الزوجين.
- ثم من عقد النية الصالحة على طلب الولد الصالح، عند إتيان الرجل أهله، وسؤال الله تعالى ذلك، وصدق اللجوء إليه، والإلحاح في الطلب، وتحديث المرأة نفسها بذلك في حملها.

- ثم الحرص على طاعة الله تعالى وذكره، والتحري في طلب الحلال، والبعد عن لقمة الحرام والشبهات.
- الدعاء بأن يرزقه الله الذرية الصالحة ويلهمه التربية الصالحة بهم.

٢١ ـ كن قدوة حسنة لأولادك في قولك وفعلك وسلوكك وأخلاقك:

ينبغي أن نعلم أن حب الكمال مغروس في كل نفس، وعلينا أن ننميه في نفوس أبنائنا بتوجيهنا الدائب، وسلوكنا العملي، وذلك بأن نكون قدوة لهم، وعلينا أن نرفع هممهم وعزائمهم للجد والنشاط، ونحببهم به، ليرتقوا درجاته يوماً بعد يوم، ويسيروا في مدارجه ولا يتوقفوا، ما دام فيهم عرق ينبض، ونفس يصعد ويهبط، كما أن علينا أن نحبب إليهم معالي الأمور، ونبغضهم بسفاسفها؛ ليكونوا من أهل الجد والاجتهاد، والعزم والثبات، فعلو الهمة من الإيمان، ولن يشبع مؤمن من خير حتى يكون منتهاه الجنة.

وإن أحوج ما يحتاجه الناشئ: أن يرى القدوة الحسنة فيمن حوله، في والديه على وجه الخصوص، وإخوته وأخواته ممن هم أكبر منه سنًّا، ففي فطرة الإنسان نزعة التقليد والمحاكاة للآخرين، وهذه النزعة لا تميز مرحلة الطفولة بخاصة بين التقليد في الخير، أو التقليد في الشر؛ بل إننا نجد أن الكبار لا يميزون أيضاً عندما يقعون تحت تأثير الانبهار والإعجاب بالآخرين، فيصبح التقليد أعمى، والاتباع بغير وعي ولا تمييز، فمن ثم فإن خير ما يقدم للناشئ القدوة الحسنة، في الأقوال والأفعال، والأخلاق والسلوك.

وهذه القدوة الحسنة هي خير ما يدعم المبدأ والفكرة التي نريد بثها في نفس الناشئ، وتربيته عليها.

فإذا أردنا أن نغرس الصدق، فإن علينا أن نكون أولاً صادقين، وإذا أردنا أن نغرس الأمانة في نفوس أبنائنا، فعلينا أن نكون أمناء في أنفسنا وسلوكنا، وإذا أردنا أن نغرس في نفوس أبنائنا حسن الخلق؛ فعلينا أن نري أبناءنا في كلامنا ومواقفنا، وغضبنا ورضانا: حسن الخلق، وضبط اللسان، وعفة القول، والبعد عن البذاءة أو الفحش.

إن كثيراً من الأبناء يرون التناقض البين بين سلوك آبائهم وأمهاتهم وبين ما يأمرونهم به، ويحثونهم عليه.

ويخطئ كثير من الآباء والأمهات عندما يظنون أن أبناءهم لا ينتبهون لسلوكهم، ولا يلاحظون تصرفاتهم، ولا يحاكون ويحاكمون أفعالهم ولا يقومونها.

إن الأبناء يزِنُون آباءهم وأمهاتهم ومربيهم بميزان فطري دقيق، ويقيمون لهم في أنفسهم التقدير والاحترام على حسب رجحانهم في ذلك الميزان، أو خسرانهم.

فعلى الآباء والأمهات أن يكونوا صرحاء مع أنفسهم، فإننا قبل أن نربي نحتاج أن نتربى، وقبل أن نتطلب المثالية من أولادنا، ونكلفهم ما نريد من كمال، ينبغي أن نكون قدوة حسنة لهم، ونموذجاً صالحاً، نبدأ بأنفسنا، ونقوم اعوجاجنا، ثم نأمر بما التزمنا به، فلن نرى بعد ذلك من يتلكأ عن طاعتنا، أو يعاند في الاستجابة لنا.

٢٢ ـ اقترب من أولادك، وادخل إلى تفكيرهم، وتفهم جيداً اهتماماتهم:

إن كثيراً من الآباء والأمهات بعيدون عن عالم الأطفال غاية البعد، لقد ودعوا حياة الطفولة، وعلى الرغم من أنهم يحتفظون منها بذكريات جميلة، يذكرونها في كل مناسبة، ويعذرون أنفسهم فيما كانوا عليه من اهتمامات وتوجهات، ولكنهم يتنكرون لطفولة أبنائهم، ولا يحاولون أن يتفهموا اهتماماتهم؛ بل يستقر في قرارة شعورهم موقف ردة الفعل من كل اهتمامات أبنائهم وتوجهاتهم، فالأب يريد من ابنه أن يكون رجلاً وأن يتصرف كما يتصرف الكبار، وأن تكون اهتماماته كاهتمامات الكبار وأن يبتعد من اللعب لأنه من وجهة نظره لا فائدة منه وهكذا.

ومن هذه النقطة تبدأ الفجوة بين كثير من الآباء والأمهات وبين أولادهم، وهذه الفجوة لها مظاهر كثيرة، فهي في البدء تحول نفسيًّا بين الوالدين وبين توجيه أبنائهم، ثم تصد الولد عن أن يستجيب لتوجيه والديه، أو يتجاوب مع

نصحهم وتقويمهم، ثم تحمل تلك الفجوة بعض الأبناء، ولو كانوا في سن مبكرة على التمرد على والديهم، فلا يستجيبون لهم فيما يطلبون منهم.

كما يشعر الآباء أن أولادهم لا ينظرون إليهم نظرة التقدير والاحترام اللائقة بهم على حسب مكانتهم الفطرية والاجتماعية، وفهمهم للحياة، وخبرتهم بها.

وأخيراً ينحصر أثر الآباء في حياة أولادهم بتقديم متطلباتهم المادية دون القيام بأي دور تربوي أو تأثير فكري أو سلوكي، وربما قدم الآباء لأولادهم في هذه الحالة ماديًّا ما لا يرون في تقديمه جدوى أو أية فائدة، لقد انحصر أثرهم في ذلك، ولم يعد لهم أي أثر آخر!!.

وسبب ذلك كله أن الآباء والأمهات لم يقتربوا من أولادهم، ولم يتفهموا اهتماماتهم جيداً، ولا متطلبات السن التي فيها أبناؤهم، فكانت ردة فعل الأولاد ضارة بهم في ذاتهم، كما كانت ضارة بوالديهم، وكانت النتائج ضارة على كل مستوى!!.

وقد ورد في الأثر عن بعض السلف: «من كان له صبي فليتصاب له»، ومعنى ذلك أن يتنزل إلى مستواه، فيداعبه ويلاعبه، ويتفهم اهتماماته ومتطلبات السن التي هو فيها، ليستطيع رعايته وسياسته، والدخول إلى قلبه، والتأثير فيه على أحسن وجه.

٢٣ ـ كن واقعيًّا ومنطقيًّا في أوامرك وتكليفاتك:

يجب على الوالدين أن يحددا بدقة ماذا يريدان من أولادهم؟ ثم أن يعرفا مدى استعداد الولد في كل مرحلة من مراحل نشأته وتكوينه، ومدى قدرته الحقيقية على الاستجابة لما يطلب منه. فليس النجاح التربوي هو القدرة الفائقة على إلقاء سيل من الأوامر والتكليفات، التي قد تكون في كثير من الأحيان لا تتلاءم مع قدرة الناشئ ولا تتناسب مع نموه واستعداده.

ولنتذكر أنفسنا أيها الآباء والأمهات والمربون عندما كنا صغاراً في مثل سن أطفالنا، وكيف كنا نضيق ذرعاً عندما كنا نكلف فوق طاقتنا، وكيف نلوم

في أنفسنا الكبار على عدم تقديرهم لاستعدادنا، ونجد لأنفسنا الأعذار عندما لا نستجيب لما يطلب منا..!.

إن علينا أن نعلم أن كل مرحلة يمر بها الناشئ لها متطلباتها واحتياجاتها، كما أن للناشئ فيها قدرته التي لا يستطيع إن يتجاوزها، وليس من الحكمة ولا من المنطق أن نكلفه ما لا يطيق، وقد أرشدنا النبي ﷺ في أمر الخدم، وهم قد يكونون رجالاً أقوياء أشداء ألا تكلفهم ما لا يقدرون عليه جسميًّا، فقال ﷺ: (وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ)[(١)].

وإذا كان أكثر الآباء والأمهات لا يكلفون أولادهم جسميًّا ما لا يقدرون عليه؛ لأن الإرهاق الجسمي يظهر للعيان، وقد يؤدي إلى ضرر جسمي مادي، وهم أرحم بأولادهم من أن يقعوا فيه، فإن كثيراً من الآباء والأمهات يكلفون أولادهم ما لا يقدرون عليه، ولا يتلاءم معهم نفسيًّا، ثم يلومونهم إذا لم يستجيبوا لهم، ويتهمونهم بالتمرد عليهم، والخروج عن طاعتهم.

٢٤ ـ املأ فراغ أولادك بما ينفع وقدم لهم البديل النافع الهادف:

عندما يذكر الفراغ، وكيف يملأ؟. تقفز إلى الأذهان صورة التلفاز والفيديو، وألعاب الأتاري، وغير ذلك من وسائل التقنية الحديثة التي غزت البيوت، وتسللت إلى العقول، واقتحمت غرف النوم، وأصبح يشكو من ويلاتها الكثيرون، ولكن أكثر الشاكين يقفون متفرجين عاجزين..!.

ونوضح هنا الأسس الرئيسة لما ينبغي أن يكون عليه الآباء والأمهات في علاقتهم بأولادهم في هذا الجانب، وطريقة تربيتهم لهم لاستغلال أوقاتهم، وأسلوب معالجتهم لمشكلات فراغهم.

ولا شك أن الفراغ مفسدة للإنسان كبيراً كان أو صغيراً وأي مفسدة، وهو على الناشئ أضر وأخطر، لما أن الفراغ يعوده على حب اللهو والبطالة، وإنفاق العمر فيما لا يضر ولا ينفع، ومن هنا فإن مما يتأكد على الوالدين أن

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٩).

يفكرا دائماً في فراغ أولادهم كيف يملأ؟ وإن يملكا في ذلك المبادرة الإيجابية، ولا ينتظرا ما يقوم به أولادهم، ثم تكون مبادرتهم بعد ذلك إلى المنع والإنكار، وكان خيراً لهما ولهم قبل أن يتعلق قلب أولادهم بما يضر ولا ينفع: أن يقدما لهم البديل المناسب، ويرغباه بهم، وينبغي أن يكون في ذلك البديل ما يناسب سن الناشئ واهتمامه، وإن يجذبه ويستهوي نفسه.

وينبغي أن يراعي الولدان في البديل الذي يملأ فراغ الناشئ ما يلي:

- أن تعرف ميول الناشئ، ويحرص المربي على توجيهها وتعديلها بطريقة إقناعية، تجعله يتبنى المواقف الصحية ويتحمس لها.

- أن يُعرَّف الناشئ والناشئة بالهوايات الفكرية والعملية النافعة، ويوجه إلى الأخذ بما يرغب منها، ويشجع على ذلك، فإن الاكتشاف المبكر للهوايات الفكرية أو العملية النافعة، والتوجيه إليها هو سبيل الإبداع في حياة المبدعين، وقد أثبتت الدراسات التربوية المعاصرة: ألا علاقة بين الإبداع وعلو درجة الذكاء في المبدعين، وإنما الدرجة العالية من الذكاء أمر ثانوي مكمل، والعلاقة الأكبر لتوجهات النفس وميولها، وما تحمله من استعداد لذلك.

- ألا يكون البديل صارماً، يجري على وتيرة واحدة، فينفر منه الناشئ، ويعاند والديه في اختياره، وإنما يلون له في أنواع ذلك ونماذجه.

- ينبغي أن يجمع البديل بين الترفيه المشروع، وبين الهدف التعليمي أو التربوي الهادف، ولا يجوز أن يقتصر على اللعب الذي ينهى الشرع عنه، أو اللعب غير الهادف.

- أن تعرف رغبة الناشئ، وتلبى ما أمكن، وتوجه برفق إلى الأفضل والأكمل، وتبين له وجوه المنافع والمضار، فيما يهوى من الألعاب، وأسباب تحريم ما حرم منها أو نهي عنه.

وينبغي أن يعود الناشئ على الاعتدال في اللعب، وأن يعطي لكل وقت

حقه، فلا يشغله الترفيه أو اللعب عن أي واجب مطلوب منه، وألا يدفعه اللعب إلى تأخير الصلاة عن أول وقتها.

٢٥ ـ كن صديقاً لأولادك، واختر لهم الأصدقاء الذين تطمئن إلى دينهم وأخلاقهم وسلوكهم:

هذه النصيحة تتصل بمشكلة الفراغ الذي يشكو منه كثير من الآباء، فالفراغ أخطر شيء في حياة الإنسان وأشد أنواعه فراغ النفس، وهذا الفراغ لا تملؤه إلا صحبة الأقران في مثل سنه، والعلاقات الاجتماعية التي تلائم الناشئ وتملأ نفسه، وهي جزء من فطرته لا يستطيع أن يتجاهلها ويمضي في حياته.

وعندما تختار الصحبة الصالحة للناشئ بعناية، فإنها قد تؤدي دوراً تربويًّا يعجز الوالدان عن أدائه، وهذا مشاهد بالتجربة، لما لتأثير الأقران في بعضهم تأثير نفسي غير مباشر، إنه يكون بالمخالطة والمعايشة، والملاطفة والمؤانسة، والتقارب النفسي الذي يجعل الإنسان يتأثر بجليسه ومخالطه بغير قصد منه أو شعور، فيتمكن الصاحب من الدخول إلى قلب صاحبه، والتأثير في ميوله واتجاهاته، بغير أمر ولا نهي، ولا عناء ولا كلفة، ومن هنا جاء في المثل: «الصاحب ساحب»، وجاء في المثل أيضاً: «قل لي من تصاحب، أقل لك من أنت»، وجاء المثل النبوي الرائع الذي ضربه النبي ﷺ للجليس الصالح، وجليس السوء، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ:

(إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ. فَحَامِلُ الْمِسْكِ، إِمّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإِمّا أَنْ تَجِد مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً. وَنَافِخُ الْكِيرِ، إمّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمّا أَنْ تَجِدَ رِيحاً خَبِيثَةً)[1].

(١) رواه البخاري (١٩٩٥، ٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، وأخرجه أحمد (٤/٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨).

وقد نوه الله تعالى بأثر الصحبة الصالحة في سعادة الإنسان في الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٧، ٦٨].

كما بين سبحانه عاقبة صحبة الظالمين، والانسياق وراء مجالستهم ومودتهم، والاستجابة إلى سلوكهم، وكيف أنها تجر على الإنسان الشقاء في الآخرة وسوء المصير، فقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩].

فليحرص الآباء والأمهات على أن يغرسوا في نفوس أولادهم منذ الصغر والطفولة ألا يصاحبوا إلا أرفع الأولاد خلقاً، وأحسنهم تربية وسلوكاً، وأن يأنفوا من صحبة الفاسدين، أو مجالستهم، فإن ذلك حصانة لهم في مستقبل أيامهم.

وعندما يشب الأبناء ويصلون مرحلة النضج والوعي فعلى الآباء والأمهات أن يكونوا أصدقاء لأولادهم، فيعاملوهم بتقدير واحترام، وأن يستمعوا لآرائهم، ويشجعوهم على إبداء وجهات نظرهم، ويناقشوهم فيها بموضوعية وتجرد، ولا ينبغي أن يعاملوهم، وهم شباب متفتحون على الحياة، متوقدو الطموح والرغبات وكأنهم أطفال صغار لا رأي لهم، ولا وزن لأفكارهم.. إنها المشكلة التي تقطع الروابط بين الآباء والأبناء، وتهدم صلات التقدير والاحترام.

وعندما يختار الأولاد أصدقاءهم ينبغي على الوالدين أن يكون لهم رأي في ذلك، فليتعرفوا عليهم، وليعرفوا مستوى تربيتهم، ومدى التزامهم واستقامة سلوكهم، ليطمئنوا على سلوك أبنائهم وسلامة اتجاههم.

ومما يتصل بهذه الوصية، وهو على درجة كبيرة من الأهمية أن على الوالدين أن يحرصا على صحبة أولادهم معهم إلى مجالس أهل العلم والخير

والفضل، وزيارتهم في بيوتهم بين الحين والآخر، وأن يعلموهم الأدب معهم، والتواضع لهم، والحرص على خدمتهم، والتماس دعواتهم الصالحة، فلذلك بركة عظيمة على الناشئ تظهر آثارها في خلقه وسلوكه ومستقبل أيامه، فهذا موسى ﷺ رسول من أولي العزم يحرص على صحبة الخضر ﷺ ليتعلم منه، وينتفع بصحبته كما أخبرنا الله تعالى في كتابه.

٢٦ ـ أكثر من الدعاء لأولادك بالخير والهداية، فإن الدعاء يذلل الصعاب:

لا يخفى على كل مؤمن أن الأسباب لا تكفي وحدها، ولا ينبغي أن نحصر أنفسنا بها لتحقيق ما نصبو إليه من آمال وأهداف، فلا بد لنا أن نعلم: أن الهداية بيد الله تعالى أولاً وآخراً، وأنها منحة إلهية لا تدرك حكمتها، ولا تدخل تحت شيء من جهد العبد وحيلته، وبخاصة بعدما علمنا خبر حرص النبي ﷺ على هداية عمه أبي طالب، وبذله كل ما يستطيع في دعوته والتلطف معه، ثم لم يشأ الله له الهداية، ومات على الكفر، ونزل فيه قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦].

وإن من البداهة بمكان أن نعلم أن ذلك لا ينبغي أن يصدنا عن بذل الأسباب والوسائل، واتخاذ ما نستطيع من الأساليب فإن لم يكتب الله الهداية لإنسان فقد قامت عليه الحجة بذلك، إذ إن أمر الهداية غيبي، لا يستطيع أن يتكهن به أحد، وأدب العبد أن يفعل ما كلف به، ولا يتجاوز حدود عبوديته.

ولعل من حكمة ذلك أن تتعلق القلوب بالله تعالى رغباً ورهباً، وأن يتوكل العبد على ربه، ويبرأ من حوله وقوته، ولا ينسب إلى نفسه تأثيراً ولا تدبيراً، وقد أثنى الله على عباد الرحمن في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

والدعاء بصدق وإخلاص، وتجرد لله تعالى وتذلل: سلاح قاطع، ودواء مجرب، نتعلمه من هدي النبي ﷺ وسنته، وسيرته العطرة ومواقفه، فقد جاء

الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت عصت وأبت فادع الله عليهم فقال ﷺ: (اللَّهُمَّ اهْدِ دَوساً وأتِ بِهِم)[1].

فلم يكد النبي ﷺ يصل المدينة المنورة حتى جاءه وفد ثقيف ليبايع على الإسلام. وقال له أبو هريرة ﷺ: ادع لي يا رسول الله أن يهدي أمي إلى الإسلام، فدعا النبي ﷺ: (اللهم اهد أم أبي هريرة إلى الإسلام)[2]، فلم يكد يصل أبو هريرة ﷺ إلى بيته حتى سمع صوت الماء من خارج البيت، لقد كانت أمه تغتسل لتعلن دخولها في الإسلام.

وبعد، فهذه أهم النصائح والوصايا التي وفقني الله لجمعها؛ لتكون عوناً للوالدين والمربين على تربية أولادهم ورعايتهم، ويبقى على رأس ذلك كله عون الله تعالى وتوفيقه، وهدايته ورعايته، وما أصدق ما قال الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى   فأول ما يقضي عليه اجتهاده

* * *

(١) رواه البخاري (٢٧٧٩).

(٢) رواه مسلم (٢٤٩١).

الموطن الثالث

التربية في محيط الأسرة

○ العشوائية في التعامل مع الأطفال:

من أخطر الأمور أن نفهم أن التربية على أنها إخضاع الأطفال لأوامرنا ونواهينا خضوعاً تامًّا، أو أن نجعلهم صورة متكررة منا، ولكن عندما نقول: إننا «نربي أبناءنا» يظهر سؤال آخر مهم: على ماذا نربِّيهم؟ ليس هناك تربية مطلقة، ولكن التربية معناها أربِّيهم على عادات معينة وصفات، ووفق مبادئ واضحة وثابتة لديَّ، وبهدف زرع أسس وصفات وعادات واضحة عندنا، نسعى لإيجادها عندهم؛ ولهذا وحتى تستقيم الأمور في البيت لا بد من وضع قواعد معينة تكون واضحة لنا ولهم، وتكون هذه القواعد معبِّرة عن أفكارنا والتي نربيهم عليها.

فمثلاً نضع لهم قواعد نتفق عليها معاً حتى يتعرف الطفل على ما سيوافق عليه الآباء وما لا يوافقون عليه، حتى لا يعتقد الابن أن الآباء يوافقون أو يرفضون تبعاً للأهواء، فمثلاً نوضح لهم أن لا يتناول حلويات قبل الوجبات، ولا يناول حلويات قبل النوم مباشرة حفاظاً على الأسنان، ويتم التفاهم مع الأبناء على هذه القاعدة، وعندما يفهمونها ويستوعبونها يبدأ التطبيق، وعند أي مشكلة نحتكم إلى القاعدة التي وضعناها معاً، فبها يدرك الطفل لماذا رفض الآباء لأنهم خالفوا القاعدة، وأيضاً نتفق على أن الصلاة تؤدى في وقتها ولا نتهاون فيها، وأن عمل الواجبات يكون قبل النوم ولا تأخير فيه، وهكذا حتى لا يصبح الصراع معك أنت.

«وهذا لا يعني الجمود فكل هذه القواعد قابلة لأن تتعدل حسب الظروف فمثلاً إذا قلنا إن الطفل لا بد أن ينام مثلاً في وقت محدد؛ ولكن إذا كان يوم الغد عطلة يمكنه أن يسهر لبعض اللهو إذا رغب في ذلك لكن باحترام بعض الشروط، وبإمكانه أن يزاول الأنشطة التي يرغبها ولكن بشروط، وهذا يعني أن

القواعد ليست هنا جامدة؛ بل تتقولب تبعاً للظروف والأحداث، وإذا كانت هذه الممارسة تمثل في آن واحد خاصيات الممارستين الصارمة والضعيفة، فإنها تعتبر أكثر ملاءمة للتربية الهادفة»[١].

ولكن يكون الأمر هو محاولة الأبناء مخالفة القاعدة التي وُضعت معهم، وهذا مرفوض، وهكذا الأمر يكون أكثر إقناعاً للأبناء ويشعرهم أن الأمر لا يخضع لأهوائك الشخصية أو حسب مزاجك اليوم، ولكن وفقاً لقواعد متفق عليها.

ولكن إذا أصر الابن على رأيه فعلى الآباء أن يوضِّحوا له نتائج عملية ستترتب على هذا السلوك الخاطئ، مثل حرمانه من الخروج، أو منعه من الحلويات، وعليه أن يتحمّل هذه النتائج، ويجب على الآباء أن يكونوا صادقين في هذا التهديد حتى يأخذ صورة جادة لديه، ويربي عنده أن يتحمل نتيجة اختياره.

ومع هذا فعند اعتراض الأبناء على شيء لا بد من مناقشتهم في سبب اعتراضهم وتفهّم دوافعهم، وإقناعهم بسبب وضع القاعدة أو سبب رفضنا للأمر، حتى يطيعوا وهم مقتنعون، وهذا أمر مهم في تعويد الأبناء أن يقولوا رأيهم بثقة دون خوف، ويناقشوا، ويقبلوا الرأي الآخر، حتى وإن كان هذا صعباً ومزعجاً لنا؛ لأن الأطفال من الصعب إقناعهم بشيء ضد رغبتهم، ولكن بالإصرار والصبر يتكوَّن عندهم هذا السلوك الحضاري الصحيح في المناقشة.

وهناك أمر آخر في قواعد التربية هو أن بعض الأمهات يقُلْن للطفل «لا» حتى يوفِّروا على أنفسهن بعض الإزعاج والضجيج، أو يقلن «لا» حتى يتعود الطفل على أن يُرفض له طلب ولا يعترض، وهو ما يطلق عليه «بالطاعة العمياء» ظنًّا منهن أن هذا الأسلوب الأمثل في التربية.

والواقع أن هذا الأسلوب خطأ؛ لأنه يجعل الطفل مذبذباً لا يعرف متى

---

(١) التربية الوالدية في العالم الإسلامي، بحث للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

توافق أمه ومتى ترفض، ولماذا ترفض؟ خاصة إذا كانت الأم تعود وتوافق بعد الإلحاح، فهذا يثبت عند الطفل عادة الإلحاح ما دامت تأتي بالنتيجة المطلوبة.

ولكن الصحيح أننا لا نرفض أمراً إلا في ثلاث حالات:

- الأولى: أنه يكون مخالفاً لقاعدة نحن وضعناها واتفقنا عليها فعلاً في البيت.
- الثانية: أن يكون مخالفاً للآداب العامة والقيم الأخلاقية والدينية، وهنا لا بد من اتخاذ موقف من هذا الانحراف حتى لا يتحول إلى سلوك يصعب تعديله.
- الثالثة: أن يكون فيه خطورة على الطفل أو يسبب له ضرراً جسمانيًّا.

فيما عدا ذلك لا داعي لرفض طلبات الطفل حتى ولو كانت تسبب لنا بعض الإزعاج أو الضجيج أو حتى بعض التعب والمجهود؛ لأن ذلك يعطي فرصة للطفل أن يتطور، وتتسع مداركه، وتقوى شخصيته، ويزداد ثقة بنفسه، ويتيح له الفرصة ليبدع ويبتكر، ويطلق العنان لأفكاره وقدراته، أما العكس فهو يَكْبت الطفل ويخنق لديه طاقات الإبداع.

○ طرق التربية في محيط الأسرة:

تختلف نظرة الآباء في تربية أبنائهم فبعضهم يرى طريق القسوة وإنزال العقوبات الصارمة المؤذية والمؤثرة على شخصية الطفل ونموه الانفعالي معتقداً أن التربية الصحيحة تكون بإظهار القوة، والبعض الآخر من الآباء والأمهات تتحكم فيهم عواطفهم ويستسلموا أمام تعنت الطفل وإصراره على إشباع رغباته، فيتركون له الحبل على الغارب، فينشأ الطفل بمفاهيم طفولية وبسلوكيات لا مسؤولة معتمداً على والديه في تحقيق ما يريد، فيمارس ما اعتاد عليه في أسرته مع المجتمع الخارجي فيصطدم بالواقع المختلف عما نشأ عليه، ويصبح عرضة للإحباط والاضطرابات النفسية؛ لذلك نقدم هذه القواعد.

أولاً: التربية بالقدوة.

ثانياً: التربية بالملاحظة.

ثالثاً: التربية بالموعظة والتلقين.

رابعاً: التربية بالثواب والعقاب.

تتعدد طرق التربية في محيط الأسرة المسلمة، ولكن إن استخدمت كما رسم لها طريقها الإسلام ستؤدي غاياتها المنشودة في التربية، وستمد المجتمع بالعناصر الصالحة القادرة على التعمير والبناء، ومن هذه الطرق:

أولاً: التربية بالقدوة:

القدوة في الإسلام من أعظم وسائل التربية لذا بنى عليها الإسلام عمليات التوجيه في المجتمع، فالطفل يرى المعلم مثلاً أعلى، وينظر إليه باهتمام بالغ، ويُنزله في مكانة عالية من نفسه، فيعمل دائماً على التأثر والاقتداء به، والانفعال بشخصيته، ويحاول تقليده؛ فكلمات المعلم وثقافته وسلوكه ومظهره ومعاملته للطالب كلّها تترك أثرها الفعال في حياة الطفل، فإذا كان المعلم يعامل الطفل برفق أبوي وعناية، ويسبغ على علاقاتهما روح العطف والاحترام لشخصية الطفل، ويحبب إليه السلوك الحسن، انعكس ذلك على شخصية الطفل وظهر السلوك الحسن عليه، وقُلْ ذلك أيضاً في اتخاذ الأب والأم قدوة وهكذا.

فإذا صدق المعلم أو الأب أمام الطفل سواء بالقول أو الفعل اتخذه الطفل قدوة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فللأفعال أثرها العميق في نفسية الآخرين؛ لأنها التوجيه العملي غير المباشر لما نحب، وتعلمنا سيرة الرسول ﷺ أهمية القدوة ودورها الفعال في حمل الآخرين على فعل ما نحب ونرغب دون كلام أو مواعظ أو إرشاد مطول؛ لذلك كان الحسن البصري يقول: عمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل.

وقد وبخ الله الذين يقولون ما لا يفعلون فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

ثمّ يتلقّى من معلّمه النظام والنظافة والعناية والسلوك المستقيم، والكلمة الطيّبة، ويشعر بالمحاسبة من قبل معلّمه الذي يُنبهه إلى خطئه إذا أخطأ، ويُحسّن إليه المواقف الحسنة، ويشجّعه عليها إذا هو أتى بها، أو يلفت نظره إلى أمور لم ينتبه إليها، ثمّ هو يتابع مواهب الطفل واستعداداته الذاتية التي يأخذ على عاتقه اكتشافها وتنميتها لكي يساعده على استثمارها والاستفادة منها.

والأسرة المسلمة لها قدوة أساسية هو النبي ﷺ قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

وفي نفس الوقت وصى المؤمنين باتباع النبي ﷺ وجعل اتّباعه سبيل الهدى والفلاح قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور: ٥٤].

لذلك فإن الأسرة المسلمة باتباعها لمنهج الإسلام تضع أمام الأولاد قدوة معصومة يسهل الانقياد بها.

ثم يأتي بعد ذلك القدوة من الوالدين، والغلام عينه معقودة بوالديه يقلد ما يفعلون وتترسخ في داخله القيم التي رآهم يمارسونها.

وواجب الوالدان أن يحوّلوا القيم التربوية إلى عادات يومية تسلكها الأسرة ويحاربوا جميع العادات السيئة التي تتسلل إلى كيان الأسرة من الخارج.

روى الجاحظ عن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له: [ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بنيّ إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينيك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت وعلمهم سير

الحكماء، وأخلاق الأدباء، وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل الدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكلن على عذر مني، فإني قد اتكلت على كفاية منك][1].

وقد قال الشاعر:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبَل ما وعظت ويقتدى ... بالعلم منه وينفع التعليم

ولقد وصف عبد الواحد بن زياد أسباب حبِّ الناس للحسن البصري بقوله: (ما بلغ الحسن البصري إلى ما بلغ، إلا لكونه إذا أمَر الناس بشيء يكون أسبقهم إليه، وإذا نهاهم عن شيء يكون أبعدهم منه).

وفي الممارسة اليومية للأسرة أفضل وسيلة لتعويد الطفل تربويًا على قيمة خلقية أو ممارسة عبادية أو سلوك اجتماعي، لذا قال ﷺ: (عَلِّموا أولادَكم الصَّلاة إذا بلغوا سبعاً، واضْرِبُوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرِّقوا بينهم في المضاجع)[2].

والقدوة العملية كأن يقف الأولاد خلف أبيهم في الصلاة مثلاً يتحركون كما يتحرك ويتمتمون بشفاههم كما يتمتم تعتبر أسلوباً عمليًا يتم داخل الأسرة، ولبس البنت ملابس أمها الفضفاضة وتغطية رأسها مثلها، واصطحاب الوالد ابنه إلى المسجد وإلى السوق ومتابعته في سلوكه العملي هو نوع من التربية بالقدوة العملية.

والتكرار اليومي لسلوكيات الأسرة المسلمة على الطعام وعند النوم وأثناء معاملتهم اليومية هو نوع من التدريب العملي للأولاد يضاف إلى رصيدهم التربوي.

وحين يتكون مجتمع إسلامي فإنه يتشرب أطفاله مبادئ الإسلام عن طريق

---

(١) البيان والتبيين (٢/ ٥٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٥)، قال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٤٠٢٦) من صحيح الجامع.

القدوة القائمة في هذا المجتمع متمثلة في الأسرة والوالدين والمجتمع.

إن الولد الذي يرى والده يكذب، لا يمكن أن يتعلم الصدق والولد الذي يرى أمه تغش أباه أو أخاه أو تغشه هو نفسه لا يمكن أن يتعلم الأمانة.

وكذلك إذا كان المربي كذاباً خائناً سليط اللسان متحللاً منحرفاً نشأ الولد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل.

والولد الذي يرى أمه مستهترة لا يمكن أن يتعلم النظام، والولد الذي يقسو أبوه عليه وعلى أمه وأخوته لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون، والأسرة هي المحضن الذي يبذر في نفس الطفل أول بذوره ويكيف تصرفاته مشاعر الطفل وسلوكه؛ ومن ثَمَّ ينبغي أن تكون أسرة نظيفة أسرة مسلمة، حتى ينشأ جيل مسلم يحقق في نفسه مبادئ الإسلام يأخذها بالقدوة المباشرة المنقولة عن قدوة الرسول ﷺ[١].

ثانياً: التربية بالملاحظة:

ويقصد بها أن يلاحظ الأب والأم أو المربي الولد ويراقب حركاته وسكناته، فإذا أهمل حقًا أرشده إليه، وإذا فعل معروفاً شجعه عليه وحثه على المزيد؛ لأن المربي إذا غفل عن الولد فإنه سينزع إلى الزيف والانحلال، والنبي ﷺ كان يتفقد أصحابه ويراقبهم في جميع أحوالهم، وإذا ما وجد خطأً نبه عليه وأرشد إلى الصواب، ومن ذلك ما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ. فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: (يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ)[٢] ومن مواقفه مع الأطفال في ملاحظتهم وتأديبهم ما رواه عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ؛ قَالَ: كُنْتُ غُلَاماً فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ. وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ. فَقَالَ لِي: (يَا غُلَامُ! سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)[٣].

---

(١) منهج التربية، محمد قطب (١٨٦/١). (٢) رواه مسلم (٢٠٩٠).
(٣) رواه البخاري (٥٠٦١)، ومسلم (٢٠٢٢)، وابن ماجه (٣٢٦٧).

وعلى هذا يجب أن تكون الملاحظة، فالمربي يلاحظ مَنْ لهم في عنقه حق التربية فإذا وجد منه استقامة شجعه عليها وحثه على المزيد ويا حبذا إذا قرن هذا التشجيع بالهدية من وقت إلى آخر وإن وجد اعوجاجاً قومه وأرشده إلى الصواب، فعلى المربي أن ينظر في أدوات الولد المدرسية، فإذا وجد فيها شيء ليس ملكه سأله عنه، وإن تبين أنه لزميله ألزم الولد على إرجاعه له وتكون تلك الملاحظة دورية حتى لا يعود الولد إلى الخطأ مرة ثانية، وإذا لاحظ الأب أو الأم أن الولد يتلاعب بالألفاظ ليخفي أمراً ما فإنه يبصره بطريق الحق ويبين له مغبة الكذب، أما إذا لاحظ المربي في الولد ظاهرة السباب والشتم فإنه يعهد على تهذيب لسان الولد مع البحث على الأسباب التي أدت بالولد إلى ذلك؛ فإن كانت الرفقة السيئة عَمِلْنا على أن نهيئ له رفقاء الخير. وأن يلاحظ المربي أيضاً ظاهرة التقليد والغناء وشرب الدخان عند أبنائه، فقد يكون ذلك نابع من مشاهدته الأفلام والمسلسلات فيقلد ما يراه، فعلى الأبوين إذا وجدا هذه الظاهرة من التميع والانحلال فإنهما يبدآن مع ابنهما بالموعظة الحسنة حيناً وبالتهديد أحياناً وبالترغيب تارة وبالعقوبة تارة أخرى، والمربي الحكيم هو الذي يلاحظ ابنه وابنته في عباداتهم وتحصيلهم العلمي وتكوينهم الثقافي، ويجب على المربي أيضاً مراقبة بنيان الولد جسميًا وعقليًا.

ثالثاً: التربية بالموعظة والتلقين:

الموعظة اليومية تبدو واضحة في الأسرة حيث تقوم بها الأم ويباشرها الأب، وقد تأخذ شكلاً تعليميًا تلقينيًا، أو أسلوباً من أساليب الترغيب والترهيب أو بذكر قصة أو... إلخ.

كل هذه الوسائل تفيد في الوصول إلى المستوى التربوي المرغوب داخل الأسرة ومن أمثلة التوجيه المباشر: حديث عن ابن أبي سلمة: (يَا غُلَامُ! سَمِّ الله، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ)[1].

---

(١) سبق تخريجه.

ومن أمثلة التعريض: قوله ﷺ: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا...).

ومن أمثلة التوبيخ: قوله لأبي ذر: (يا أبا ذر، أعيرته بأمه، إنك امرو فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)[1].

ومن أمثلة ضرب الأمثال حديثُ جَابِرِ بن عَبْدِ الله الأَنْصَارِيِّ، قالَ: خَرَجَ عَلَيْنا رَسُولُ الله ﷺ يَوْماً، فَقَالَ: (إِنّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ جِبْرِيلَ عِنْدَ رَأْسِي وَمِيكَائِيلَ عِنْدَ رِجْلِيّ، يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اضْرِبْ لَهُ مَثَلاً، فَقَالَ: اسْمَعْ سَمِعَت أُذُنُكَ، وَاعْقِلْ عَقَلَ قَلْبُكَ، إِنّمَا مَثَلُكَ، وَمَثَلُ أُمّتِكَ، كَمَثَلِ مَلِكٍ اتّخَذَ دَاراً، ثُمّ بَنَى فِيهَا بَيْتاً، ثُمّ جَعلَ فيهَا مَائِدَةً، ثُمّ بَعَثَ رَسُولاً يَدْعُو النّاسَ إِلَى طَعَامِهِ. فَمِنْهُمْ مَنْ أَجَابَ الرّسُولَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَرَكَهُ، فَالله هُوَ المَلِكُ وَالدّارُ الإِسْلَامُ، وَالْبَيْتُ الْجنّةُ، وَأَنْتَ يَا مُحمّدُ رَسُولٌ فمن أَجَابَكَ دَخَلَ الإِسْلَامَ، وَمَنْ دَخَلَ الإِسْلَامَ دَخَلَ الْجَنّةَ، وَمَنْ دَخَلَ الْجَنّةَ أَكَلَ مَا فِيها)[2].

ويقول تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [النور: ٣٥].

أما القصة فإنها وسيلة معروفة من أقدم العصور، وقد جاء القرآن بالقصص الحق وبأحسن القصص، وكانت وسيلة من وسائل الإقناع. وفي القرآن قصص الأنبياء وقصص الأمم السابقة؛ بل وذكر الله تعالى في قرآنه قصص على لسان الحيوان والطير فرأينا هدهد سليمان يتكلم ونملة سليمان تعظ.

والأطفال يحبون القصص فلا مانع من أن يكون قصصاً هادفاً، فتحكي الأم عند المساء مثلاً قصة ذات مغزى تربويًا، وتحترز فيها من أي معنى يشوه اعتقاد أو يسلب خلق.

ومن أشمل المواعظ القرآنية والتي دارت في محيط أسرى موعظة لقمان

---

(١) رواه البخاري (٣٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٠٢٠)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٢٤٦٥) في صحيح الجامع.

لابـنـه. ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى
وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ
وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ
خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى
مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

ولا بد من استخدام أساليب متعددة في عرض الموعظة منها:

١ ـ **أسلوب الحوار**: وذلك كالحديث المروي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قالَ: (أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ «قالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ الله من لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتاعَ. قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَد شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فيقعُدُ فَيَقْتَصّ هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ ما عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمّ طُرِحَ في النّارِ)[1].

وحديث أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: (لن تؤمنوا حتى تراحموا). قالوا: يا رسول الله، كلنا رحيم. قال: (إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة الناس رحمة العامة)[2].

٢ ـ **أسلوب المداعبة**: عن أَنَسٍ ﷺ أن رَجُلاً اسْتَحْمَلَ رَسُولَ الله ﷺ

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٣)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٨٧) في صحيح الجامع.

(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، قال الألباني: (صحيح). انظر: السلسلة الصحيحة رقم (١٦٧).

قالَ: (إِنّي حَامِلُكَ على وَلَدِ نَاقةٍ) فقالَ يا رسولَ الله: ما أَصْنَعُ بِوَلَدِ النّاقةِ؟ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: (وهَلْ تَلِدُ الإِبِلُ إِلّا النّوقُ)[1].

٣ ـ **الاقتصاد في الموعظة**: عن أبي وائل عن عبد الله قال: (كَانَ رَسُولَ الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالمَوْعِظَةِ في الأَيَّامِ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا)[2].

وكان أبو بكر ﷺ يقول: (كثرة الكلام ينسي بعضه بعضاً).

[ولا يكفي الموعظة وحدها في التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة والوسط الذي يسمح بتقليد القدوة ويشجع على الأسوة بها، فالقدوة المنظورة الملموسة هي التي تتعلق بالمشاعر، ولا تتركها تهبط إلى القاع وتسكن بلا حراك.

وحين توجد القدوة الصحيحة فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس وتصبح دافعاً من أعظم الدوافع في تربية النفوس][3].

رابعاً: التربية بالثواب والعقاب:

الثواب والعقاب هما أساس الضوابط الاجتماعية، فلكي يؤثر المربي على الأفراد يجب أن يعتمد غالباً على قدرته على إثابتهم على ثوابهم أو عقابهم على تقصيرهم، ومن ثَمَّ فإن أحد أبعاد القوة الاجتماعية هو القدرة على إثابة المحسن أو عقاب من أخطأ، والأصل في تربية الأطفال هو الشفقة والرحمة وليس العقاب، وليس المقصود هو إطلاق الحبل على الغارب للطفل كما يقولون؛ ولكن يجب أن نعلم أن الطفل لا يتعلم وهو خائف، ولا يتربى وهو حزين، إنه حين يشعر بالأمن ويتفاعل مع أجواء المرح المفعم بالتوجيه، ويعامل بالملاطفة التي لا تُفسد النظام، يكون على أكبر درجة من الاستعداد بقلب مفتوح وذهن حاضر وأُذن واعية.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (٢٠٦٠)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٧١٢٨) في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري (٦٨)، والترمذي (٣٠١٥).

(٣) منهج التربية (١/١٨٧).

إن رسول الله [redacted] قد وصفه أصحابه بأنه مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ)[1] فلا تعارض بين تحصيل محبة الطفل وبين ضمان ضبط سلوكه.

فعن أبي هُرَيْرَةَ قالَ: أَبْصَرَ ٱلأَقْرَعُ بنُ حَابِسٍ النَّبِيَّ [redacted] وهُوَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ ـ أوالْحُسَيْنَ ـ فقالَ إنّ لي مِنَ الْوَلَدِ عَشَرَةً ما قَبَّلْتُ أَحَداً مِنْهُمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إنَّهُ مَن لَا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ)[2].

ويمر رسول الله ﷺ على غلام يبكي على عصفور له مات، فيحاول أن يُذْهِب حزنه بأن يمسح رأسه ويلاطفه قائلاً له: (يا أبا عمير! ما فعل النغير؟)[3] (أي العصفور).

ويشب الحسن ﷺ، وما زال يذكر من أيام طفولته أن رسول الله ﷺ كان يشرب ماءً بارداً ـ ذات مرة ـ فملأ فمه ثم مجَّ مجَّة في وجه الحسن (رشه من فمه) يلاعبه ويؤانسه ولم تمنعه هيبته ووقاره من النزول إلى مستوى طفل لإدخال السرور إلى قلبه.

ويروي المسعودي عن عادات نساء العرب! (وكان من عادة العربية ألا تنوّم ولدها وهو يبكي، خوفَ أن يسري الهم في جسمه، ويدب في عروقه، ولكنها كانت تنازعه وتضاحكه حتى ينام وهو فرح مسرور، فينمو جسده ويصفو لونه ودمه، ويشفّ عقله. . .).

كما كانت المرأة العربية تنشد لأطفالها أناشيد قصيرة يتمايلون معها، مما سُمّي فيما بعد بـ (شعر ترقيص الأطفال).

قد كان رسول الله ﷺ يسابق السيدة عائشة وهي حديثة السن ويدعها تسبقه ويجدها مع صويحبات لها يلعبن بلعب من القطن والصوف، فيضحك لهذا ويسائلها ما هذا؟ فتقول: فرس سليمان فيضحك، ويرفعها لتطل على

---

(١) الترمذي (٣٧١٨).

(٢) رواه البخاري (٥٦٥١)، والترمذي (١٩٧٦).

(٣) رواه البخاري (٥٧٧٨).

ساحة المسجد، وترى الحبش وهم يلعبون بالحراب، فلا يتضجر ويدعها حتى تعلن بنفسها أنها قد اكتفت، وكان يمر بالصبيان في الطريق فيسلم عليهم.

فيجب علينا أن لا نغفل هذه الملاطفة مع أبنائنا، [وليست العقوبة أول خاطر يخطر على قلب المربي، ولا أقرب سبيل، فالموعظة هي المقدمة والدعوة إلى عمل الخير والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب][1].

○ خطوات استخدام العقاب:

الأصل في التربية هي المعاملة باللين والرحمة، فإن لم تنفع فلا بد من التدرج في المعاملة من الأخف إلى الأشد، وهناك مراحل في المعالجة والتأديب يجب أن يمر عليها المربي قبل اللجوء إلى الضرب، وتلك المراحل هي:

١ ـ التغافل عن خطأ الصبي:

وذلك حسب طبيعة الخطأ وسن الصبي وقدراته الشخصية، حيث إن هذا التغافل يكون نوع من التربية في حد ذاته.

٢ ـ العتاب على الخطأ سرًا:

قد يكون هذا النوع من العتاب متعدد الجوانب وبأساليب مختلفة منها الملاطفة والإشارة والتوجيه.

روى البخاري عن ابن عباس ﷺ: (كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولُ الله ﷺ فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ وَجَعَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَصْرِفُ وَجه الْفَضْلَ إِلَى الشِّقِّ الآخَرِ)[2].

إن التربية الرقيقة اللطيفة الحانية كثيراً ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ونظافة واستواء؛ ولكن التربية التي تزيد من الرقة واللطف والحنو تضر

---

(١) منهج التربية (١/ ١٩٠).

(٢) رواه البخاري (١٤٤٢).

ضرراً بالغاً؛ لأنها تنشئ كياناً ليس له قوام، ومن هنا كان لا بد من شيء من الحزم في التربية لصالحهم أنفسهم قبل صالح الآخرين[1].

٣ ـ العتاب على الخطأ جهراً:

وهذا العتاب لا بد أن يكون له ضابط، فلا يكثر المربي منه فبتكراره يعتاده الطفل ولا يكون له تأثير، وفي هذا يقول أبو حامد الغزالي: [ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه، وليكن الأب حافظاً هيبة الكلام معه فلا يوبخه إلا أحياناً][2].

وبتكرار التوبيخ يمر الطفل بثلاث مراحل:

أ ـ التألم من الشعور بالذنب.

ب ـ مرحلة الضجر بالتوبيخ ومصدره.

جـ ـ مرحلة تجاهل التوبيخ وإهماله[3].

٤ ـ الهجر كعقوبة:

بيئة الأسرة، والتقارب فيها يجعل لهذه الوسيلة تأثيراً طيباً؛ ولكن إذا كانت بحكمة وفطنة، والهجر قد استخدمه الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كأسلوب تربوي له دوره الفعال في التربية.

فعن أبي سعيد عبد الله بن مغفل ﷺ قال: نهى رَسُول الله ﷺ عن الخذف ـ أي رمي الحصى بالسبابة والإبهام ـ وقال الله ﷺ: (إِنَّهُ لَا يَنْكَأُ الْعَدُوّ وَلَا يَقْتُلُ الصّيْدَ. وَلَكِنّهُ يَكْسِرُ السّنّ وَيَفْقَأُ الْعَيْنَ)[4].

وإن قريباً لابن مغفل خذف فقال له: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ثم عدت تخذف؟! لا أكلمك أبداً.

---

(١) محمد قطب، منهج التربية. (٢) الإحياء (٣/٧٣).

(٣) د. عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية (ص١٨٤، ١٨٥).

(٤) رواه البخاري (٥٨٦٦)، ومسلم (١٩٥٤).

○ **العقوبة البدنية:**

الضرب وسيلة للعقاب أباحها الشرع وأمر بها؛ لكن حين تكون هي العلاج المناسب، وحين لا يجدي غيرها، ولا بد أن ننبه إلى أن العقوبة بالضرب تأتي في المرحلة الأخيرة بعد التغافل والعتاب سرًّا وجهراً؛ ليكون الضرب هو أقسى العقوبات التي يلجأ إليها بعد استنفاذ كل وسائل التقويم والإصلاح.

يقول الأستاذ محمد قطب: (التربية بالعقوبة أمر طبيعي بالنسبة للبشر عامة والطفل خاصة، فلا ينبغي أن نستنكر من باب التظاهر بالعطف على الطفل ولا من باب التظاهر بالعلم، فالتجربة العملية ذاتها تقول: إن الأجيال التي نشأت في ظل تحريم العقوبة ونبذ استخدامها أجيال مائعة لا تصلح لجدّيات الحياة ومهامها، والتجربة أولى بالاتباع من النظريات اللامعة).

والعطف الحقيقي على الطفولة هو الذي يرعى صالحها في مستقبلها لا الذي يدمر كيانها ويفسد مستقبلها فإن كان ولا بد من العقوبة فعلينا أن نراعي احترامنا لكيان الصغير وتقديرنا له كإنسان، وقبل أن نستخدم أي عقوبة لا بد من أن نفكر في عواقبها وآثارها.

فقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]: إن القول الحسن ليس هو عبارة عن القول الذي يشتهيه المدعو ويوافق هواه ويحبه؛ بل القول الحسن: هو الذي يحصل انتفاعه به سواء حصل عن طريق اللين والرفق، أو الشدة والحزم، وعلى هذا قد تكون الشدة من القول الحسن[١].

والشدة والحزم من الآباء فأغلبها للحب والرحمة بالصغير، وليست انتقاماً منه، وقد قال الشاعر:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم[٢]

(١) مفاتيح الغيب (٣/١٦٨).
(٢) شرح الحماسة للمرزوقي (٣/١١٢١).

إن المشاغبة وكثرة الحركة لدى كثير من الأطفال أمر طبيعي لا يدل على وجود مشكلة، فيجب إتاحة الفرص للأطفال ليمارسوا اللعب بحرية.

ثم يتم تعليمهم كيف ينضبطون من حيث وقت اللعب، ومكانه، وضوابطه، وكل ذلك يمكن أن يتم بدون الضرب.

وقد وضع المربون المسلمون ضوابط بحيث لا تؤدي إلى عكس مرادها منها:

أ ـ أن يقع الضرب على ذنب واضح، وأن يكون على الأخطاء المتكررة وخاصة المتعمدة.

ب ـ أن تكون العقوبة على قدر الذنب، مع ملاحظة تجنب التهديد بالعقوبات المستحيلة؛ لأنها ستفقد معناها ويدرك الطفل أنها تهديد ولا يستطيع تحقيقه.

ج ـ أن لا يكون ضرباً مبرحاً، عن أبي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلاماً لِي بِالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ خَلْفِي: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الْغَضَبِ. قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُود. اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ. قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي فَقَالَ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ الله أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلامِ[١].

د ـ أن يتدرج من واحد لثلاثة، ولا يزيد إلا لضرورة ولا تتعدى العشرة.

قال مالك قال ﷺ: (لا تجلدوا فَوْقَ عَشَرَةِ أَسْوَاطٍ، إلّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُود الله)[٢].

هـ ـ أن يتقى ضرب الوجه والأماكن القاتلة كالرأس والصدر والبطن.

و ـ أن يتفرق الضرب، ولا يكون في مكان واحد.

---

(١) رواه مسلم (١٦٥٩).

(٢) رواه البخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (١٧٠٨).

ز - أن يستخدم أداة لا تكسر ولا تترك أثراً.

ح - إرشاد المخطئ وتصويب الخطأ.

ط - إبراز مظهر الغضب للخطأ، فلا يضحك مثلاً وقت العقوبة وإلا استهان الطفل بهذا الذنب حتى وإن ضُرِب.

ي - أن يتولى المربي الضرب بنفسه وحبذا لو كان الأب هو الضارب.

ك - أن لا يضرب وهو في حالة عصبية شديدة مخافة إلحاق الضرر بالولد.

ل - أن لا يضرب الولد قبل أن يبلغ العاشرة من العمر لقول الرسول ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُم بالصّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ في المَضَاجِعِ)[1].

ولا بد من ملاحظة درجات الأبناء فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف، ومنهم من لا يردعه إلا الغضب الجاهر الصريح، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ، ومنهم من لا بد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه، ومنهم من بعد ذلك لا بد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم[2].

ولكن في النهاية نقول: إنه يجب الامتناع تماماً عن العقوبات القاسية المؤذية كالتحقير والإهانة، أو الضرب الجسدي العنيف؛ لأنها تخلق ردود أفعال سلبية لدى الطفل تتمثل في الكيد والإمعان في عداوة الأهل والتمسك بالسلوك السلبي الذي عوقب من أجله لمجرد تحدي الوالدين، والدخول في صراع معهم بسبب قسوتهم عليه[3].

كما ينبغي عدم الإفراط في العقوبة الجسمية، فإن ذلك له مضار جسيمة منها:

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح أبي داود (٤٦٦).

(٢) منهج التربية (١/ ١٩٢).

(٣) الأسرة المسلمة في العالم المعاصر، د. أكرم رضا.

- أن يألفها الولد.
- أن يصبح بليداً.
- أن يلجأ لتحقيق ذاته بأساليب منحرفة.
- عندما يكبر إما أن يكون فاشلاً ذليلاً يخاف من ظله، أو جباراً قاسياً يقهر مَنْ دونه وكلاهما خسارة ما بعدها خسارة، لذا فحذار من الإفراط في استخدام هذه الوسيلة.

وإذا رأى المربي أن الولد بعد إنزال العقوبة قد انصلح أمره، واستقام خلقه فعليه أن يحن له ويعطف عليه وينبسط له ويتلطف معه؛ ليعلم الولد أن المراد بالعقوبة هو تربيته وإصلاحه، وإذا أدرك الولد تلك المعاني فلا يمكن أن يتخبط في ردود الفعل، أو أن يتعقد نفسيًا، أو ينحرف خلقيًا فبذلك يقدِّر الولد للمعاملة الرحيمة قدرها ويؤديها حقها ويسلك الطريق المستقيم.

* * *

قاعدة أساسية في تربية الطفل(١)

سلوك الطفل سواء المقبول أو المرفوض يتعزز بالمكافآت التي يتلقاها من والديه خلال العملية التربوية، وفي بعض الأحيان وبصورة عارضة قد يلجأ الوالدن إلى تقوية السلوك السيئ للطفل دون أن يدركا النتائج السلوكية السلبية لهذه التقوية؛ لذا نقدم قاعدة أساسية في تربية النشء ليسير على هداها الآباء والمربون.

وتتلخص هذه القاعدة فيما يلي:

○ مكافأة السلوك الجيد مكافأة سريعة دون تأجيل:

المكافأة والإثابة منهج إسلامي تربوي أساسي في تسييس الطفل والسيطرة على سلوكه قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ۝﴾ [الرحمن: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ٤٠]، وهي أيضاً أداة هامة في خلق الحماس ورفع المعنويات وتنمية الثقة بالذات، والطفل الذي يثاب على سلوكه الجيد المقبول يتشجع على تكرار هذا السلوك مستقبلاً.

مثال: في فترة تدرب الطفل على تنظيم عملية الإخراج (البول والبراز) عندما يلتزم الطفل بالتبول في المكان المخصص على الأم أن تبادر فوراً بتعزيز ومكافأة هذا السلوك الجيد إما عاطفيًا وكلاميًا (بالتقبيل والمدح والتشجيع) أو بإعطائه قطعة حلوى.. نفس الشيء ينطبق على الطفل الذي يتبول في فراشه ليلاً حيث يكافأ عن كل ليلة قام فيها وفراشه جافًا.

---

(١) مقال للدكتور محمد حجار، بتصرف.

○ أنواع المكافآت:

١ ـ المكافأة الاجتماعية:

هذا النوع على درجة كبيرة من الفعالية في تعزيز السلوك التكيفي المقبول والمرغوب عند الصغار والكبار معاً.

والمكافأة الاجتماعية المقصود بها: الابتسامة ـ التقبيل ـ المعانقة ـ الربت ـ المديح ـ الاهتمام ـ إيماءات الوجه المعبرة عن الرضا والاستحسان ـ العِناق والمديح والتقبيل تعبيرات عاطفية سهلة التنفيذ، والأطفال عادة ميالون لهذا النوع من الإثابة.

قد يبخل بعض الآباء بإبداء الانتباه والمديح لسلوكيات جيدة أظهرها أولادهم إما لانشغالهم حيث لا وقت لديهم للانتباه إلى سلوكيات أطفالهم أو لاعتقادهم الخاطئ أن على أولادهم إظهار السلوك المهذب دون حاجة إلى إثابته أو مكافأته.

فمثلاً الطفلة التي رغبت في مساعدة والدتها في بعض شؤون المنزل كترتيب غرفة النوم مثلاً ولم تجد أي إثابة من الأم فإنها تلقائيًا لن تكون متحمسة لتكرار هذه المساعدة في المستقبل. وبما أن هدفنا هو جعل السلوك السليم يتكرر مستقبلاً فمن المهم إثابة السلوك ذاته وليس الطفل.

فالطفلة التي رتبت غرفة النوم ونظفتها يمكن إثابة سلوكها من قبل الأم بالقول التالي: (تبدو الغرفة جميلة، وترتيبك لها وتنظيفها عمل رائع أفتخر به يا ابنتي الحبيبة).. هذا القول له وقع أكبر في نفسية البنت من أن نقول لها (أنت بنت شاطرة).

٢ ـ المكافأة المادية:

دلت الإحصاءات على أن الإثابة الاجتماعية تأتي في المرتبة الأولى في تعزيز السلوك المرغوب بينما تأتي المكافأة المادية في المرتبة الثانية، ولكن هناك أطفال يفضلون المكافأة المادية.

والمكافأة المادية المقصود بها: إعطاء قطعة حلوى ـ شراء لعبة ـ إعطاء نقود ـ إشراك الطفلة في إعداد الحلوى مع والدتها تعبيراً عن شكرها لها ـ اللعب بالكرة مع الوالد ـ اصطحاب الطفل في رحلة ترفيهية خاصة (حديقة حيوانات ـ رحلة نهرية ـ سيرك.. إلخ).

*** ملاحظات هامة:**

١ ـ يجب تنفيذ المكافأة تنفيذاً عاجلاً بلا تردد ولا تأخير، وذلك مباشرة بعد إظهار السلوك المرغوب؛ فالتعجيل بإعطاء المكافأة هو مطلب شائع في السلوك الإنساني سواء للكبار أو الصغار.

٢ ـ على الأهل الامتناع عن إعطاء المكافأة لسلوك مشروط من قبل الطفل (أي أن يشترط الطفل إعطائه المكافأة قبل تنفيذ السلوك المطلوب منه) فالمكافأة يجب أن تأتي بعد تنفيذ السلوك المطلوب وليس قبله.

٣ ـ عدم مكافأة السلوك السيئ مكافأة عارضة أو بصورة غير مباشرة، فالسلوك غير المرغوب الذي يكافأ حتى ولو بصورة عارضة وبمحض الصدفة من شأنه أن يتعزز ويتكرر مستقبلاً.

فمثلاً: الأم التي تساهلت مع ابنتها في ذهابها إلى النوم في وقت محدد بحجة عدم رغبة البنت في النوم، ثم رضخت الأم لطلبها بعد أن بكت البنت متذرعة بعدم قدرتها على تحمل بكاء وصراخ ابنتها.

بهذه المعاملة السيئة تعلمت البنت أن في مقدورها اللجوء إلى البكاء مستقبلاً لتلبية رغباتها وإجبار أمها على الرضوخ.

وأيضاً إغفال الوالدين للموعد المحدد لنوم الطفل وتركه مع التليفزيون يعد مكافأة وتعزيزاً غير مباشر من جانب الوالدين لسلوك غير مستحب يؤدي إلى صراع بين الطفل وأهله إذا أجبروه بعد ذلك على النوم في وقت محدد.

٤ ـ معاقبة السلوك السيئ عقاباً لا قسوة فيه ولا عنف.

أي عملية تربوية لا تأخذ بمبدأ الثواب والعقاب في ترشيد السلوك بصورة

متوازنة وعقلانية تكون نتيجتها انحرافات في سلوك الطفل عندما يكبر.

والعقوبة يجب أن تكون خفيفة لا قسوة فيها؛ لأن الهدف منها هو عدم تعزيز وتكرار السلوك السيئ مستقبلاً، وليس إيذاء الطفل وإلحاق الضرر بجسده وبنفسيته كما يفعل بعض الآباء في تربية أولادهم.

وعلى النقيض نجد أمهات (بفعل عواطفهن وبخاصة إذا كان الولد وحيداً في الأسرة) لا يعاقبن أولادهن على السلوكيات الخاطئة فيصبح الطفل عرضة للصراع النفسي أو الانحراف عندما يكبر.

○ أخطاء شائعة في تطبيق هذه القاعدة:

١ ـ عدم مكافأة الطفل على سلوك جيد:

وهذا مثال يوضح المقصود: أحمد طالب في الابتدائي استلم شهادته من المدرسة وكانت درجاته جيدة عاد من المدرسة ووجد والده يقرأ الصحف وقال له: (انظر يا أبي لقد نجحت ولا شك أنك ستفرح بي).

وبدلاً من أن يقطع الوالد قراءته ويكافئ الطفل بكلمات الاستحسان والتشجيع قال له: (أنا الآن مشغول اذهب إلى أمك واسألها هل أنهت تحضير الطعام، ثم بعد ذلك سأرى شهادتك).

٢ ـ معاقبة الطفل عقاباً عارضاً على سلوك جيد:

وهذا المثال يوضح المقصود: زينب رغبت في أن تفاجئ أمها بشيء يسعدها فقامت إلى المطبخ وغسلت الأطباق وذهبت إلى أمها تقول: (أنا عملت لك مفاجأة يا أمي فقد غسلت الأطباق) فردت عليها الأم: (أنتِ الآن كبرتي ويجب عليك القيام بمثل هذه الأعمال منذ زمن لكنك لماذا لم تغسلي الأطباق الموجودة في الفرن هل نسيتها؟!).

ففي هذا المثال زينب كانت تتوقع من أمها أن تكافئها ولو بكلمات الاستحسان والتشجيع؛ لكن جواب الأم كان عقوبة وليس مكافأة لأن الأم:

أولاً: لم تعترف بالمبادرة الجميلة التي قامت بها البنت.

ثانياً: وجهت لها اللوم بصورة غير مباشرة على تقصيرها في ترك الأطباق في الفرن دون غسيل.

٣ - مكافأة السلوك السيئ بصورة عارضة غير مقصودة:

وهذا مثال يوضحه: مصطفى عاد إلى المنزل وقت الغذاء وأخبر والدته أنه يريد النزول في الحال للعب الكرة مع أصدقائه قبل أن يتناول غذاءه فطلبت منه الوالدة أن يتناول الطعام، ثم يأخذ قسطاً من الراحة ويذهب بعد ذلك لأصدقائه فأصر مصطفى على رأيه وبكى وهددها بالامتناع عن الطعام إذا رفضت ذهابه في الحال، فما كان من والدته إلا أن رضخت قائلة له: (لك ما تريد يا ابني الحبيب؛ ولكن لا تبكِ ولا ترفض الطعام واذهب مع أصدقائك وعند عودتك تتغذى).

فهنا كافأت الأم السلوك السلبي الذي يعتاد عليه الطفل، وإن داومت الأم على هذا السلوك معه فسوف يتكرر رد فعله في المواقف المشابهة؛ لأن مصطفى تعلم منه أن الامتناع عن الطعام والبكاء يجبر أمه على ما يريد.

٤ - عدم معاقبة السلوك السيئ:

وهذا مثال للتوضيح: الأب والأم جالسين اندفع الابن الأكبر هيثم يصفع أخيه بعد شجار عنيف أثناء لعبهم ونشبت المعركة بين الطفلين، فطلبت الأم من الأب أن يؤدب هيثم على هذه العدوانية؛ لكن الأب رد قائلاً: (الأولاد يظلون أولاداً يتعاركون لفترة ثم يعودون أحباء بعد ذلك).

هذا الرد من الأب يشجع الابن الأكبر على تكرار اعتدائه على أخيه؛ لأن أباه لم يعترض على ما فعل، وأيضاً يجعل الأخ الأصغر يحس بالظلم وعدم المساواة[1].

(١) للمزيد: راجع كيف تعالج متاعبك من سلوك ولدك؟ ترجمة د. محمد حمدي الحجار، تأليف د. لين كلارك.

○ مبادئ في تربية الأبناء[1]:

معاملة الأبناء فن يستعصي على كثير من الآباء والأمهات في فترة من فترات الحياة، وكثيراً ما يتساءل الآباء عن أجدى السبل للتعامل مع أبنائهم.

والحقيقة أن إحساس الولد بنفسه يأتي من خلال معاملتك له، فإن أنت أشعرته أنه «ولد طيب»، وأحسسته بمحبتك، فإنه سيكوّن عن نفسه فكرة أنه إنسان طيب مكرم، وأنه ذو شأن في هذه الحياة، أما إذا كنت قليل الصبر معه، تشعره أنه «ولد غير طيب»، وتنهال عليه دوماً باللوم والتوبيخ، فإنه سينشأ على ذلك، ويكوّن فكرة سلبية عن نفسه، وينتهي الأمر إما بالكآبة والإحباط، أو بالتمرد والعصيان، لذا فعلى المربي ببعض المبادئ والنصائح الآتية:

علمه أين العيب:

إذا رأيته يفعل أشياء التي لا تحبها، أو أفعالاً غير مقبولة، فأفهمه أن العيب ليس فيه كشخص؛ بل إن الخطأ هو في سلوكه وليس فيه كإنسان.

قل له: «لقد فعلت شيئاً غير حسن» بدلاً من أن تقول له: «إنك ولد غير حسن» وقل له: «لقد كان تصرفك مع أخيك قاسياً» بدلاً من أن تخبره «إنك ولد شقي»، وهكذا في كثير من المواقف.

تجنب المواجهات الحادة:

ومن الأهمية أن يعرف الوالدان كيف يتجاوبان برفق وحزم في آن واحد مع مشاعر الولد، فلا مواجهة حادة بالكلام أو الضرب، ولا مشاجرة بين الأم وابنها، إنما بإشعاره بحزم أن ما قاله شيء سيئ لا يمكن قبوله، وأنه لن يرضى هو نفسه عن هذا الكلام.

ولا يعني ذلك أن يتساهل الوالدان بترك الولد يفعل ما يشاء؛ بل لا بد من وجود ضوابط واضحة تحدد ما هو مقبول، وما هو غير مقبول، فمن حق

(١) مقال بعنوان: التعامل مع الأبناء فن له أصوله للدكتور حسان شمسي باشا.

الطفل أن يعبر عن غضبه بالبكاء أو الكلام، ولكن لا يسمح له أبداً بتكسير الأدوات في البيت، أو ضرب أخوته ورفاقه.

أحبب أطفالك ولكن بحكمة:

ولا يمكن للتربية أن تتم بدون حب، فالأطفال الذين يجدون من مربيهم عاطفة واهتماماً ينجذبون نحوه، ويصغون إليه بسمعهم وقلوبهم، ولهذا ينبغي على الأبوين أن يحرصا على حب الأطفال، ولا يقوما بأعمال تبغضهم بهما، كالإهانة والعقاب المتكرر والإهمال، وحجز حرياتهم، وعدم تلبية مطالبهم المشروعة، وعليهما إذا اضطرا يوماً إلى معاقبة الطفل أن يسعيا لاستمالته بالحكمة، لئلا يزول الحب الذي لا تتم تربية بدونه، وليس معنى الحب أن يستولي الأطفال على الحكم في البيت أو المدرسة، يقومون بما تهوى أنفسهم دون رادع أو نظام، فليس هذا حبًّا؛ بل إنه هو الضعف والخراب، وإن حب الرسول ﷺ لأصحابه لم يمنعه من تكليفهم بالواجبات، وسوقهم إلى ميادين الجهاد، وحتى إنزال العقوبة بمن أثم وخرج على حدود الدين، وكل ذلك لم يسبب فتوراً في محبة الصحابة لنبيهم ﷺ؛ بل كانت تزيد من محبتهم وطاعتهم لنبيهم.

احترمي زوجك:

ويحتاج الأب لكي يظفر بصداقة أبنائه إلى عطف زوجته واحترامها له، فالزوجة الصالحة التي تشعر أبناءها في كل وقت بعظمة أبيهم، وتقودهم إلى احترامه وحبه، وتؤكد في أنفسهم الشعور بما يملك من جميل المناقب والخصال، وهي تقول للطفل تمسك بهذا الخلق، فإنه يرضي أباك، وتجنب ذلك الخلق فإنه يغضب ربك وما يغضب ربك فهو يغضب أباك.

هدية.. ولو قليلة:

إذا أردت أن تصادق طفلك، فلا بد أن تعرف أن فمه أكثر يقظة من عقله، وأن صندوق الحلوى أفضل إليه من الكتاب الجديد، وأن الثوب المرقش

أحب إليه من القول المزخرف، الأب الذكي هو الذي يدخل البيت وفي يده هدية أو تحفة أو طرفة، وليذكر دوماً أن في الدنيا أشياء هي عندنا أوهام، وهي عند الأطفال حقائق، ولن نظفر بصداقتهم إلا إذا رأينا الدنيا بعيونهم.

استمع إلى ابنك:

إذا أتاك ابنك ليحدثك عما جرى معه في المدرسة، فلا تضرب بما يقول عرض الحائط، فحديثه إليك في تلك اللحظة ـ بالنسبة له ـ أهم من كل ما يشغل بالك من أفكار، فهو يريد أن يقول لك ما يشعر به من أحاسيس؛ بل وربما يريد أن يعبر لك عن سعادته وفرحه بشهادة التقدير التي نالها في ذلك اليوم.

أعطه اهتمامك إن هو أخبرك أنه نال درجة كاملة في ذلك اليوم في امتحان مادة ما، شجعه على المزيد، بدلاً من أن يشعر أنك غير مبال بذلك، ولا مكترث لما يقول، وإذا جاءك ابنك الصغير يوماً يخبرك بما حدث في المدرسة قائلاً: «لقد ضربني فلان في المدرسة» وأجبته أنت: «هل أنت واثق بأنك لم تكن البادئ بضربه؟» فتكون حقًّا قد أغلقت باب الحوار مع ابنك، حيث تتحول أنت في نظر ابنك من صديق يلجأ إليه إلى محقق أو قاض يملك الثواب والعقاب.

بل ربما اعتبرك ابنك أنك محقق ظالم وأنك تبحث عن اتهام للضحية وتصر على اكتشاف البراءة للمتعدي عليه.

فإذا تكلم الابن أولاً إلى والديه، فعلى الوالدين إبداء الانتباه، وتواصل الحوار، وينبغي مقاومة أي ميل إلى الانتقاد أو اللامبالاة بما يقوله الابن.

داعب أطفالك:

كان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال ويرأف بهم، ومن ذلك مواقفه المعروفة مع أحفاده وأبناء الصحابة رضوان الله عليهم.

روى أبو هُرَيْرَةَ قالَ: أَبْصَرَ ٱلأَقْرَعُ بنُ حَابِسٍ النَّبِيَّ ﷺ وهُوَ يُقَبِّلُ الْحَسَنَ

ـ أو الْحُسَيْنَ ـ فقالَ: إنّ لي مِنَ الْوَلَدِ عَشَرَةً ما قَبَّلْتُ أَحَداً مِنْهُمْ، فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إنَّهُ مَن لَا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ)[١].

وكان معاوية ﷺ يقول: «من كان له صبي فليتصاب له»[٢].

وكان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال فيمسح رؤوسهم، فيشعرون بالعطف والحنان.

فعن عبد الله بن جعفر ﷺ قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي وقال: (اللهم أخلف جعفراً في ولده)[٣].

كما كان يمسح خد الطفل فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ صَلَاةَ الأُولَى. ثُمّ خَرَجَ إلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ. فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ. فَجَعَلَ يَمْسحُ خَدّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِداً وَاحِداً. قَالَ: وَأَمّا أَنَا فَمَسَحَ خَدّي. قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً أَوْ رِيْحاً كَأَنّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤنَةِ عَطّارٍ[٤].

وقد كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار ويسلم على صبيانهم، ويمسح رؤوسهم[٥].

اترك لطفلك بعض الحرية:

وأسوأ شيء في دورنا ومدارسنا ـ كما قال أحد المربين ـ المراقبة المتصلة التي تضايق الطفل وتثقل عليه، فاترك له شيئاً من الحرية، واجتهد في إقناعه بأن هذه الحرية ستسلب إذا أساء استعمالها، ولا تحاصره، حتى إذا خالف النظام فذكره بأن هناك رقيباً.

إن الطفل يشعر بدافع قوي للمحاربة من أجل حريته، فهو يحارب من أجل أن يتركه الأب يستخدم القلم بالطريقة التي يهواها، ويحارب من أجل ألا

---

(١) سبق تخريجه. (٢) انظر: كنز العمال (٤٥٤١٣).
(٣) انظر: مجمع الزوائد (١٥٥٣٩). (٤) رواه مسلم (٢٣٢٩).
(٥) رواه النسائي عن أنس، وقال الألباني: (صحيح). انظر: الصحيحة (٢١١٢).

يستسلم لارتداء الجوارب بالأسلوب الصحيح، والحقيقة الأساسية أن الابن يحتاج إلى أن تحبه وأن تحضنه لا أن تحاصره، ويحتاج إلى الرعاية الممزوجة بالثقة، ويحتاج إلى أن تعلمه كل جديد من دون أن تكرهه عليه.

أوامر حازمة.. لكن بحكمة:

ينبغي أن تكون الأوامر حازمة، وأن تتضمن اللهجة أيضاً استعداد الأب والأم لمساعدة الطفل، فإذا كان الطفل قد فرش أرض الغرفة بلعبه الكثيرة فيمكن للأم أن تقول له: هيا نجمع اللعب معاً، وهنا تبدأ الأم في جمع لعب الطفل، وسيبدأ الطفل فوراً في مساعدة الأم، وكثيراً ما نجد الطفل يتلكأ؛ بل قد يبكي ويصرخ عندما تطلب منه الأم بلهجة التهديد أن يذهب ليغسل يديه أو أن يدخل الحمام، ولكن الابن لو تلقى الأمر بلهجة هادئة فسيستجيب بمنتهى الهدوء، فكلما زاد على الطفل الإلحاح شعر بالرغبة في العناد، وعدم الرغبة في القيام بما نطلب منه من أعمال.

بعض الآباء يتفاخر بأن أبناءه لا يعصون لهم أمراً، ولا يفعلون شيئاً لم يؤمروا به!!. والبعض الآخر يتعامل مع أطفاله وكأنهم ممتلكات خاصة لا كيان لهم، وآخرون يكلفون أبناءهم فوق طاقتهم، ويحملونهم من المسؤوليات ما لا يطيقون، وفي كل هذه الحالات مغالاة، وبُعد عن الأسلوب الحكيم في التربية وهو «خير الأمور أوسطها».

قللوا من التوبيخ:

على الآباء والأمهات أن ينتبهوا إلى ضرورة التقليل من التوبيخ الأوتوماتيكي وغير الضروري وإلى التقليل من الرقابة الصارمة على الأطفال، فالطفل ليس آلة نديرها حسبما نشاء، إن له إبداعه الخاص في إدارة أموره الخاصة، فلماذا نحرمه من لذة الإبداع؟!!.

وكثيراً ما يواجه الطفل بالعديد من الأسئلة والأوامر: «لماذا تضحك هكذا؟ لماذا تمشي هكذا؟.. انطق الكلمات نطقاً سليماً، لا تلعب بشعرك، اذهب ونظف أسنانك».

وكل ذلك قد ينعكس في نفس الطفل فيولد حالة من عدم الاطمئنان، أو فقدان الثقة بالنفس، وكثيراً ما ينال الطفل الأول الحظ الأوفر من الاهتمام الجشع والرقابة الصارمة من قبل الأبوين، ثم ما يلبث الأبوان أن يشعرا بأنهما قد تعلما الكثير من طفلهم الأول، فيشعران أنهما بحاجة لإعطاء وليدهما الثاني بعض الحرية، فيتصرفان مع الطفل الثاني بمزيد من الثقة خلافاً للطفل الأول.

وعلى الأم أن تنمي عادة الحوار الهادئ مع طفلها، فتطرح عليه بعض الأسئلة لترى كيف يجيب عليها، وتعوده على عدم رفع الصوت أثناء الحديث، وعدم مقاطعة المتحدثين وهكذا.

تسأله مثلاً: «ماذا تفعل لو رأيت أخاك يضربه رفاقه؟ وماذا تفعل لو رأيت طفلاً مجروحاً في الطريق؟».

فالأطفال الذين لا يكلمهم آباؤهم إلا نادراً ينشؤون أقل ثقة بالنفس من الذين يعودهم آباؤهم على الكلام والحوار الهادئ.

○ سلوك أبنائك من سلوكك:

عندما يصرخ الأب قائلاً إنه يتعب كثيراً، ولا ينال شيئاً مقابل تعبه وهو المظلوم في هذه الحياة، فإن ذلك ينقلب في ذهن طفله إلى أن الرجل هو ضحية المرأة، وأنه من الأفضل عدم الزواج، وعندما تصرخ الأم بأن الرجل هو الكائن الوحيد الذي يستمتع بالحياة، وهو الذي يستغل كل جهد للمرأة، فإن هذا الصراخ ينقلب في وجدان الفتاة الصغيرة إلى كراهية الرجل وعدم تقديره، ولهذا تجدها تنفر من الزواج عندما تكبر.

والابن الذي يرى أباه يحتقر أمه يعتبر ذلك «الاحتقار» هو أسلوب التعامل المجدي مع المرأة، والبنت التي ترى أمها تتعالى على الأب وتسيء معاملته يستقر في ذهنها أن أساس التعامل مع زوجها هو التعالي عليه والإساءة إليه.

والخلاصة أنه ينبغي أن تكون معاملة الوالدين ثابتة على مبادئ معينة، فلا

تمدح اليوم ابنك على شيء زجرته بالأمس على فعله، ولا تزجره إن عمل شيئاً مدحته بالأمس على فعله، ولا ترتكب أبداً ما تنهى طفلك عن إتيانه.

وهذه آداب عامة للوالدين يجب مراعاتها.

○ آداب عامة للصغير:

قال الحكيم المستعصمي[1]:

١ ـ يجتنب النوم الكثير، فإنّه يقبّحه، ويغلّظ ذهنه، ويميت خاطره.

٢ ـ لا يسرع المشي.

٣ ـ لا يتثاءب بحضرة غيره.

٤ ـ لا يضع رِجلاً على رجل.

٥ ـ لا يضرب تحت ذقنه بساعده، ولا يعمد رأسه بيده فإنّه دليل الكسل، وإنه قد بلغ به التقبيح إلى أن يحمل رأسه حتى يستعين بيده.

٦ ـ يعوّد أن لا يكذب ولا يحلف لا صادقاً ولا كاذباً.

٧ ـ يعوّد الصمت وقلة الكلام، وأن لا يتكلم إلا جواباً، وإذا حضر من هو أكبر منه اشتغل بالاستماع إليه، والصمت.

٨ ـ يمنع من خبيث الكلام وهجينه، ومن السب واللعن، ولغو الكلام.

٩ ـ يعوّد حسن الكلام وظريفه، وجميل اللقاء وكريمه.

١٠ ـ يعوّد خدمة نفسه ومعلمه ومَنْ هو أكبر منه.

١١ ـ يعوّد طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه، وأن ينظر إليهم بعين الجلالة والتعظيم، ويهابهم.

١٢ ـ يعوّد ضبط النفس عما تدعو إليه من اللذات القبيحة والفكر فيها[2].

---

(١) هو ياقوت بن عبد الله المستعصي الرومي، جمال الدين، كاتب وأديب له شعر رقيق، اشتهر بحسن الخط، من مصنفاته: «أسرار الحكماء» توفي سنة ٦٨٩هـ.

(٢) جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب، الشيخ جمال الدين القاسمي (ص٥٨).

الفصل الثاني

مشكلات الأبناء

وفيما يلي بعض المشكلات التي تعترض الآباء، وقد يسيئون التصرف حيالها جهلاً بالتصرف السليم، وكذلك عرض بعض السلوكيات غير السوية التي تعترض الآباء وتعكر عليهم حياتهم محاولين توجيه سلوك الأهل بما يخدم النمو الصحيح وإيجاد طرق العلاج والطرق المثلى في مثل هذه المواقف مستعينين بالله تعالى ثم بجهود أهل الاختصاص في هذا الشأن، حتى لا نقع في أخطاء، يدفع ثمنها الأبناء.

١ ـ الأساليب الخاطئة في التعامل مع الرضيع

أ ـ استعمال الكحل للطفل الرضيع:

استعمال الكحل شائع في مجتمعنا كأحد مستحضرات التجميل، وأغلبية أنواع الكحل تحتوي على مواد سامة هي مادة الرصاص.

واستعماله للكبار وعلى الجلد السليم لا يحدث أضراراً لأنه لا ينفذ داخل الجسم؛ لكن استعماله للأطفال ككحل للعيون ومطهر للسرة المفرزة ومخفف لآلام الأسنان، وقد يكون أحد محتويات الأدوية الشعبية المستخدمة ضد الأوجاع وغير ذلك من الاستعمالات الخاطئة.

والخطورة في استعماله للمواليد هو أن يوضع على الأغشية مباشرة كالفم أو السرة أو العين، ثم يمتص إلى داخل الجسم وبالذات مادة الرصاص السامة التي تترسب في العديد من أعضاء الجسم وتسبب لها أضرار دائمة وبالذات الجهاز العصبي، وقد تبدأ أعراض التسمم على هيئة تشنجات أو تخلف عقلي لاحقاً[١].

ب ـ استعمال الثلج لتخفيض حرارة الطفل:

ارتفاع الحرارة لدى الطفل يعني أن لديه التهاباً ويكون أحد أسبابه الفيروسات والجراثيم أو الطفيليات، وارتفاع الحرارة هو أحد محفزات الجسم للمقاومة والدفاع ضد هذه المسببات خصوصاً الفيروسات والجراثيم، فالحرارة الخفيفة لا تؤثر على الجسم فدرجة حرارة الجسم العادي تتراوح ما بين (٣٦,٥ إلى ٣٧,٥) درجة؛ لكن الحرارة العالية (٣٩) فأعلى قد تنهك الطفل وتؤثر على صحته فلا بد من التدخل لتخفيضها.

---

(١) الدكتور محمد البواردي.

أما منافذ خروج الحرارة من الجسم فأهمها الجلد الذي يحتوي على مسام وغدد مفرزة، هذه المسام والغدد تنشط لإخراج الحرارة إذا تراكمت أي زادت داخل الجسم كما يحدث في حالة الالتهاب أو في الصيف، إلا أنها تقفل وتمنع الحرارة من التسرب إلى الخارج إذا كانت درجة حرارة الجو منخفضة جدًّا مثل الشتاء لكن إذا كانت سرعة إنتاج الحرارة داخل الجسم عالية فإن سرعة إخراج الحرارة الذاتي تكون أقل وبذلك تتراكم الحرارة وترتفع، إذا أصبحت درجة حرارة الجسم عالية فلا بد من التدخل لتخفيضها، في مثل هذه الحالات نتخذ الإجراءات التالية:

- تنزع ملابس الطفل ما عدا الخفيف الواسع منها.
- يوضع الطفل في مكان غير مغلق وقابل للتهوية.
- يعطى سوائل بكثرة؛ لأن الجسم مع ارتفاع الحرارة يفقد سوائل كثيرة.
- يعطى الطفل خافض للحرارة كل ٨ إلى ٤ ساعات خلال الـ ٢٤ ساعة اللاحقة حتى ولو لم ترتفع حرارته بعد الجرعة الأولى.

أحياناً لا تفيد الخطوات السابقة وتبقى الحرارة مرتفعة أو تكون حالة الطفل غير جيدة، في مثل هذه الحالة يستعمل الماء لاستخراج الحرارة وذلك بطريقتين:

الأولى: استعمال كمادات الماء وتوضع على الصدر والرأس والبطن أو تلف بها الأطراف كالذراعين والساقين وتغير هذه الكمادات كل ٥ دقائق. ومن الخطأ استعمال الثلج أو الماء البارد لإخفاض الحرارة؛ لأن الكمادات الباردة تجعل الجلد ينكمش مثل ما يحدث في الشتاء فتنغلق المسام المنفذة للحرارة وتقل الإفرازات المبردة للجسم.

الثانية: وضع الطفل في الماء البارد لمدة ١٥ دقيقة ما عدا رأسه وبعد ذلك ينشف ويلبس ملابس واسعة وخفيفة ويجب تجنب التيارات الهوائية وبالذات المكيف[١].

---

(١) المصدر السابق.

جـ - إعطاء الطفل المواد الدهنية كعلاج للكحة:

عندما يصاب الطفل بالبرد أو الزكام فغالباً ما يبدأ بالسعال؛ لأن أغشية القصبة الهوائية وتفرعاتها تتعرض للالتهابات أيضاً، وتبعاً لذلك تبدأ الإفرازات المخاطية اللزجة التي تثير الكحة، وفي بعض الحالات تكون الكحة شديدة وبصورة ذبحة أو بحة خصوصاً إذا كانت الأحبال الصوتية ملتهبة. والبحة أو الذبحة توحي للسامع بالنشوفة فمن هنا بدأت فكرة الملين للحلق وأقرب مادة ملينة في المنزل هي المواد الدهنية من زبدة وزيوت نباتية وغيرها، ومن تجارب الناس لاحظوا أن هذه المواد الدهنية تخفف البحة إذا أعطيت عن طريق الفم أو الأنف؛ لأن جزءاً منها يذهب إلى الأمعاء والجزء الآخر ينتشر على الأغشية ويصل إلى الحبال الصوتية والقصبة الهوائية.

وقد اكتشف الأطباء عدة حالات التهاب رئوي مزمن لدى الأطفال وكان من أسبابه المواد الدهنية التي دخلت إلى القصبة الهوائية وأسفل الرئة عن طريق الانزلاق أو الشرقة أثناء إعطائها الطفل، ولأن هذه المواد ثقيلة فإن الشعيرات المبطنة لأغشية الشعب الهوائية لا تستطيع حملها للخارج، كما أن الرئة عضو لا يستطيع تحليل هذه المواد وهضمها فتبقى في الرئة وتسبب التهابات مزمنة[١].

* * *

(١) المصدر السابق.

٢ ـ امتناع الطفل عن الرضاع

من المشاكل التي تقابل الأم امتناع الطفل عن الرضاع، وذلك قد يكون لعدة أسباب، منها أن يكون بفم الطفل تشققات ناتجة عن الفطريات، أو بالفم قروح، أو أي شيء آخر، أو امتنع عن الرضاع نتيجة للحسد، وقد يستغرب البعض من ذلك؛ ولكن هذا من الأشياء المجربة لدى الكثير، وقد قال ﷺ: (الْعَيْنُ حَقّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا)[١].

وقد تضطر الأم للإرضاع باللبن الصناعي لأسباب خارجة عن إرادتها كحدوث خراج بالثدي أو شرخ بالحلمة، أو بسبب آلام شديدة بعد الولادة أو بسبب عملية قيصرية تحرمها النوم والراحة النفسية، وهما شرطان أساسيان لإدرار اللبن، وقد تكون الأسباب دائمة كإصابة الأم بأمراض مزمنة خارجة عن نطاق الأم، وهنا نقول إنه لا ذنب لها في امتناعها عن الرضاعة.

ولكن وبكل أسف نرى بعض الأمهات تمتنع عن الرضاعة الطبيعية بحجج واهية مثل المحافظة على الرشاقة، أو أن اللبن الصناعي به مكونات لا توجد بلبن الأم، أو تقليداً للتقليعات الغربية... إلخ.

لذلك سأعرض بحثاً للدكتور حسان شمسي باشا يوضح فيه فوائد لبن الأم وتغير النظرة الغربية من النقيض للنقيض. يقول بعنوان: ماذا يقول أطباء الغرب عن الرضاعة من لبن الأم؟.

لبن الأم منحة الله، لزائر جديد أطل على وجه الأرض، تهيأت لتركيبه مصانع أودعها الله تعالى في جسم الأم، وفاق بتركيبه كل لبن، يمر عبره كل ما

---

(١) رواه مسلم (٢١٨٨).

يحتاج إليه الطفل من وقاية وغذاء، ويعطي الأم إحساساً يوثق عرى الروابط بينها وبين وليدها.

ورغم ذلك وصلت نسبة الإرضاع الطبيعي في أوروبا وأمريكا إلى الحضيض في الخمسينات، وظن الكثير من الأمهات ـ بتأثير الدعاية التجارية ـ أن الإرضاع الاصطناعي أفضل من الإرضاع الطبيعي، وأن الحليب الاصطناعي يحتوي على عناصر إضافية لا وجود لها في لبن الأم.

واقتدت كثيرات من نسائنا في بلادنا العربية والإسلامية بنساء الغرب، فانتشر الإرضاع الصناعي، وأصبح الإرضاع الطبيعي تقليداً من التقاليد القديمة.

ومنذ ذلك الحين توالت الأبحاث والدراسات العلمية في أوروبا وأمريكا تؤكد حقيقة واحدة مفادها أن (لبن الأم هو الأفضل).

ولا عجب أن نرى كبار خبراء الطب في العالم ينشرون أبحاثهم، ويكتبون المقالات العديدة عن فوائد لبن الأم، وتوالت الصيحات من مختلف الأوساط الطبية من جامعات غربية تدعو الأمهات إلى العودة إلى لبن الأم.

تقول الأستاذة الدكتورة (روش لورنس) أستاذة أمراض الأطفال بجامعة روتشستر في نيويورك بالولايات المتحدة: [ينبغي أن تعلم النساء أن لبن الأم هو أفضل غذاء للطفل، وأنه يحتوي على حماية مناعة خاصة، وحماية ضد الالتهابات الجرثومية غير متوفرة في أي نوع آخر من الغذاء. ورغم تقدم العلوم الطبية، إلا أنها لم تتمكن من إنتاج لبن يشبه لبن الأم، وأنه ليس هناك على وجه الأرض محلول بيولوجي يستطيع أن يغني تماماً عن لبن الأم].

ويقول البروفسور بورسدن: [إذا كانت الكائنات الثديية تحتاج إلى لبن أمها وإلى صلة جسدية وثيقة مع أمها لعدة سنين، فمن الأولى أن يتمتع الطفل البشري بلبن أمه بكل ما فيه من خصائص ومزايا لمدة أربع سنوات].

وتقول نشرة حديثة أصدرها قسم الصحة والأمن الاجتماعي في بريطانيا:

[يظل لبن الأم أفضل حليب حتى السنتين من العمر، وبإمكان الأم إضافة أنواع الطعام الأخرى منذ الشهر الرابع].

وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

لقد صحا الغرب إلى هذه الحقيقة حديثاً، وبدأت وسائل الإعلام الطبية في أوروبا وأمريكا تنبه النساء إلى ضرورة العودة إلى الإرضاع الطبيعي.

ولقد نشرت مجلة اللانست الطبية البريطانية مقالة رئيسة تساءل فيها المؤلف (لماذا لا تزداد العودة إلى الإرضاع الطبيعي بسرعة أكبر مما هي عليه الآن؟ رغم إجماع كل الآراء الطبية على فائدة لبن الأم، وسُموه على الحليب الاصطناعي).

ويعزو المؤلف سبب ذلك إلى سيطرة الشركات المنتجة للحليب الاصطناعي على الكثير من المؤسسات التي ترعى شؤون الأطفال، والدعاية الكبيرة التي تروجها هذه الشركات في إقناع الأمهات ـ رغم أن ذلك خطأ شنيع وأكذوبة لا حقيقة لها ـ بأن الحليب الاصطناعي يغني عن لبن الأم.

وفي الوقت الذي يشيع فيه استعمال الحليب الاصطناعي في بلادنا العربية والإسلامية نجد أن الحكومة البريطانية قد أصدرت منذ ثلاث عشرة سنة قراراً بمنع هذه الشركات من ممارسة الدعاية لأصناف الحليب الاصطناعي، وقد اختفت تماماً تلك الدعايات من شاشات التلفزيون ووسائل الإعلام في بريطانيا.

ونشرت مجلة اللانست البريطانية مقالاً رئيساً جاء فيه:

- إن ٩٥٪ من الأمهات قادرات إذا رغبت على إرضاع أطفالهن الإرضاع الطبيعي لمدة ٤ ـ ٦ شهور، وأنه يمكن لهؤلاء الأمهات خلال هذه المدة أن يؤمن كميات كافية من اللبن تكفي لنمو أطفالهن نمواً طبيعيًّا.
- إنه بإمكان بعض الأمهات أن يرضعن أطفالهن لبن الثدي منفرداً لمدة اثني عشر شهراً أو أكثر.

ـ إن الأطفال الذين يتناولون لبن الأم مع الحليب الاصطناعي هم أكثر عرضة لالتهابات المعدة والأمعاء.

وأعرب تقرير منظمة الصحة الدولية عن الأسى لوضع العالم الثالث الذي يقبل استعمال الحليب الاصطناعي في الوقت الذي تتراجع فيه أوروبا وأمريكا عن ذلك.

وتقول الأستاذة (لورنس): [على الرغم من أن العلوم الطبية قد خطت خطوات عظيمة في مجال التغذية إلا أنها لم تستطع أن تقلد إلا جزءاً بسيطاً من لبن الأم، فهناك أكثر من مائة أنزيم (خميرة) في لبن الأم، كلها غير موجودة في الحليب الاصطناعي.

إن لبن الأم يحتوي على حماية مناعية خاصة، وحماية ضد الإنتان غير متوفرة في أي نوع آخر من الغذاء].

وتختم هذه الأستاذة مقالها بالقول: [ليس هناك على وجه الأرض محلول بيولوجي يستطيع أن يغني تماماً عن لبن الأم، ويقوم بتأمين الخلايا الحية والإنزيمات الفعالة، والحماية المناعية ضد الالتهابات، والفوائد النفسية].

وجاء في كتاب (لبن الأم هو الأفضل ـ Bestis Breast ـ) للدكتور ستانوي:

[مما لاشك فيه أن سرطان الثدي ـ وهو أكثر السرطانات شيوعاً عند النساء ـ قد أصبح أكثر شيوعاً خلال القرنين السابقين، ويقدر العلماء أن امرأة من أصل عشرين امرأة في الغرب تموت بسرطان الثدي، وأن واحدة من أصل أربعة نساء تشكو من مرض من أمراض الثدي في وقت من الأوقات هناك].

فلِمَ هذه الكثرة؟ ولماذا تتعرض أثداء النساء لهذه الأمراض؟ يقول الدكتور ستانوي مجيباً: [من المحتمل كثيراً أن النساء يعاملن الثدي معاملة غير طبيعية ويخالفن الوظيفة الطبيعية للثدي، ألا وهي الرضاعة. فإن النساء ـ يحرمن أثداءهن من وظيفتها الرئيسة (وهي الرضاعة) ـ إنما يدفعن ثمناً باهظاً

بالأمراض التي يكسبنها من وراء ذلك، وأن الإرضاع الطبيعي هو أهم وسيلة لتنظيم النسل حول العالم كله، حيث ينقطع الطمث عند معظم النساء اللواتي يرضعن أطفالهن، ومن المعروف أن لسرطان الرحم علاقة وثيقة بسرطان الثدي، وربما كانت دورات الطمث التي تراها المرأة في حياتها تلعب دوراً يؤثر في الرحم، ففي كل شهر يتعرض الثديان والرحم والمبايض لتغيرات فيزيولوجية وتشريحية، وتكون هذه الأجهزة جاهزة لحدوث تلقيح للبيضة وتشكل الجنين.

ولكن في حياتنا العصرية، فإن بيضة واحدة أو اثنتين تلقح فقط (حيث تنجب المرأة ولداً أو اثنين) خلال كل فترة العمر التي ترى فيها المرأة ٤٥٠ دورة طمثية.

أما الدورات الطمثية الأخرى فتهدر سدى، وتشعر تغييرات الجسم بالخيبة والمرارة سنة بعد سنة حينما لا تحمل المرأة في عمرها سوى مرة أو مرتين، وربما كان هذا سبباً لانتشار أمراض الجهاز التناسلي.

هذا ما قاله الدكتور (ستانوي) في كتابه. وهو بهذا يشير إلى نساء العصر الحديث ـ حينما يحرصن على ألا ينجبن أكثر من طفل أو طفلين ـ إنما يعرضن أعضاءهم التناسلية لتلك الأمراض.

ألم يقل رسول الله ﷺ: (تَزَوَّجُوا الودود الْوَلُودَ فإنّي مُكَاثِرٌ بِكُم الأمَمَ)؟[1].

ويقول الدكتور ستانوي أيضاً: «إن سرطان الثدي والرحم شائعان جدًّا، فإن امرأة من أصل كل خمسة نساء تنتهي باستئصال رحمها في وقت من الأوقات، وإن على المرأة أن تبدأ بالحمل خلال سنوات قليلة بعد سن البلوغ، فقد تبين أن إنجاب المرأة لأول طفل من أطفالها في سن مبكرة تحت العشرين هو أحد أهم وسائل الوقاية من سرطان الثدي، وأن الجهاز التناسلي عند المرأة

(١) رواه أبو داود (٢٠٥٠)، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٢٩٤٠) من صحيح الجامع.

يبقى لفترة ١٢ ـ ١٥ سنة (حتى تبلغ المرأة سن الطمث غير قادر على إنجاب أول طفل، وإننا إذا ما قررنا الاستمرار في منع هذا الجهاز من الإنجاب، فإننا سوف نعرض نساءنا لمشكلات كثيرة)».

وأما فيما يتعلق بمدة الإرضاع فيقول الدكتور ستانوي: [قد يكفي الرضيع من الناحية الغذائية أن يرضع لمدة ثمانية أشهر في المجتمع الغربي، إلا أنه من حيث الفائدة للأم، فإن هناك كل الأسباب التي تدعو الأم لأن تستمر في الرضاع المديد حتى ولو بلغ الطفل سنًّا يستطيع فيه تناول معظم غذائه من الأطعمة الأخرى، فالتمريض المتكرر لحلمة الثدي يحرض الهرمونات عند الأم لتمنع نزول البيضة من المبيض إلى الرحم عند الأم لعدة شهور.

وفي هذا فإن الرضاع لا يعمل مانعاً طبيعيًا للحمل فحسب؛ بل إنه يمنع التغيرات الحاصلة شهريًا في فترة الطمث، مما يريح الجهاز التناسلي من هذا العناء].

ألم تقض حكمة الله تعالى بأن تكون مدة الرضاعة عامين اثنين، ينال فيها الرضيع حظه من الغذاء والمناعة الطبيعية والحنان، وترتاح خلال تلك المدة أعضاء المرأة من رحم ومبايض. . . ؟!!.

يقول الأستاذ سيد قطب (في ظلال القرآن): [والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين؛ لأنه سبحانه يعلم أن هذه الفترة هي المثلىٰ من جميع الوجوه الصحية والنفسية للطفل ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾، وتثبت البحوث الصحية والنفسية اليوم أن فترة عامين ضرورية لنمو الطفل نموًا سليماً من الوجهة الصحية والنفسية.

ولكن نعمة الله تعالى على الأمة الإسلامية لم تنتظر بهم حتى يعلموا هذا من تجاربهم، فالرصيد الإنساني من ذخيرة الطفولة لم يكن ليترك يأكله الجهل كل هذا الأمد الطويل، والله رحيم بعباده وخاصة هؤلاء الأطفال الصغار المحتاجين للعطف والرعاية][(١)].

---

(١) في ظلال القرآن (١/٢٤٨).

○ الرضاعة الطبيعية في أرقام:

ولأهمية الرضاعة الطبيعية بدأ الغرب يرجع للرضاعة الطبيعية مرة أخرى فقد أعلنت مصادر صحية في بريطانيا أن عدد الأمهات اللواتي يرضعن أطفالهن بالطريقة الطبيعية في تزايد مستمر مقارنة مع استعمال الحليب الصناعي، إذ ارتفعت نسبتهن من ٦٦٪ عام ١٩٩٥ إلى ٦٩٪ في العام الماضي.

وأوضحت المصادر في تصريح لصحيفة «التايمز» البريطانية أن نسبة الأمهات اللواتي يرضعن أطفالهن بالطريقة الطبيعية سجلت ارتفاعاً بين ذوات الدخل المحدود، إذ ارتفعت نسبتهن من ٥٠٪ عام ١٩٩٥ إلى ٦٢٪ في العام الماضي، بينما تفضل ٩٢٪ من الأمهات من الشرائح الاجتماعية العليا الرضاعة الطبيعية.

وقد أشارت دراسات أخرى إلى أن الرضاعة الطبيعة لها فوائد صحية كثيرة بالنسبة للأم والرضيع على حد سواء، إذ إن الأطفال الذين يرضعون حليباً طبيعيًّا هم أقل عرضة لأمراض عديدة مثل التهاب الأمعاء والرئة، كما أن ٢٠٪ منهم أقل عرضة للسمنة في مراحل لاحقة من أعمارهم.

مما جعل الحكومة البريطانية تطلق منذ سنتين برنامجاً تحت مسمى مبادرة تغذية الطفل طبيعيًّا لتشجيع الرضاعة الطبيعية وخصصت مبلغ ٧٧٣ ألف جنيه إسترليني من صندوق تطوير الصحة العامة لدعم ٥٥ مشروعاً لهذا الغرض[١].

وهناك بعض الملاحظات للأم عند الرضاعة:

- تجنبي أن يبتلع الطفل الهواء، افحصي قبل كل رضعة تدفق الحليب من الرضاعة.
- ساعدي الطفل على التجشؤ كل ١٠ ـ ١٥ دقيقة عند الرضاعة.
- تأكدي من أن الطفل يتنفس بشكل جيد، أجلسي الطفل في وضع منتصب وحركيه برفق لكي يصعد الهواء إلى أعلى ولا ينزل للأمعاء فيسبب له

---

(١) مجلة محيط ٩/٢/٢٠٠١م.

المغص، إذا لم يرتفع الهواء لأعلى المعدة ويخرج عن طريق الفم ضعي الطفل على كتفيك ويداه مرفوعتان وتجولي داخل المنزل.

- يجب أن تكون الرضاعة مائلة عند رضاعة الطفل حتى تكون الحلمة مملوءة دائماً بالحليب لمنع دخول الهواء للحلمة.
- أدخلي طرف أصبعك من جنب فمه عند إرضاعه حتى يخرج الهواء الموجود بها.
- حاولي إرضاع الطفل وهو مستلق على جنبه الأيمن.
- لا تقطعي عليه عملية الرضاعة وأحضري كل ما يلزمك قبلها.
- عندما يحين وقت إرضاع الصغير انفردي به وأرضعيه وبثي فيه الشعور بالدفء.
- وفري لنفسك الاسترخاء حتى لا يضيق الطفل.
- احملي طفلك بطريقة صحيحة حتى تتم الرضاعة بشكل سليم.
- لا تستخدمي الصابون في غسل صدرك؛ ولكن استخدمي المياه الدافئة فقط.
- ولكن قد تضطر الأم إلى أن ترضع لبناً صناعيًّا لظروف خارجة عن إرادتها وهنا نقدم هذه النصائح:
- استشيري الطبيب ولا تقدمي لطفلك لبناً صناعيًّا من تلقاء نفسك، فالمرء يجب أن ينظر لهذه الألبان نظرته إلى الدواء.
- يجب أن تراعي النظافة التامة في التحضير والإرضاع.
- عند حدوث تغيرات معوية عند الرضيع كالليونة المفاجئة أو القيء فلنسرع لاستشارة الطبيب.
- يجب الالتزام بنوع واحد من هذه الألبان حتى لا يكره الطفل اللبن ويرفضه، فكل نوع له طعم قد يختلف كثيراً أو قليلاً عن نوع آخر.

٣ ـ معتقدات خاطئة حول التسنين

هناك اعتقاد خاطئ بين الأمهات أن أغلب المتاعب التي تصيب الطفل تكون بسبب التسنين، فإذا أصابه القيء فالسبب التسنين ونفس الشيء يقال: عندما يسعل أو ترتفع حرارته.

ويقول اختصاصي طب الأطفال: إن الأم التي تعتقد ذلك ترتكب خطأ كبيراً في حق طفلها؛ لأنها تهمل علاج حالة مرضية محددة، وهكذا تزداد حالة المولود سوءاً.

فالأعراض الوحيدة التي يمكن أن ترتبط مباشرة بالتسنين هو زيادة إفراز اللعاب، وكذلك ظهور رقعة حمراء على الخد المواجه للجانب الذي تظهر فيه الأسنان، وكل هذه الأعراض يمكن القضاء عليها عن طريق إعطاء الصغير مسكناً خفيفاً، أما فيما عدا ذلك من أعراض فهي في الواقع نتيجة لكل الظروف المعقدة التي تحيط بالجنين والتي يعتقد البعض ـ وهذا خطأ ـ أن التسنين هو السبب في حدوثها.

والذي يجب أن تعرفه كل أم أن موعد ظهور الأسنان اللبنية يختلف من طفل لآخر، فقد تظهر الأسنان عند طفل عمره أربعة أشهر أو قد يتأخر حتى يكون عمر الطفل سنة وفي الواقع أن للوراثة دوراً واضحاً في هذا الموضوع.

أما عن السن التي يمكن للأم أن تعطي الطفل الطعام الذي يحتاج إلى مضغ فعادة يكون منذ بداية الشهر السابع، فعلى الأم أن تعطيه أولاً المأكولات اللينة جدًّا القابلة للمضغ والتي لا تعتبر صلبة بأي حال.

ولكي تضمن الأم أسناناً سليمة وقوية لطفلها يجب أن تهتم الأم وهي حامل بطعامها إذ إن جزءاً كبيراً من أسنان طفلها اللبنية يبدأ تكونها في فترة

الحمل أي والطفل ما زال جنيناً؛ لذلك فيجب على الحامل أن يحتوي طعامها على:

- الكالسيوم والفسفور وذلك عن طريق الحليب ومشتقاته.
- فيتامين (د) وذلك عن طريق البرتقال والبطاطا والفواكه.

* * *

٤ ـ الفطام

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤].

بعد أن تتم الأم الرضاعة عامين كاملين من ثديها، ويأتي دور الفطام هناك بعض النصائح للأم حتى لا تقدم على مشاكل يصعب حلها، منها:

- قدمي لطفلك أكلة واحدة في كل مرة، ولا تبدئي بأكلتين أو أكثر، فمن ناحية يكون هذا التدريج أكثر هدوءاً في تقديم الطعام مما لا يثقل على جهازه الهضمي، ومن ناحية أخرى يتيح للأم ملاحظة ما قد يحدث له من مضاعفات من بعض الأكلات، فهو لو أكل البيض والموز في نفس الوقت وأصيب ببعض الحساسية الجلدية فلن تعرف الأم هل هي بسبب البيض أم الموز.

- لا تزيدي لابنك أكلة جديدة أثناء شهور الصيف أو أثناء إصابته بمرض وخاصة الإسهال.

- إذا قدمت لطفلك نوعاً جديداً من ألوان الطعام وقَبِلَه، فلا تحاولي تغييره قبل أسبوعين أو ثلاثة، فالطفل ما زال يستكشف الطعام الأول، وإن رفضه فأعطيه غيره، وما رفضه اليوم قد يقبله غداً أو بعد غد فلا تيأسي من المحاولة.

- عند تقديم وجبة جديدة يجب أن تراعي أن تكون قبل موعد إحدى الرضعات حتى يكون الطفل جائعاً جدًّا بدرجة تجعله يقبل بسهولة على تناول هذه الوجبة.

- يجب أن تبدأ كل أكلة جديدة بملعقة صغيرة واحدة تزيد كل يومين ملعقة

أخرى حسب تذوقه وحسب تقبل أمعائه، فقد يرفض الطفل ملعقة اللبن الزبادي الأولى مثلاً فلا داعي لأن تزيديها إلى ملعقتين؛ بل استمري في إعطائه ملعقة واحدة حتى يعتاد عليه، وقد تصيبه الملعقة الأولى من إحدى الوجبات ـ كعصير البرتقال أو شوربة الخضار ـ بعسر هضم فلا داعي لزيادتها حتى تعتاد أمعاؤه عليها.

- تزاد أكلة جديدة كل ثلاثة أسابيع أو شهر.
- قدمي لطفلك أكله الجديد بطعمه الحقيقي، فقد تحاول الأم أن تساعد ابنها على تناول شوربة الخضار فتزيد عليها السكر، وهذا خطأ شائع.
- إذا أصر طفلك على رفض تناول إحدى الأكلات بالرغم من المحاولات الطويلة لإقناعه بأكلها، فلنؤجل هذه الأكلة شهراً ثم نعيد تجربتها بعد ذلك فتذوق الطفل يتغير، قد يكره طفلك الفول المدمس، فلنجرب معه أي نوع من البقول التي لها نفس القيمة الغذائية مثل: (البازلاء، الفاصوليا، اللوبيا).
- عدم إجبار الطفل على نوع معين من الطعام أو يأكله في وقت معين؛ فالطفل هو الذي يحدد ما سيأكله بالقبول أو الرفض دون إجبار.
- الأكلات الخارجية تشبع الطفل أكثر من اللبن، فإن كان الطفل يشبع ثلاث أو أربع ساعات بعد رضعة لبن، فلا شك أنه سوف يشبع لمدة أطول قد تصل إلى خمس أو ست ساعات بعد أكلة شوربة خضار فلا تنزعج الأم من ذلك.
- على الأم أن تجعل الطعام يحتوي على قيمة غذائية كبيرة، فالعبرة بنوع الطعام وليس بكميته.

ويجب الحذر من الممنوعات الآتية:

- القهوة هي من أنواع المنبّهات التي تضرّ الأطفال فتجنّبيها على أنواعها.
- المشروبات الروحية على أنواعها تعتبر من السموم.

- كلّ اللحوم صالحة وضرورية لكن يجب الانتباه إلى طريقة طهيها؛ لأن بعضها ينقل الجراثيم إلى جسم الطفل.

- الأسماك أيضاً مهمة وضرورية للأطفال.

- تجنّبي أو على الأقل، خفّفي من إعطاء الشكولاتة والحلوى... إلخ؛ لأنها تضرّ بأسنانه، ويفضّل تقديمها للطفل خلال النهار وليس في المساء كي لا تترسّب حول الأسنان فتؤدّي إلى تسوّسها.

* * *

ـ امتناع الطفل عن الطعام

«طفلي لا يأكل أبداً»، جملة نسمعها من أغلب الأمهات منذ بدء الفطام، والسبب يرجع عادةً إلى بداية الفطام، وتعويد الطفل على الأطعمة المختلفة بطريقة خاطئة، إما بإجباره على تناول أطعمة بعينها نعتقد ـ بل نؤمن ـ بأهميتها لنموّه، أو مقارنته دائماً بغيره من الأطفال ممن يبدون أكثر وزناً وأحسن شهية، لكن يغيب عن معظم الأمهات أن الطفل منذ عامه الثاني يصبح ذا شخصية مستقلة تسعى لإثبات ذلك بكافة الطرق، ومنها تناول طعامه بنفسه، وتغذية الطفل تمثّل مشكلة تربوية كبيرة للأبوين، فغالباً ما يحملان آراء مسبقة ويقفان مواقف خاطئة من تغذية طفلهما، والحقّ أن هناك عوامل عديدة تتعلّق بتدريب الطفل على الأكل، في البداية على الأقل، ولهذه العوامل علاقة بعاداته الجسميّة، وفضلاً عن ذلك، فإن بلوغ الطفل مرحلة الاستقلال يترافق مع بلوغه مرحلة الفطام، وهنا تماماً يبدو الجانب الحرج من المشكلة، وهو أن الطفل ـ حتى فيما يتعلق بغذائه ـ يرغب في أن يكون مستقلاً، ويشرع في التخلّي عن اعتماده على أمّه منذ لحظة فطامه، وعند ذلك يبدأ طور الإدراك واتخاذ القرارات من جانب الطفل، فهو الذي يقرّر إن كان يريد أن يأكل أو لا؟ وماذا يريد أن يأكل؟ وأي طعام يرفض؟ وكيف؟ ومع من يريد أن يأكل؟.

والأطفال يرفضون الأطعمة الصلبة أو السائلة لمدّة معيّنة لأنهم لا يرغبون في استعمال الملعقة، وهذا أمر طبيعي ينبغي ألّا يحمل الأمهات على التضايق، بيد أن الفطام يبرز أمام الأم مشكلات ينبغي لها معالجتها بصبر وأناة، فالطفل حتى لو كان كبيراً، ربّما كان قليل الأكل حقًّا على عكس ما يرغب والداه اللذان يدفعانه إلى الطعام دفعاً، ويبديان قلقاً شديداً إزاء رفضه الطعام.

والحقّ أن قلّة الطعام لدى الطفل إنما تمثل وهماً في نفس أبويه، إذ ربّما

رجع سبب ذلك إلى مشكلات شخصيّة بسبب علاقته مع والديه أو أقرانه، وفي مثل هذه الحالة لا بأس في التثبت من دوافع الطفل وعدم القلق الشديد إزاء ذلك، كما لا ينبغي للأبوين الإصرار على إطعام طفلهما، فالجوع نفسه يدفعه إلى الطعام، ومن جهة ثانية، إذا كان الطفل يرفض تناول نوع معيّن فلا ينبغي التوسل إليه لتناوله أو تهديده، فالطفل سرعان ما يقلع عن أسلوب الرفض من تلقاء نفسه وإلّا أصبحت وجبات الطعام ساحة صراع بين الأم وطفلها على نحو لا سبيل إلى فهمه، ولعلّ أفضل طريقة أن تقدّم له نوع الأكل الذي سبق أن رفضه بعد بضعة أيّام.

ومن القواعد الجيّدة الأخرى التي تسهل على الأمّ تدريب طفلها على تناول الطعام: تغيير قائمة الطعام، فمن الممكن تبديل الأطعمة، أو تغيير ترتيبها، فإذا كان الطفل يرغب في تناول الفاكهة أولاً ثم الحساء أخيراً، فلا بأس في أن تسمح له بذلك، ثمّ ترشده شيئاً فشيئاً إلى قبول الترتيب الصحيح للغذاء، وإذا كان يرفض تناول نوع معيّن فإنّ من غير المجدي إطلاقاً تملّقه بإدخال الملعقة في فمه، فهذا الموقف من جانب الأم إنّما يؤثّر في التربية الغذائية للطفل تأثيراً سلبيًّا، ويؤدّي إلى تنشئة طفل غير متعاون تعوزه الشهيّة إلى الطعام.

وعندما يصل الطفل إلى ما بين السنتين الثانية والثالثة، لا بأس في أن تمنحه الأم شيئاً من حرّية اختيار الأطعمة وفق ذوقه وعاداته، ولكن دونما إهمال للمبادئ الأساسيّة في التغذية، ففي هذه المرحلة يميل الطفل إلى تقليد الكبار في طعامهم بصورة تلقائية، وهذه الحاجة إلى الاستقلال من جانب الطفل ربّما دفعته بسرعة إلى رفض تناول الطعام بواسطة أمه والتظاهر بأنه يأكل وحده، وفي هذه الحالة لا بأس في أن تسمح الأم له بذلك وإن أدّى إلى تلويث شديد لجسمه وملابسه في المرات الأولى؛ لأنه يستعمل يديه بدلاً من الملعقة.

هذا، ومن الأفضل دائماً، قبل تمكين الطفل من الأكل بنفسه، أن تحاول

الأمّ إطعامه بيدها لتضمن على الأقل تناوله لقدر كاف من الغذاء، ولا بأس كذلك في أن تحاول أن تترك شيئاً من الطعام يحمله بيده خلال إطعامه في أوّل الوجبة وفي آخرها.

○ **نصائح عامة لطعام الأطفال:**

- يترك الطفل بين الحين والحين يأكل بنفسه مع عمل الاحتياطات اللازمة التي تحافظ على نظافة المكان.
- لا ينصح بالاعتماد على المحايلة والملاعبة في ترغيب الطفل دائماً في الأكل؛ لأن ذلك سيشعره أنه يأكل من أجل الأهل لا من أجل نفسه؛ بل يترك الطفل على سجيته، وسيأكل عندما يشعر بالجوع.
- هناك بعض الأطفال يرفضون بعض أنواع الأكل كوسيلة لإثبات الذات بين أفراد الأسرة للتأكد من حبهم لهم، ومواجهة هذا الأمر لا يكون بالعقاب، وإنما بالحكمة، بطهوه مثلاً بطريقة مختلفة، وتقديمه بشكل مختلف مثلاً.
- يمكن أن تترك أمام الطفل بعض أنواع الطعام موضوعة في أطباق ملوَّنة وجميلة على منضدة منخفضة في متناول يده أثناء اللعب ليأكل منها متى شاء.

○ **معلومات عامة عن تغذية الطفل:**

- يجب عدم إعطاء الطفل الحلوى إلا بعد تناوله طعامه، فتناول الطفل للحلوى بين الوجبات يفسد شهيّته.
- من المفيد تنويع أصناف الغذاء المقدمة للطفل من يوم لآخر؛ لأن استمرار تقديم الطعام الواحد بنفس الشكل يجعل الطفل يسأم، وهو ما يعمل على فقدانه لشهيته.
- لا بد أن تكون وجبة الطفل متكاملة ومتوازنة تحتوي على جميع العناصر الغذائية الهامة لبناء الجسم (الكربوهيدرات ـ والفيتامينات الموجودة في

الفاكهة والخضراوات بأنواعها)، ثم الدهون، ولا بد أن تحتوي كل وجبة على مادة غذائية ممثلة لكل عنصر من العناصر.

- يجب إعطاء اللبن للطفل يوميًّا، فهو غذاء مهم جدًّا لبناء جسم الطفل، وخاصة العظام والأسنان، ويمكن الاكتفاء بإعطائه له مرة واحدة، مع التعويض ببعض الأطعمة التي تُصنع من الألبان.

ومن الجدير بالذكر أن المائدة تتيح للطفل فرصة للتكيّف الاجتماعي، إذ يحاول أن يجد مكاناً على المائدة بين أشقائه أو أبويه، وبما أن هذا الأمر غير ممكن دائماً، فينبغي للأم إيناس طفلها على المائدة باستدعاء أشقائه.

■ ■ ■

٦ ـ اضطرابات النوم عند الأطفال

النوم رحمة من رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ [النبأ: ١٠] أي لباساً لكم، ولذلك أجمع العلماء أن النوم في الليل مهم جدًّا لصحة الأبدان.

فالطفل في الأشهر الأولى عند ولادته ينام ما يقارب ٢٢ ساعة، ولكنه يصحو بين فترة وأخرى إما لجوع أو لمرض أو لعطش أو أنه يقوم لحاجة.

وتتقلص ساعات النوم حتى تصبح عشر ساعات في سن السادسة و٨ ساعات في سن المراهقة.

وهذه الساعات يجب على الطفل أن ينامها لكي ينمو نموًّا سليماً صحيح الجسم بعيداً عن التوترات العصبية.

○ **أخطاء نقع فيها:**

أولاً: إن تأخر النوم بالنسبة للطفل يحدث عنده توترات عصبية وخاصة عندما يستيقظ للمدرسة ولم يأخذ كفايته من النوم، مما قد يؤدي إلى عدم التركيز في الفصل أو النوم فيه.

ثانياً: إن بعض الأسر تحدد مواعيد ثابتة لا تتغير مهما تكن الأسباب، فالطفل حدد له موعد الثامنة ليلاً، ولذلك يجب عليه أن يلتزم به مهما تكن الظروف، وهذا خطأ؛ لأن الطفل لو كان يستمتع باللعب ثم أجبر على النوم فإن ذلك اضطهاد له وعدم احترام لشخصيته، وكذلك فإن الطفل ينام متوتراً مما ينعكس ذلك على نومه من الأحلام المزعجة وعدم الارتياح في النوم.

ثالثاً: بعض الآباء يوقظ ابنه من النوم لكي يلعب معه، أو لأنه اشترى له لعبة، وخاصة عندما يكون الأب مشغولاً طول اليوم وليس عنده إلا هذه

الفرصة، فإن هذا خطأ؛ لأنك قطعت على ابنك النوم الهادئ، ومن الصعب أن ينام مرة أخرى بارتياح.

رابعاً: بعض الآباء ينتهج أسلوب التخويف وبث الرعب في نفس الطفل لكي ينام، وهذا أكبر خطأ يقع فيه الآباء.

خامساً: بعض الأمهات قد تقص على ابنها حكايات قد تكون مخيفة وبالتالي تنعكس آثارها السلبية على الطفل في نومه على شكل أحلام مزعجة مما يؤثر على استقرار الطفل في النوم.

سادساً: بعض الأسر قد تُرغّب ابنها بشرب السوائل من عصير أو ماء أو غيرهما وخاصة قبل النوم مباشرة، وذلك يؤدي إلى التبول اللاإرادي الذي تشتكي منه معظم الأسر.

سابعاً: غلق الغرفة على الطفل عند الذهاب للنوم، والظلام الدامس يزرع الخوف في نفس الطفل من الظلام، كما يسبب الاضطراب في النوم.

ثامناً: عدم تعويد الطفل منذ الصغر النوم بمفرده، حيث إن بعض الأسر تسمح للطفل أن ينام مع الوالدين أو الأم حتى سن السادسة وهذا خطأ كبير؛ لأنه في هذه الحالة ينشأ اتكاليًّا غير مستقر.

لذلك يُنصح بأن نعود الطفل النوم منذ الصغر أي من السنة الأولى بالنوم وحده حتى يتعود على ذلك.

وأخيراً: نجد أن كثيراً من المشكلات التي يعانيها الأطفال سواء في التبول اللاإراي أو الخوف من الظلام أو الصراخ أثناء النوم أو النوم في المدرسة أو عدم الاستيعاب أو عدم الذهاب إلى المدرسة.. كلها بسبب الاضطراب في النوم وعدم الاستقرار(١).

* * *

(١) الشقائق، العدد ٣٦ (ص٤٤).

٧ ـ البكاء دون سبب محدد

عند بلوغ الطفل عامه الثاني يكتسب الكثير من المهارات التي تثير إعجاب الأبوين وذوي الطفل، ففي السنة الثانية يصبح الطفل قادراً على المشي بثقة أعظم ويهتم بأقرانه من الأطفال، ويُغلق الباب ويطفئ الشمعة، ويُبدي ميلاً للاهتمام بمظهره، ويُنفذ طلبات الكبار بسهولة وينام حوالي ١٤ ساعة.

ويتطلب جسم الطفل في هذا العمر أغذية أكثر كثافة وتنوعاً، وإذا كان الطفل متعلقاً بزجاجة الإرضاع، وهذا ما يحدث لدى العديد من الأطفال، يمكن إعطاؤها لمرة واحدة وفي الليل فقط، وشيئاً فشيئاً سيتركها لوحده، وستتغير طبيعة شهيته تجاه الطعام.

وفي هذا العمر يزداد وزن الطفل بنسبة ٢٠٪، وبالطبع ينبغي الحرص في مثل هذا العمر على تنظيم تناول الطعام الذي يزود الجسم باحتياجاته المختلفة من كافة العناصر التي يتطلبها نمو الجسم في هذه السن، حيث يمكن تقديم اللحوم المفرومة والخضروات المطبوخة والطازجة والفواكه والمربيات والمعجنات والزبدة والحبوب وغير ذلك من الأطعمة، مع الحرص على عدم تعويد الطفل على تناول المشروبات الضارة كالقهوة والمشروبات الغازية وغير ذلك من الأطعمة والمشروبات التي لا ينصح بتناولها على الأقل في مثل هذا العمر.

أما بخصوص أسنانه في هذا العمر فإنه من المفيد إعطاء الطفل الماء بين الحين والآخر وخصوصاً بعد تناول الطعام وقبل النوم وتنظيف أسنانه من بقايا الطعام، إذ ينبغي الحرص على العناية بصحة الفم والأسنان منذ الصغر.

ويجب أن تتضافر جهود كلًا من الوالدين معاً من أجل تدريب الطفل على النظام، سواء أكان ذلك يتعلق بنومه أو بطعامه أو بغير ذلك، فالطفل يحتاج للنوم لساعات كافية، وللتصرف بشكل سليم، ومثل هذا الأمر لن يتحقق ببساطة، إذ ينبغي التحلي بالصبر والحزم، فالطفل إذا ما سمح له بالقيام

بتصرف ما اليوم فإنه لن يفهم مباشرة لماذا هذا التصرف ممنوع عنه غداً، لهذا ينصح بمراقبة الطفل بعين بصيرة وتنبيهه عن التصرفات الخاطئة المقصودة أو غير المقصودة، فالطفل قد يلجأ للقيام ببعض التصرفات الخاطئة قصداً من أجل إثارة الانتباه، ومن هنا نؤكد على ضرورة تأمين الجانب النفسي والعاطفي للطفل الذي يحتاج للشعور بالطمأنينة والثقة بالنفس من أجل نموه بشكل سليم.

ووفقاً لما سبق يمكن القول بأنه يجب منح الطفل الفرصة لكي ينمو ويتطوّر ويمارس هواياته وألعابه وغير ذلك.

ومن المهم بمكان أن نوضح أن الطفل في مثل هذا السن يلجأ للبكاء غير المبرر كنوع من رد الفعل تجاه عدم تلبية إحدى رغباته غير المنطقية أو التي تتنافى مع السلوك الصحيح، وإذا ما أحسن الأبوان أو الأشخاص القائمون على تربية الطفل التعامل مع مثل هذه الحالة فإن الطفل سيدرك فيما بعد أن سلوكه لم يكن صحيحاً، لهذا ينصح بضرورة تجاهل بكاء الطفل مهما كان شديداً، إذ إن الطفل شيئاً فشيئاً ستهدأ ثورته وقد لا يضطر لإعادتها ثانية كونها لم تُجدِ نفعاً معه، أما إذا تمت تلبية رغبات الطفل فإنه سيُكرر هذا السلوك الذي يتحمل مسؤوليته الأبوان طبعاً قبل الطفل.

ويحتاج الطفل في هذا العمر للشعور بالاطمئنان وللتعامل بلطف معه، وعلى الأم أن توفر له ذلك بالتعاون مع أفراد الأسرة، فعندما يحين موعد النوم يمكن أن تسمعه بعض القصص وأن تبقى معه في السرير ريثما ينام بهدوء، وفي بعض الحالات قد يستيقظ الطفل مذعوراً وباكياً من حلم مزعج أو بسبب مشهد ما أو صوت أو غير ذلك، وفي مثل هذه الحالة من المهم جدًّا أن يجلس أحد الأبوين بالقرب منه وإن قليلاً ليشعر بالاطمئنان ريثما يعود للنوم ثانية.

وبهذه الطرق يمكن للطفل أن ينتظم برنامجه اليومي وأن يدرك تماماً السلوك الخاطئ من الصحيح، ولا شك أن تربية الطفل تتطلب امتلاك الوعي والحزم والصبر[1].

---

(١) مجلة محيط ٩/٣/٢٠٠١م.

٨ ـ البكاء حتى الغيبوبة

هذه النوبات شائعة جدًّا عند الأطفال، وتسبّب ألماً للأهل، إذ يعتقدون لثوان أن الطفل قد فارق الحياة، والطفل بعد حدوث طارئ أدى إلى ذعره يبدأ بالصراخ والبكاء، ثم لا يعود يستطيع أن يتنفّس، فيصبح لون وجهه أزرق لأن الدم الذي يمرّ بالرئتين لا يعود إليهما حاملاً معه مادة الأوكسجين كما يحصل في الحالة الطبيعية، وعند وصول الدم إلى الدماغ لا يعمل هذا الأخير كما يجب فيفقد الطفل وعيه، تدوم هذه الحالة عدة ثوان تمرّ وكأنها قرون بالنسبة إلى الأهل.

ولكن ننبه هنا أنه يجب على الأهل ألا يفقدوا سيطرتهم على أعصابهم، وبعد مرور هذه الثواني المعدودة يعود الطفل للتنفّس ويعمل الدماغ بشكل طبيعي، ويعود الطفل إلى سابق وعيه، وهنا يجب على الأهل إخفاء انزعاجهم والتصرّف أمام الطفل بهدوء؛ وذلك أن الطفل قادر على إعادة الكرّة مرّات عديدة إذا شعر أن هذه الحالة تزعج المحيطين به، وتجعلهم يهتمون به، وقد يستعمل هذه الطريقة لإجبارهم على تنفيذ رغباته.

○ **لعلاج ذلك:**

- يجب على الأهل السيطرة الكاملة على انفعالاتهم ومخاوفهم أمام الطفل.
- تجنب المشاحنات الساخنة التي تؤدي إلى مثل هذا الانفعال الحاد.
- معاملة الطفل بلطف وتأمين جو أسري هادئ قدر المستطاع.
- محاولة إثبات للطفل أن مثل هذه الأفعال لا تؤدي إلى ما يريده.

٩ ـ التبول اللاإرادي

التبول اللاإرادي من المشاكل المنتشرة عند الأطفال، وقد يحصل على فترات، فأحياناً تمرُّ فترة شهر دون أن يقوم الطفل بهذا الأمر، وأحياناً يبقى شهراً كل يوم فيه على هذا المنوال، وتتفاوت النسبة بتفاوت الأعمار وتنتشر أكثر في الأصغر عمراً ويقل تدريجيًّا بتقدم العمر.

وقد تحاول معه الأم بالتشجيع بالمكافأة، وبالضرب أحياناً، لكن دون جدوى، وقد تحرمه من أشياء يحبها، لكن دون استجابة.

وفي البداية لا بد أن تعرف الأم أن التبول أو التبرز اللاإرادي قبل العام الثالث لا يعتبر مشكلة، والمشكلة تبدأ إذا كان بعد العام الثالث.

○ أسباب التبول أو التبرز اللاإرادي:

١ ـ عدم سيطرة الطفل على المثانة البولية في عمر يتوقع منه ذلك.

٢ ـ معظم حالات التبول اللاإرادي ليس لها أسباب عضوية.

٣ ـ العوامل الوراثية لها دور، فمثلاً إذا كان أحد الوالدين عانى من التبول اللاإرادي في الصغر فسيعاني أطفالهم من نفس المشكلة وتزداد النسبة إذا شملت المشكلة الأبوين معاً.

٤ ـ ثقل النوم والإمساك المزمن والإفراط في تناول السوائل.

٥ ـ هناك أسباب عضوية توجد عند ١٠ إلى ١٥٪ من الأطفال الذين يعانون من مشكلة التبول اللاإرادي مثل:

١ ـ الالتهابات البولية.

٢ ـ ازدياد نسبة الأملاح في البول.

٣ ـ تشوهات خلقية في المسالك البولية أو العمود الفقري، ومن الأسباب غير العضوية وهي تمثل ٨٥ ـ ٩٠٪ الحالة النفسية، ولا يقصد بها أمراض نفسية؛ ولكن وجود بعض المشاكل عند بعض الأطفال سواء في المدرسة أو المنزل، قد تؤدي إلى مثل هذه المشكلة.

○ العلاج:

١ ـ يستطيع معظم الأطفال السيطرة على أنفسهم أثناء الليل بعد الثالثة من العمر وآخرون حتى السنة الخامسة.

٢ ـ بإذن الله تعالى يكون الشفاء التلقائي بتقدم عمر الطفل، فيكون التحكم منذ السنة الثالثة، وفي الغالب لا يتجاوز السنة السادسة.

٣ ـ على الوالدين تجنب الإهانة والتجريح عند معاقبة الطفل أو لومه على أي خطأ يرتكبه، ولا يعني هذا عدم عقابه وتوجيهه عند ارتكابه لأي خطأ؛ بل المقصود التعامل معه كرجل صغير نوجهه إلى الصواب، فهذا هو جوهر التربية، وليس إطعام الأبدان؛ وشراء الملابس.

٤ ـ على الوالدين أن يصوغا نقدهما للطفل في عبارات إيجابية، فالطفل يتجاوب أكثر مع هذا النوع من النقد؛ لأنه يحفظ كرامته، أما الإهانة فلن تؤدي إلا إلى مزيد من الرفض الذي يظهر في أعراض كثيرة، منها التبول اللاإرادي.

٥ ـ يجب إجراء بعض الفحوصات البسيطة من قبل الطبيب للتأكد من عدم وجود أسباب عضوية.

٦ ـ إبعاد الطفل عن كل أسباب التوتر والقلق.

٧ ـ تشجيع الطفل ومكافأته على كل مرة يستيقظ وفراشه غير مبلول وهو نائم، وفي كل مرة يتبول في المكان المخصص في النهار.

○ أما بالنسبة للنصائح التي يجب اتباعها فهي:

١ ـ الامتناع عن تناول السوائل قبل النوم بثلاث ساعات.

٢ ـ بدء النوم بمثانة فارغة وذلك عن طريق التبول وإفراغ المثانة قبل النوم.

٣ ـ إيقاظ الطفل بعد النوم بساعتين أو ثلاث ساعات للتبول.

٤ ـ إشراك الجدول التشجيعي وذلك بوضع جدول يومي ووضع نجمة أو وجه ضاحك على كل يوم يمر بدون تبول، ونهاية كل شهر تجمع عدد النجوم ويعطى الطفل حافزاً حسب العدد، وكلما زاد العدد زاد الحافز وهكذا.

٥ ـ الجرس المنبه وهو عبارة عن جهاز صغير يربط بملابس النوم عند الطفل ويصدر رنيناً متواصلاً مع أول قطرة بول ويستخدم عند الأطفال بعد الثامنة من العمر.

٦ ـ في حالات نادرة يستخدم الدواء مثل عقار (ADH) الذي يعطى عن طريق بخاخ أنفي[١].

٧ ـ تعويد الطفل على الذهاب بانتظام إلى الحمام، ولكن ننبه بدون قسوة.

٨ ـ تنظيم أوقات الطعام، ومحاولة التقليل قدر الإمكان من الشكولاته وما شابه بين الوجبات.

٩ ـ التغذية الصحية والصحيحة والمتنوعة، المشتملة على الفيتامينات والبروتينات والدهون والنشويات.

○ التهاب البول عند الأطفال:

يحدث التهاب القناة البولية في أغلب الحالات بسبب بكتيريا تصيب القناة البولية عند دخولها عن طريق مجرى البول، وربما عن طريق الدم، وتصاب الإناث أكثر من الذكور بعد السنة الأولى من العمر، وإذا ما حدث بول متكرر بعد سن الثالثة فلا بد من إجراء فحوصات إضافية للتأكد من سلامة الأعضاء.

هناك بعض الوسائل التي ينصح بها للتقليل من حدوث مثل هذه الالتهابات:

---

(١) د. حاتم عبد الرحمن، التبول اللاإرادي.

- حث الطفل على الإكثار من شرب الماء والسوائل.
- تجنيب الطفل الملابس الضيقة.
- تعويد الطفل على النظافة الشخصية وخاصة بعد استخدام الحمام.
- تعويد الطفل الذهاب إلى الحمام بشكل منتظم، خصوصاً أن بعض الأطفال يمسك نفسه عن التبول عندما يكون مشغولاً في اللعب.

■ ■ ■

١٠ ـ مشكلة قضم الأظافر عند الأطفال

تنتشر هذه الظاهرة بصورة كبيرة جدًّا بين الأطفال وفيها يظل الطفل في قضم أظفاره بعصبية شديدة حتى يدميها، وإذا حاول الوالدان منعه أصر وبدأ بالعناد، ويمثل هذا الإصرار تلك الطرفة التي تقول: إن أباً قال لصديقه: لقد جعلت طفلي يقلع عن قضم أظافره، فقال له صديقه: وكيف ذلك؟ قال: لقد خلعت أسنانه!.

ولهذه الظاهرة أسباب منها:

١ ـ اضطراب نفسي يدفع الصغار إلى أن يلوذوا بأنفسهم، فيجترون آلامهم من خلال قضم الأظفار، أو التقاط أي شيء كي يقرضوه.

٢ ـ ضعف رقابة الوالدين، والسماح للأبناء بهذه الأفعال دون توجيه.

٣ ـ رؤية الطفل لوالده أو لوالدته وهو يقضم أظفاره، فيتعود على ذلك السلوك اقتداءً به، وحرصاً على تقليده.

٤ ـ تظهر أيضاً هذه الحالات عند الأطفال الذين يعانون من الضعف العقلي.

٥ ـ تؤدي العوامل النفسية دوراً مهمًّا في إحداث هذا السلوك الشاذ، ومن ثَمَّ يجب التنبيه إلى ضرورة حسن المعاملة للأطفال وإظهار المودة والمحبة لهم.

٦ ـ إحساس الطفل بالحزن نتيجة عدم القدرة على تحقيق ما يرغب.

○ بعض الإرشادات العلاجية:

- إبعاد الأدوات الصغيرة والأشياء الحادة عن متناول الأبناء، مع الحرص على غرس العادات السلوكية المعبرة عن النظافة والتمسك بقيمتها في كل فعل أو تصرف.

- غرس المبادئ الدينية في نفوس الأبناء، وحثهم على النظافة، فالنظافة من الإيمان، والمؤمن الحق هو الحريص على أن يبدو نظيفاً دائماً: في ملبسه ومأكله ومظهره وكل تصرفاته.
- إشباع الحاجات النفسية للأبناء، من خلال المعاملة الحانية والمودة التي تشعرهم بقيمتهم، مع عدم التقليل من شأنهم أو محاولة معاملتهم بالقسوة، التي تجعلهم يتصرفون تصرفات فيها إيذاء للذات، والتي منها «قضم الأظفار».
- تزويد الأبناء بالغذاء الصحي المناسب الذي تواكبه مجموعة من العادات السلوكية التي تعبر عن النظام، والتعامل مع الطعام بذوق وترتيب، فهذه الأمور تجعل الأبناء على درجة من الحرص على نظافتهم، وهذا الحرص يمنعهم من التعامل مع أظفارهم بهذه القسوة وبتلك الطريقة غير النظيفة.
- على المعلم في المدرسة أن يشغل تلاميذه الذين يمارسون هذا السلوك بأن يكلفهم بأعمال حركية داخل الفصل، والاستعانة بهم مثلاً في توزيع الكراسات على الزملاء، حتى لايعطيهم الفرصة للانفراد بأنفسهم، والتعامل مع أظفارهم هذا التعامل.
- استخدام أسلوب التشتيت بصرف نظر الطفل عن هذا السلوك بأمر يحبه مثل: إعطائه قصة إن كان يحب القراءة، أو تكليفه بمهمة تستدعي الخروج وركوب الدراجة.. وهكذا.
- عدم معايرة الطفل الذي يقضم أظفاره بسلوكه حتى لا يحاول القيام به في الخفاء فيصاب ـ بالإضافة إلى هذا الداء ـ بعدم الرقابة الذاتية، أو بالتخفي للقيام بالسلوك غير المرغوب بعيداً عن عيون مَنْ حوله.
- لا تلجأ إلى دهن أصابع الصغير بمادة مرة المذاق، فهذا أسلوب خاطئ.
- قص أظافر الطفل على فترات متقاربة جدًّا.
- مكافأة الطفل كلما حاول التخلي عن هذه الظاهرة.
- تأمين جو الهدوء والفرح والبعد عن القلق والاضطراب.

١١ ـ عيوب النطق لدى الطفل

تظهر مشاكل النطق عند الأطفال منذ البداية، كأن يستبدل الطفل حرفاً بآخر أو التأتأة وهذه مرحلة طبيعية يمر بها الطفل، ولكننا نتحدث عن إذا استمرت المشكلة بتقدم السن، فغالباً ما تنقضي هذه المشكلة عندما يبلغ الطفل عامه الثالث، وقد أكدت الأبحاث أن المسؤولية ملقاة على الوالدان بصفة خاصة، وأن لهما تأثيراً في تحسين لغة الطفل.

○ أسباب تأخر نمو اللغة عند الصغار:

١ ـ عدم تفرغ الأم كما يجب لصغيرها حتى تعطيه حصيلة لغوية، ويجب على الأم أن تبدأ بمخاطبة الطفل منذ الأشهر الأولى من عمره حتى يتعلم كيف يتحكم في لسانه وشفتيه وحباله الصوتية.

٢ ـ إصابة الطفل بالتخلف العقلي أو نقص في القوى العقلية.

٣ ـ ضعف حاسة السمع أو الصم عند الطفل.

٤ ـ إصابة الطفل ببعض الاضطرابات النفسية أو العاطفية مثل غياب أحد الوالدين أو أي سبب آخر.

○ الوقاية والعلاج:

١ ـ عدم إجبار الطفل على الكلام، وتشجيعه على الكلام ببطء حتى لا يخطئ.

٢ ـ عدم تقليد الطفل في الخطأ؛ ولكن يجب تعليمه بشكل صحيح من غير معاقبة له إذا أخطأ.

٣ ـ تشجيع الطفل على الكلام أو القراءة بصوت عال دون خوف أو استهزاء، فذلك يكسبه الجرأة والشجاعة.

٤ ـ يجب أن يشعر الطفل بالأمان وعدم التوتر، فالقلق والتوتر والخلافات العائلية لها دخل كبير جدًّا في أغلب المشاكل للأبناء، وكلما شعر الطفل بالأمان كلما ساعده ذلك على النمو الجسماني والعقلي والعاطفي بشكل متكامل.

٥ ـ في حالات إصابة الأعضاء لا بد من الذهاب لطبيب أو متخصص للعلاج.

٦ ـ يجب أن يتفاعل الآباء في تعليم الطفل، فلا يكونون ملقنين للطفل، يتحدثون معظم الوقت ناسين أن أفضل طريقة لتعلّم الطفل هي أن يشارك الطفل بنفسه في الحديث، بدلاً من مجرد المشاهدة أو اتّباع التعليمات.

١٢ ـ حجرة الفئران

الخوف ظاهرة طبيعية عند كل طفل، وقد يحميه الخوف من الأذى عندما يتعرض للأشياء الخطرة كغريزة طبيعية، وهذه الغريزة موجودة عند كل طفل منذ الولادة، فمثلاً الطفل الرضيع يخاف من الأصوات العالية والضجة والتغيير المفاجئ، وانعدام الخوف في طفل ما قد يكون نادراً للغاية، وهو يرجع عادة إلى الضرر، فقد يمسك البالغ ضعيف العقل ثعباناً، أو يضع يده في مكان يصيبه بضرر لعدم تقديره لخطورة مثل هذه المواقف.

كما أن الطفل الصغير رغم ذكائه قد يقدم على الثعبان ظنًّا منه أنه لعبة يمكنه أن يتسلى بها غير مدرك الضرر الذي قد يلحقه منه.

وعندما يبلغ الطفل عامه الثاني نجد أن قدرته العقلية مقصورة على فهم الأمور منطقيًّا فتختلط الأشياء في ذهنه وتكبر ولا يعرف كيف يفسرها، ولذلك تراه يخاف من أشياء لا تخيف بطبيعتها، وهنا نعلم أن ذلك ينتج من توجيهنا الخاطئ له واستغلالنا لتأثره بكل ما يقال له، فيصبح في حالة رعب من أشياء غير واقعية كاللص والشرطي، وهذه كلها سلبيات لها خطورتها في المستقبل.

وكثيراً من الآباء والأمهات من يستنكف أن يشعر أبناؤهم بالخوف خشية أن يشب على هذه العادة، مثل هؤلاء الوالدين غير الواقعيين ينظرون إلى مخاوف الأطفال كأنها قصور في إدراك الطفل، وبذلك يقمعون انفعالات الخوف التي تظهر على أبنائهم اعتقاداً منهم أن ذلك كفيل باستئصالها، إن هذا الأسلوب يزيد مخاوف الأطفال، ويعقد شخصياتهم وهؤلاء الآباء والأمهات عاجزون عن فهم نفسية الطفل ومشاعره ومخاوفه الطبيعية، وقد نسوا أنهم مرّوا بالانفعالات نفسها في طفولتهم.

وقد يلجأ بعض الآباء والأمهات لعلاج خوف الطفل بالسخريّة منه، أو

إثارة ضحك أفراد الأسرة عليه بسبب مخاوفه، وقد يتخذ الأخوة هذه المخاوف وسيلة للتسلية والضحك على حساب مشاعر الطفل المسكين؛ بل قد يلجؤون إلى تخويفه بما يخاف منه فيعقّدون بذلك شخصيته، كما تسوء علاقته بوالديه وبأفراد أسرته، والمعروف أن هناك أشياء عديدة تثير الخوف الطبيعي لدى الطفل كالظلام والاقتراب من الحيوانات ومشاهدة العنف والقتل والضرب في التلفزيون، وأفضل طرق لمعالجة ذلك هو التفسير لعدة مرات حتى يفهم، وعدم السخرية والضحك من مخاوف الطفل، فهذا يزيد من إحساسه بالضعف ويفقده الثقة بالنفس. ونستطيع أن نخفف من خوف أطفالنا ونقلل من أهمية الأشياء التي تسيطر على أفكارهم وخيالهم بأن نفسر لهم كل شيء كلما ازدادت قدرتهم على مواجهة الحياة وتحمل ما بها من أعباء.

وقد يلجأ بعض الآباء والأمهات والمربّون إلى تخويف الطفل لدفعه لعمل معين أو لمنعه من عمل معين أو إلزامه بالسكوت أو مذاكرة دروسه، وكثيراً ما يقال للطفل في الحضانة أنه سيوضع في حجرة الفئران أو أن الغول سيخطفه، أو القطط ستأكله إلى غير ذلك من الأقوال الشائعة لضمان هدوئه، وبعض الآباء والأمهات ينزع إلى فرض سلطته المطلقة على أطفاله فيخيفهم بالطبيب، أو بالمدرّس في المدرسة، أو بالشغل، وبعض الأمهات يلجأن إلى تخويف الطفل لينام في ساعة محددة، فيهددونه بالغولة، أو بالعفريت، وينسى البعض أن ذلك يجعل الطفل يميل إلى الانطواء حول الذات ويكبت مخاوفه في مرارة وضيق.

إن تربية الآباء والأمهات لتعليمهم أساليب التربية وفنونها ينبغي أن تسبق تربية الأبناء، إذ يجب أن يعرفوا الخصائص النفسيّة لكل مرحلة من مراحل أبنائهم وسبل التعامل معهم في كل مرحلة.

• • •

١٣ ـ غَيْـرَةُ الأطفال

استقبال الأسرة لمولود جديد لن يكون سهلاً بالنسبة للطفل الأول، ويميل كثير من الآباء إلى إخفاء المولود الجديد؛ ولكن من المستحسن أن يتعوّد الطفل الأوّل بصورة تدريجيّة على المولود الجديد، ولربما استطاعت الأم المساعدة في تعويده على فكرة المولود الجديد بأن تسمح له بالاستماع إلى حركات الجنين في بطنها، أو جعله على دراية بحجمه المتزايد.

ومن المستحسن إبعاد الطفل الأكبر عن المنزل عند عودة الأمّ إليه من المستشفى، وذلك لمنع الطفل من المشاركة في مجموعة من الأعمال التي تخصص للمولود الجديد وحده. ثم تتمّ إعادته إلى البيت بهدوء فيرى أخاه في مهده وقد تمكنت الأمّ من مواجهة الواقع الجديد بأكبر قدر من الدقة والحذر، فإذا كان الفارق في السن بين الطفلين أقل من سنتين قلّت المشكلات وخفّ الحصر النفسي للطفل الأكبر.

والطفل الأكبر يحسّ بالتغيرات كافة التي تطرأ على حنان الأم نحوه، ويشعر كذلك بالتبديل النفسي الذي يبدو في نظرنا نحن عديم الأهميّة، وربّما التوتر أحياناً من إقلال الأم للابتسام في وجه الطفل الأكبر، أو من عدم قدرتها على تحمّله، فينبغي لها في هذه الحالة أن تتجنب التوتر قدر ما تستطيع، كما ينبغي لها أيضاً مراعاة أنشطتها وبرامجها اليوميّة السابقة، كالقيام بنزهة على الأقدام أو زيارة الأصدقاء أو الأقارب، مع محاولتها إشراك طفلها الأكبر بصورة تدريجيّة في حياة مولودها.

فإذا كبر المولود الجديد بعض الشيء وجب عليها اتباع سياسة نفسية تجاه الطفلين معاً، فلا ينبغي لها مثلاً أن تثير في الطفل الأكبر غيرة من أخيه بأن تقضي قدراً كبيراً من الوقت في رعايته، ومن جهة ثانية ينبغي للأم أن تحرص

على ألّا يطغى شعور الطفل الأكبر الغريزي بالسّمو على العالم العاطفي الرقيق للمولود الجديد، إذ غالباً ما تنشأ في الحقيقة توترات بين الطفلين وإن بدا عليهما التوافق والانسجام الظاهري، ولربما أبدى الطفل الأكبر غيرته من أخيه الأصغر بسلسلة من نوبات غضب سخيفة، أو حتى عن طريق إشارات استياء وغيظ في أثناء اللعب، أو التسلّي بممتلكات أخيه الأصغر، والحق أن من المستحسن أن تحاول الأم في مثل هذه الأحوال منع ذلك الغضب والامتعاض من جانب الطفل الأكبر، بمعاملة طفليها معاملة متساوية، وإن كان ذلك أمراً مستحيل التحقيق في معظم الأحيان.

ولعلّ أفضل حلّ هو الذي يتمثل في تعاطف الأم معهما وتقديم التفسيرات للطفل الأكبر ولا سيّما إذا كان يستوعب مثل هذه التفسيرات.

وينبغي ألّا تلجأ الأم إلى معاقبة الطفل الأكبر أو إلى فرض أنواع أخرى من القيود عليه لكبح غيرته من أخيه الأصغر، فذلك يورثه مشاعر سلبية غير سارّة ربّما تستمرّ طوال فترة الطفولة، وتؤدي إلى نشوء عديد من المشكلات بالنسبة إلى الأمّ ونموّ طفلها الأصغر، وعلى الأم أن تتوقع شيئاً من التنافس والكذب لدى طفلها الأكبر، ولكن من المستحسن أن تسيطر على الموقف في مثل هذه الحالة[1].

○ أسباب الغيرة:

يشعر الطفل بالغيرة إذا استنتج أنّ اهتمام والديه به قد تناقص بسبب وجود أخ أو أخت له، أو في حال إحساسه بالفشل والخيبة.

يعبّر الطفل عن غيرته بمحاولة إثارة اهتمام أمّه، وقد يعمد، في سبيل ذلك أحياناً، إلى تمثيل دور المريض، وقد يُصاب فعلاً بالإسهال أو بالتبوّل اللاإراديّ أو أيّ نوع من أنواع الأمراض أو التصرّفات التي يقوم بها المولود الجديد في العائلة.

---

(١) الدكتور عبد العليم، الشبكة الإسلامية.

يمكن أيضاً أن يعمد الطفل إلى الحيلة، فيداعب الصغير، كما يفعل الكبار، حتى ترضى عنه أمّه، فلا تفقد اهتمامها به.

وقد تظهر الغيرة، بشكل واضح، من خلال تصرّفات تنمّ عن الغضب، فيحطم الطفل الأواني مثلاً، ويرفض الإصغاء إلى والديه، ويبكي عند أقلّ حادث، معبّراً عن يأسه وإحباطه لأنه حسبما يعتقد، فَقَدَ محبة والديه واهتمامهما.

قد يزيد الأهل من حدّة هذا الإحساس بتفضيلهم طفلاً على آخر، فيمدحون الأوّل ويشيدون بجماله وذكائه، ويهملون الآخر، وقد يوبّخونه ويزجرونه بشكل دائم، لا سيمّا حين يُظهر غيرته.

هنا يبدو دور الأهل رئيساً في مساعدة الطفل على تخطي هذه الحالة، وكما هو الوضع دوماً، تبدو الوقاية أفضل وسيلة لتجنّب المشكلة.

○ الوقاية من الغيرة:

من الخطوات الوقائية الممكنة:

١ ـ إذا كانت الأم حاملاً، فمن الضروريّ تحضير الطفل لهذا الحدث، هكذا يقوم الوالدان بإخباره أنّه سيصبح لديه أخ أو أخت يلعب معهما ويساعدهما، وأن يؤكّدا له أيضاً أنّ ذلك لن يؤثّر على محبّتهما له واهتمامهما.

٢ ـ إقناع الطفل بأنّ عليه الاهتمام بالمولود الجديد، فيلعب معه ويطعمه.

٣ ـ بعد الولادة، من الضروريّ عدم إهمال الطفل، وقضاء بعض الوقت معه يوميًا كي لا نسمح لشعور الغيرة أن يتملكه.

٤ ـ عدم التمييز بين الأطفال، وعدم مَدْح أحدهم وذمّ الآخر.

٥ ـ عدم المقارنة بين الأطفال، وحثّهم على المنافسة فيما بينهم.

٦ ـ عدم السخرية من الطفل، لا سيما أمام الآخرين.

٧ ـ إذا وقع الطفل مريضاً، عدم الاهتمام به بشكل زائد، حتى لا يعتبر المرض وسيلة لاجتذاب اهتمام الأهل بعد ذلك.

٨ ـ تأمين حاجات الطفل الأساسية؛ حتى لا يشعر بأن المولود الجديد قد حرمه مما هو حق وحاجة بالنسبة إليه.

○ علاج الغيرة:

إذا لم يقم الأهل بهذه الخطوات الوقائية، وأصبحت عوارض الغيرة تظهر على الطفل فما العمل؟.

١ ـ تعزيز علاقات الطفل الاجتماعية حتى يتحرّر من قوقعة المنزل والعائلة، فيتخطى المشاعر الضيّقة المحدودة بها مثل مشاعر الغيرة.

٢ ـ معاودة الاهتمام بالطفل وتأمين حاجاته، دون المبالغة، لا سيما إذا كان يتصرّف كالمولود الجديد ويصاب بالمرض من جرّاء ذلك، حتى لا يظنّ أنّ هذه الحالات هي السّبب الوحيد لاهتمام الأهل به.

٣ ـ عدم زجر الطفل وتعنيفه إذا شعر بالغيرة؛ بل محاولة فَهْم أحاسيسه.

٤ ـ إقناع الطفل بالمنافسة الشريفة، ويتقبّل الإخفاق وعدم الغرور بسبب النجاح.

٥ ـ الإكثار من النشاطات التي يمارسها الطفل كاللعب على أنواعه، وغير ذلك من الأعمال التي تنسيه الغيرة[١].

* * *

(١) تربية الطفل، راغدة موريس (ص١٩).

١٤ ـ عِناد الأطفال

العناد سلوك متوقع من معظم الأبناء خصوصاً إذا كانوا يتمتعون بالذكاء أو ولدوا بقدرات مميزة كالصلابة وقوة الشخصية؛ فالشخصية القوية تتميز بأنها محددة تعرف بالضبط ما تريد، ولديها إصرار قوي للوصول إلى ما تريد، وتؤكد الدراسات أن الطفل الطبيعي الذي يبلغ من العمر ٤ أو ٥ سنوات لا يستجيب لأكثر من ثلثي الطلبات الموجهة من قبل الأب.

○ أسباب عناد الطفل:

١ ـ محاولة منه لإثبات الذات والاستقلالية:

وإحدى وسائل إثبات الذات عنده العناد وتحدي الأسرة والمحيطين به، وهي فترة عادة ما يمر بها الأطفال، والعناد غير المبالغ فيه للطفل في مرحلة من مراحل النمو النفسي للطفل يساعد الطفل على استقلال شخصيته واكتشافه لذاته، وهذا الاكتشاف يكسبه صفات الفردية والشجاعة الاجتماعية السوية في الأخذ والعطاء، ويكتشف أن التعاون والتفاهم يفتحان له آفاقاً جديدة في التوافق والخبرات والمهارات خصوصاً إذا كان الوالدان يعاملان الطفل بشيء من المرونة ويؤمنان بالتفاهم مع الحزم المقرون بالعطف.

وعادة ما ينتقل الطفل تدريجيًا من مرحلة العناد والتحدي إلى مرحلة الاستقلال النفسي في الفترة من الرابعة إلى السادسة من عمره، وكلما كان الوالدان على درجة معقولة من الصبر والتعاون والفهم لنفسية الطفل في كل مرحلة من مراحل عمره، ساعدا على اجتياز الطفل مرحلة العناد بسهولة، أما الوالدان اللذان يبالغان في الحزم وإصدار الأوامر والنواهي والقسوة والعنف، فقد يثبتان في الطفل أسلوب العناد، فيوقفه ذلك عن التقدم واكتشاف الطرق

السوية لإثبات الذات، فعلى الوالدين أن يكسبا طفلهما إلى جانبهما عن طريق التقدير والتفاهم، وحتى يكونا مصدر هنائه وراحته فيركن إليهما، وينتفع بتوجيهاتهما وخبراتهما ويقبل عليهما برضى[1].

٢ ـ العلاقات السائدة في الأسرة:

إن الأسرة تؤثر في شخصية الطفل تأثيراً كبيراً فنوع العلاقات السائدة في الأسرة يحدد إلى مدى كبير أنواع شخصية الطفل، فقد يكون الطفل فكره عن نفسه من واقع علاقاته بالأسرة فقد يرى نفسه محبوباً ومرغوباً فيه فينشأ راضياً عن نفسه، أو أنه غير محبوب منبوذ فينشأ غير راضٍ عن نفسه وغير واثق بنفسه؛ فتسود حياته النفسية التوترات والصراعات التي تتميز بمشاعر الضيق والعصبية، ويرى العلماء أن أهم أسباب عصبية الأطفال هو الشعور بالعجز والشعور بالعداوة، وذلك نتيجة حرمانهم من الدفء العاطفي في الأسرة، وسبب ذلك هو قسوة الآباء أو التفرقة بين الإخوة.. إلخ.

٣ ـ تقليد الطفل لوالديه:

تدل الدراسات على أن بعض الأطفال يكتسب العصبية من خلال الجو المحيط بالمنزل، فإن رأى والديه أو أحدهما يعاني من العصبية والتوتر فإن الطفل يحاول أن يقلد سلوك من حوله، لذلك فهو يتعلم أساليب جديدة للاستثارة الانفعالية، ولذلك فإن كثيراً من مخاوف وعصبيات الأطفال يتعلمونها بالتقليد.

ولذلك فالأب العصبي في تصرفاته يُعلِّم أطفاله هذا السلوك، والأم العصبية الثائرة دائماً تعلم أولادها هذا السلوك، بعكس الأب والأم الهادئين فإن الطفل يتعلم منهما السلوك الهادئ المرن، فإذاً الطفل يتعلم ويقلد مَنْ حوله.

٤ ـ التدليل:

التدليل الزائد يعلم الطفل العصبية والأنانية، وذلك لأن التدليل الزائد

---

(١) مجلة المنار، أكتوبر سنة ٢٠٠٠م.

ينمي في الطفل صفات الأنانية مما يجعله دائم التمركز حول نفسه؛ لذلك فهو يحب كل شيء لنفسه وإذا لم تلب رغباته بسرعة فإنه يثور حتى تستجاب طلباته.

○ نصائح هامة:

أولاً: يجب على الآباء والأمهات أن يعرفوا أن معظم الأطفال الذين يعانون من العصبية هم أطفال عاشوا في منازل تتميز بالقلق والتوتر والاضطراب العائلي، لذا يجب أن تكون الأسرة سعيدة متفاهمة بعيدة عن التوترات والمشاجرات ويسودها الحب والتفاهم.

ثانياً: يجب على الآباء أن يعودوا أبناءهم على الحرية واتخاذ القرار والتدخل في الوقت المناسب حتى ينشأ الطفل معتمداً على نفسه ولا يكون اتكاليًا.

ثالثاً: البعد عن أسلوب الضرب والتحقير خاصة أمام أقرانه من الأطفال.

رابعاً: يجب إشباع حاجات الطفل النفسية، وهي شعور الطفل بأنه محبوب مرغوب فيه حتى يشعر بالطمأنينة؛ ولكن يجب ألا تصل إلى حد التدليل الزائد.

خامساً: الاهتمام بهوايات الطفل والترويح عن النفس فإنها تساعد على تنمية شخصية الطفل[١].

سادساً: ينصح لعلاج هذه الحالة بالاكتفاء بالتعليمات الضرورية وجعلها واضحة ومحددة وإيجابية وتصاغ بطريقة لبقة مع تجنب أسلوب السؤال كأن تقول: (ما قلت لك؟ أو لماذا لم تذاكر؟) فالأفضل أن تصيغ الأمر بطريقة تظهر ثقتك بأن الطفل سوف يستجيب، ولا تعطيه الفرصة للعصيان.

سابعاً: أعط الطفل وقتاً للاستجابة فقد يكون مشغولاً بأمر ما؛ لذلك

---

(١) مجلة الشقائق.

يجب إعطاء الطفل الوقت الكافي للاستجابة، فإذا لم يستجب استخدم معه أسلوب الإبعاد المؤقت (أي يوضع في زاوية الغرفة لمدة خمس دقائق لا يتحرك)، مع تكراره عدة مرات في حالة عناده مع زيادة المدة إن شعر الأب بجدوى هذه العقوبة.

○ الطفل المدلل:

هل يؤدي اتباع طرق تربوية صارمة إلى نتيجة إيجابية، كترك الطفل يستمر في البكاء، وعدم هزّه في المهد، وعدم إجابته إلى طلباته كل مرّة؟ والجواب عن ذلك هو النفي، فحتى السنة الأولى من العمر يبكي الطفل لأنه يرغب حقًّا في الحصول على شيء ولا يملك القدرة على الشعور بالدلال.

وبعد السنة الأولى يشعر الطفل الذي يجد تلبية دائمة لرغباته في نهاية المطاف بأنه متعلّق بأمّه تعلقاً مفرطاً، ولا يقبل استجابة سلبيّة منها، ويصبح معتمداً عليها ولا يقدر أن يكون مستقلاً عنها وتتجسّد هذه العوامل إذا بقي والداه تحت رحمته يحققان كل نزوة من نزواته ولا سيّما عندما يكون هو بكر والديه أو إذا جاء هذا الطفل لوالديه بعد طول انتظار.

وطبيعي أن الأبوين يوليان اهتمامهما كله للطفل ويحاولان عدم حرمانه من أي شيء حتى يصلا إلى مرحلة فرض وجودهما عليه بصورة مستمرّة، وعندما يبتعدان عن الطفل ينتابه شعور بالهجر يورثه إحساساً بالقلق وعدم الاطمئنان، فيميل إذ ذاك إلى المضايقة والتشكي بطريقته.

والدلال في معظم الأحوال لا يفسد الطفل إذا كان هذا الطفل يتلقّى في أثناء الحياة اليومية القدر المناسب من الحنان والاهتمام والتعاون، ولكن بشرط أن يُترك وشأنه لفترات معيّنة من الزمن.

وخلاصة القول أنّ الطفل بحاجة إلى الأنس والحنان قبل كل شيء؛ ولكن ينبغي أن يتاح له المجال ليكتسب استقلاله الذاتي، ففي ذلك يتمثل النمو المتوازن الحقيقي له وربما كان هذا هو الطريق الوحيد لتوازنه ومن دون هذا التوازن تبرز عيوب التربية.

والحق أن هذا القول ينطبق على الأطفال الصغار، ذلك أنّ هذا برنامج التربية تختلف باختلاف السن، فالطفل الحديث الولادة ـ كما سبق أن رأينا ـ يبكي من الألم، فتأخذه أمّه وتحضنه بين ذراعيها وتهزّه فيهدأ، وعلى النقيض من ذلك، إذا خدش طفل في الثانية أو الثالثة من العمر نفسه، أو سقط من مرتفع وجب على أمّه أن تواسيه وتعمل كل ما في وسعها لإرضاء شعوره وأن تخفف في الوقت نفسه من هول الحادث، وتبعد انتباهه عنه بجعله يفكر في أشياء أخرى، وصرف اهتمامه عن بكائه وألمه إلى حدّ كبير.

والحق أنّه ينبغي للأمّ الاهتمام بطفلها في الحالات جميعاً، وعدم قصر اهتمامها به على بكائه، أو تعرّضه لمشكلة معيّنة فذلك يفسد الطفل ويجعله بكّاء، إذ لا بأس في أن تحضن الأم طفلها وترعاه عندما يكون في مزاج سعيد، وذلك حتى لا يشعر بضرورة اللجوء إلى البكاء والغضب عندما يواجه موقفاً غير سار.

فإذا شعر الطفل أو اعتقد أنّ والديه لا يمنحانه وقتهما إلّا عند بكائه وصراخه أخذ إذ ذاك بالتمثيل وتجسيد كل ما يتعرّض له من المواقف التافهة، لذلك ينبغي الاهتمام بالطفل وإحاطته بالحنان في حالة هدوئه، فذلك يورثه ثقة في النفس أثناء نموّه، ويمنحه مزيداً من السعادة.

وعندما يبلغ الطفل السنتين تبرز مشكلة تربيته من دون تدليله، ففي السنة الثانية يبدأ الطفل بإطلاق الرفض المتمثل في «اللاءات»، والسنة الثانية هي سنة صعبة؛ لأنها سنة تجارب واستقصاء، وفي السنة الثانية هذه يبدأ الطفل بالمشي والكلام، ويمثل ذلك ثورة صغيرة في طريقة حياته السابقة التي كانت تتسم بهدوء نسبي حتى هذه المرحلة.

والطفل عند انتهاء سنته الأولى يستطيع إظهار عواطفه من غضب وغيرة وحب واستياء عن طريق إشارات مميّزة واضحة.

أمّا في السنة الثانية فهو يستطيع السير إلى أماكن لم يكن حظّه منها سابقاً سوى أن ينظر إليها بعينيه، وهذا ما يمنحه ثقة في نفسه، كما يستطيع الإمساك بالأشياء وامتلاكها، وأن ينطق بالأسماء، ولا سيّما كلمة «لا».

وهذا الاستقلال الحديث للطفل ربما أضفى عليه صفة العدوانية والجرأة فأوجد موقفاً محرجاً أمام الحنان الذي تمنحه إياه الأم، ويزداد هذا الموقف إحراجاً مع استقلال الطفل الذاتي.

وفي هذه المرحلة ينبغي للأبوين اتخاذ موقف مختلف إزاء الرفض والنفي لدى طفلهما الذي يرفض، على سبيل المثال، إرجاع شيء سبق أن أخذه، أو لا يرغب في الطعام إلّا إذا حصل منهما على كل ما يريد، ومن الطبيعي أن يفضّل التعامل وإياه بطريقة وسطى لا تجعل منه طفلاً مدلّلاً ينال كل ما يرغب فيه، ولا تكبح كذلك محاولاته الأولى للاستقلال بصورة فظّة.

وعلى الأم أن تقبل استقلال طفلها الذاتي، وإنجازاته الأولى «واللاءات» التي يقذف بها في وجه كل شخص، ومن جهة ثانية فإن على الأبوين ألّا يقمعا موقف التحدي هذا بشدة، وإن قبلاه من جانب طفلهما، إذ ليست هذه المرحلة سوى مرحلة عابرة يفترض أن تزول بعد أشهر معدودات، ومهما يكن من أمر، فإن تلبية مواقف الرفض من جانب الطفل في أثناء هذه الفترة لا تعني تدليل الطفل؛ بل هي في الحقيقة جزء من نمّوه النفسي.

* * *

١٥ ـ الشِّجار

الصراع الذي ينشب بين الأشقاء ليس شرًّا كله، إذ من خلاله يتعلم الأبناء الدفاع عن أنفسهم والتعبير عن مشاعرهم، لكن إذا تطور الأمر إلى الإيذاء والاعتداء البدني هنا يلزم التدخل من قبل الوالدين، والشجار من أكثر الأمور شيوعاً في الأسرة، فلا توجد أسرة بها أكثر من طفل إلا وينتشر هذا الشجار بين الأشقاء، أو بين الأصحاب، وقد يتبعه تراض وعودة للعب في فترة قليلة وقد تطول، ويزداد هذا الشجار كلما كبر الطفل وكلما قل التقارب في السن بين الأشقاء فيزداد في مرحلة الطفولة الوسطى (من بين ٨ إلى ١٢ سنة) ويكون الازدياد في البنين أكثر من البنات، وكلما كانوا من جنس واحد، هذا الشجار يقلق الوالدين، ويفقد المنزل هدوءه حتى أن الكثير من الأمهات يفضلن العام الدراسي عن العطلة التي يبقى الأطفال بالمنزل طوال اليوم، فتعد العطلة بالنسبة لبعضهن مشكلة كبرى، وفي الواقع أنه مرحلة طبيعية من مراحل النمو، وإذا استغل الآباء هذا الشجار البسيط سيكون له آثار إيجابية فيما بعد، فقد يعلمهم كيفية الدفاع عن أنفسهم وحقوقهم، وكيف يكون هذا الانفعال سبباً في خسارة الأصدقاء إذا كان الإنسان لا يتعامل إلا بهذا الأسلوب، وما يجب عليهم نحو غيرهم من احترام رأي الآخرين وحقوقهم. . . إلى غير ذلك من الأساليب التي لا بد للأهل أن يستغلها لتربية أبنائهم تربية سليمة، ولا يتهاونون في أي موقف يمكن لهم أن يساعدهم في تربية أبنائهم.

○ أسباب الشجار:

١ ـ تفضيل أحد الوالدين طفلاً على الآخر، قد يولد البغضاء بين الأبناء، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك فقد روى النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: سَأَلَتْ أُمِّي أَبِي بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ لِي مِنْ مَالِهِ ثُمَّ بَدَا لَهُ فَوَهَبَهَا لِي فَقَالَتْ: لا

أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَنَا غُلامٌ فَأَتَى بِيَ النبي ﷺ فَقالَ إِنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْنِي بَعْضَ الْمَوْهِبَةِ لِهَذَا. قَالَ: (أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأُرَاهُ قَالَ: لا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ) [1].

فمن السلوك الخطأ أن تأخذ الأم لعبة مثلاً من أحد أبنائها وتعطيها ابنها الآخر بلا مبرر، مما يحفز هذا الابن للتشاجر مع أخيه.

٢ ـ الصراع بين الأبناء في أحيان كثيرة يحاكي الصراع الناشب بين الأبوين، فإن أطاع الابن أمه يظهر الغضب على الأب لوجود الخلافات بين الزوجين.

٣ ـ شعور الأبناء بأن الصراع الناشب بينهم يصرف أنظار الوالدين عن مشاكل أخرى بينهما.

٤ ـ مقارنة الوالدين بين الأبناء دون اعتبار القدرات بين الأبناء، فقد يكون الابن الأصغر مثلاً أكثر ذكاء، فكلما أخطأ الابن الأكبر تذكره الأم دائماً بأن أخاه الأصغر أفضل، وأنه متفوق وأنه كذا وكذا فتنشأ الغيرة والتحفز لهذا الابن الأصغر.

○ نصائح للآباء:

١ ـ ينصح خبراء التربية الآباء بعدم التدخل في المشاجرات البسيطة بين الأبناء؛ لأن في ذلك تعويداً لهما على حل النزاع دون اللجوء للآخرين، وإذا استدعى الأمر فعليهم عدم إصدار الأحكام على أبنائهم؛ لأن ذلك يشعل المنافسة بينهم أكثر؛ لأن الأب أو الأم الذي يتدخل لا بد أن يقف وينحاز بجانب أحد المتشاجرين فيعتقد الآخر أن أمه تكرهه وتحب أخاه أكثر منه.

٢ ـ العنف ضد الأطفال يزيدهم عدوانية: من الخطأ اللجوء إلى العنف

---

(١) رواه البخاري (٢٤٥٦).

والشدة في حسم الأمور؛ لأن مقاومته تؤدي في الواقع إلى تشجيع حدوثه؛ بل يمكن توجيه عقوبات خفيفة مثل عزل الأولاد في غرف عن بعضهم أو سحب اللعبة التي يلعبون بها ويتخاصمون من أجلها، ويمكن للأم أن تجعل خصومات الأولاد محطات للتوجيه نحو سلوك أحسن.

٣ ـ تحقيق العدل في المعاملة بين الأبناء، فتفضيل أحد الأبناء يغرس الغيرة والحقد بين الأبناء والسخط والنقمة على الآباء.

٤ ـ تجنب الاهتمام بإبراز الفروق بين الأطفال، وذلك لكون الطفل يقارن نفسه عادة بغيره من إخوته من حيث الجنس ذكر أو أنثى، أو من حيث السن صغير أو كبير، أو من حيث القدرات العقلية والبدنية، أو من حيث الجمال الطبيعي وغير ذلك.

ولذا من الخطأ اهتمام الآباء بإبراز هذه الفروق، وإن كان لا بد من وضع أفضلية فللخُلق والتدين والجد في الدراسة[١].

٥ ـ لا بد من غرس الشعور الديني بين الأبناء لإشباع حاجتهم النفسية من الأمن والطمأنينة.

٦ ـ عدم تسامح الآباء نحو الابن الذي يقوم بإيذاء الآخرين سواء بالضرب أو السخرية من إخوته.

٧ ـ إذا رزقك الله بمولود جديد لا بد من تهيئة الأبناء قبل ولادته.

٨ ـ العمل على اشتراك الطفل في أعمال جماعية، مثل الألعاب الجماعية، الخروج للمتنزهات.

٩ ـ عدم إصغاء أحد الوالدين للوشاية، فلا بد من منعها بكل صورها، فهي تربي الشعور السلبي لدى الطفل فيتعود أن يصل إلى حقه أو لما يريده حتى وإن لم يكن حقه بالوشاية حتى بعد أن يكبر.

---

(١) طفلك الصغير، هل هو مشكلة؟ (ص١٧٥).

١٠ ـ عمل مجلس أسري كل أسبوع أو كل شهر على الأكثر يترك فيه مساحة وقت أكبر لكل ابن أن يناقش ويتبادل الآراء بين والديه وإخوته في أي موضوع هادف.

١١ ـ مكافأة الأبناء عندما يتسامحون فيما بينهم، وعند إظهار روح التعاون فيما بينهم.

١٢ ـ استخدام الإبعاد المؤقت مع الاثنين؛ حتى يتعودا ضبط النفس.

١٣ ـ حاول أن تقضي وقتاً بشكل منفرد مع كل طفل.

* * *

١٦ ـ الخوف من الغرباء

الطفل خلال الأسابيع الأولى من حياته، يتعلّق تعلقاً وثيقاً بالأشخاص الذين يحققون له حاجاته الغذائية الأساسيّة، ولكن يستحوذ الخوف على الطفل بعد شهر واحد من ظهور هذه العلاقة، ويبدأ يخشى من الأشخاص الذين يقتربون منه مع أنه كان يقبلهم سابقاً، ونقصد بذلك خوف الطفل من الغرباء، ففي أثناء الأسابيع الأولى يتجاوب الطفل بالطريقة نفسها مع جميع الأشخاص الذين يتعاملون معه، ولكنه يشرع منذ الشهر الثالث بعملية اختيار الناس الذين يحيطون به، وتتمثل النتيجة الأولى من خوف الطفل هذا في تجاوبه البطيء مع ابتسامة الغريب.

ومع مرور الزمن يبطئ الطفل في التجاوب حتى يصل إلى حدٍّ يكفّ فيه عن هذا التجاوب، ويستبد به خوف شديد من الغرباء بين الشهرين الثامن والثاني عشر.

والحق أن هذا النوع من عمليّة الاختيار الاجتماعي يدفع الطفل إلى مزيد من التعلّق بأسرته وبالناس الذين يحيطون به كل يوم، وواقع الأمر أن رفض الطفل أو قبوله للناس، وقدرته على التمييز بين الأشخاص، كل ذلك يعتمد على استجابته للمعلومات المتوافرة لديه عنهم.

ومهما يكن من أمر فيجب ألّا نتوقع من الأطفال جميعاً أن يكون لديهم ردّ فعل واحد، فبعضهم يبتسم في وجه الغرباء من دون إبطاء، ومن جهة ثانية فإنّ الطفل وإن كان قادراً على تمييز أمّه منذ اللحظات الأولى من حياته، إلّا أنه لا يشعر بفقدانها إذا هي غابت عنه، فهو إذن قادر على تمييزها حاضرة دون تذكرها غائبة، وعلى هذا فهو لا يستطيع اتخاذها معياراً لمقارنتها مع غيرها.

والخوف من الغرباء ينشأ لدى الطفل عادة في الشهر التاسع تقريباً، وربّما

نشأ بعد الشهر التاسع، وهذا يعتمد على عوامل مختلفة تتصدّرها علاقته بأمّه.

كما أن الناس الذين يتصلون بالطفل أو يرعونه قد يسرعون أو يؤخرون تماسه ودخوله إلى العالم الخارجي، هذا وإنّ رفض الطفل لهذا الاتصال بالناس لا يدلّ على موقف ثابت من جانبه إذ يتغيّر هذا الموقف في البيئة أو الوسط الذي يعيش فيه وذلك بحسب الأشخاص، والأشياء التي يتصل بها.

وتعدّ هذه قاعدة أساسيّة تؤثّر في مراحل التعليم كافة التي يمرّ بها الطفل، فقدرة الطفل على النموّ، وتصوّر الأشخاص الذين اعتاد التعلّق بهم حتى في أثناء غيابهم، والأمان الذي يستمدّه من هذا التعلّق، وكذلك محاولاته الأولى للاستقصاء والاستقلال الذاتي، كلّ ذلك يقرّبه بصورة متزايدة من مواقف جديدة، ومن أناس لا يعرفهم.

ونتيجة لذلك يتناقص خوف الطفل من الغرباء بصورة طبيعية وجادّة، وتستمر أمّه بأداء دور جوهري خلال هذه المرحلة من الخوف والعداء نحو الغرباء، والحقّ أن الأمّ هي التي تستطيع إرشاد طفلها ودفعه إلى خبرة اجتماعية أكثر نضجاً، وهي التي تعرّفه أيضاً على خبرات عاطفية جديدة عليه تساعده على الاختيار، وتمنحه الثقة اللازمة لتنفيذ هذه المحاولات الأولى في التكيّف الاجتماعي، ومن جهة ثانية فإن أحد العوامل المهمّة التي تسهم في دخول الطفل إلى المجتمع هي ظاهرة الاندماج الاجتماعي، تلك الآلية العفويّة واللاشعوريّة التي تدفع المولود الجديد إلى تبني شكل معيّن من السلوك. فإذا كان الطفل ذكراً وجب على الأب أن يؤدّي دوراً بارزاً في عملية إدماج ابنه في المجتمع، أمّا إذا كان المولود الجديد أنثى فتلك مسؤولية الأم.

والحق أن من واجب الأبوين تبادل هذين الدورين النموذجيّين قدر المستطاع حتى يتمكنا من دفع ابنهما إلى الدخول في المجتمع بصورة سليمة.

■ ■ ■

١٧ ـ الانطواء

من المشاكل التي يعاني منها الآباء اتصاف الابن بالانطوائية، فيجدوا ابنهم منطوياً على نفسه ولا يشارك الأطفال في لعبهم، ويفضّل العزلة، ولا يقوم باللعب مثل الأطفال الذين في مثل سنه، ومع الأسف الشديد أن بعض الأهل يظن أن هذا الطفل طبيعي وأنه كبير إلى مثل هذه الظنون، والواقع أن الأهل إذا لم يدركوا المشكلة وعلاجها مبكراً فقد تكون المشكلة أكبر وأعسر فيما بعد.

* وينبغي أن يعلم أن الطفل ما دام صغيراً فيمكن علاج الأمر بسهولة.

○ **العلاج:**

١ ـ أن يساعده الأهل على ممارسة الألعاب الجماعية، وهي من الطرق المثلى لعلاج حالتي الانطواء والعنف عند بعض الأطفال، فالتربية الرياضية أثبتت التجارب النفسية أنها من أفضل السبل لتنشئة جيل تقل فيه حدة العنف والصدمات، وذلك لأنها توَصل في نفوسهم جذور التعاون والثقة في الآخرين.

٢ ـ إن طاقة العنف كامنة في نفس كل إنسان بالفطرة، وإن الرياضة بمختلف أنواعها هي المتنفس الطبيعي لها، وعلى الأخص الألعاب الجماعية التي تعوّد الطفل على التآلف والتعاون مع الآخرين، وذلك لأنها تكسب الفرد الشعور بالمسؤولية تجاه غيره.

٣ ـ ومن الوسائل الهامة في علاج مثل هذه الحالات، هي إهداء الطفل حيواناً أليفاً مثل عصفور أو ببغاء أو حمامة يشرف عليه بنفسه، ويفضل أن يُترك الاختيار للطفل، وهذا ينتج عنه علاقة ألفة وثقة وتعاطف لا

تلبث أن تتحول إلى طابع الطفل الوجداني ومزيد من ثقته بالناس وتدفعه إلى التعاون معهم برقة وأمان.

❁ ❁ ❁

١٨ ـ مص الأصابع

يعاني بعض الآباء من مشكلة اعتياد أبنائهم على عادة مص الأصابع، وإذا ما وجهوا النصح لهم فإنهم يتركون هذه العادة لدقائق، ثم يعودون لها وبشكل لا شعوري.

والحقيقة أن عادة مصّ الأصابع من أشهر حركات الأطفال، وهي مقبولة في الطفل كسلوك طبيعي حتى نهاية السنة الأولى من عمره، فكثيراً من الأطفال في السنة الأولى يمص إصبعه وهذا أمر عادي، ويكون دور الأم في هذا الوقت هو محاولة شغله عن هذه العادة، فتبعد إصبعه عن فمه كلما رأته يمصّ إصبعه أو تعطيه لعبة يتلهَّى بها، وبعض الآباء يظن ابنه إذا مص إصبعه فإنه يعاني من مرض نفسي، وهذا خطأ طالما أنه في عامه الأول.

أما في السن الكبيرة مثل ٤ سنوات، فإن الأمر لا يؤخذ على أنه سلوك طبيعي، ولكنه يدخل ضمن ما يطلق عليها العادات العصبية، وهي حركات يعبِّر بها الطفل عن وجود ضغط نفسي أو صراع داخل الطفل، ومن أشهر هذه العادات وأكثرها حدوثاً هي مصّ الأصابع؛ بل بعض الآباء يعتقد خطأ أن الطفل بعد دخوله المدرسة سيتم علاج المشكلة، والواقع والصواب أنه لا بد من الإسراع بعلاج المشكلة فوراً؛ لأنه إذا استمر الحال إلى دخوله المدرسة مع عدم تعويد الطفل على ترك هذه العادة منذ السنة الأولى، أو استمر به الحال إلى السنة العاشرة أو الثالثة عشرة وهو ما زال يعتاد مص الأصابع فهنا يكون الخطر، وفي هذه الحالة نقول إن هذا الطفل مصاب بمرض نفسي ويجب علاجه، وعادة ما يصاحب ذلك الإغراق في أحلام اليقظة والاكتئاب والسرحان والانطواء والعزلة، وسيؤدي ذلك لزيادتها وثبوتها كعادة أصيلة فيه، كما أن دخول المدرسة بهذه العادة قد يزيدها تفاقماً مع تعليقات الأطفال وملاحظتهم، وهناك حالات تستمر فيها المشكلة حتى العشرينيات من العمر.

○ **والعلاج يسير في الخطوات التالية:**

١ ـ محاولة التخلص من العادة نفسها، وذلك بالتركيز في نهي الطفل عن هذه العادة، وتذكيره دائماً بأن هذا السلوك مرفوض.

٢ ـ استعمال أسلوب المكافأة، كلما أقلع الطفل عن هذه العادة يتم مكافأته بهدية أو خروجه لبعض المتنزهات.

٣ ـ يجب الابتعاد تماماً عن أسلوب العقاب الشديد؛ لأنه غير مجدٍ؛ بل أحياناً ضار، ويلجأ الطفل للعناد.

٤ ـ يمكن أن يلبس الطفل قفازاً أثناء النوم واللعب حتى يساعده على التخلص من هذه العادة.

٥ ـ استعمال نوع من المواد ذات الطعم المنفِّر مثل الصبَّار يوضع على الإصبع؛ حتى يتولَّد عند الطفل رد فعل عكسي بكراهية هذه العادة لارتباطها بالطعم السيئ.

٦ ـ إيجاد أصدقاء حتى لا يشعر الطفل بالوحدة، وشغل وقت الفراغ دائماً بألعاب وهوايات معينة ننمِّيها في الطفل، حتى يجد ما يحقق ذاته من خلالها.

❁ ❁ ❁

١٩ ـ تهيئة الطفل لدخول المدرسة

المدرسة أو دور الحضانة تجربة جديدة في حياة كل طفل لذا ينادي علماء النفس وأساتذة طب الأطفال بضرورة تهيئة الجو المناسب للأطفال لتقبل هذه المرحلة الانتقالية في حياتهم، مما يشجعهم على التعلق بالمدرسة والاختلاط بالآخرين بدلاً من الخوف من المواجهة والانطواء.

يقول أحد هؤلاء الاختصاصيين: إن إعداد الطفل للمدرسة يشكل إعداده بدنيًا ونفسيًا لهذه التجربة الجديدة في حياته، وحتى يستفيد الاستفادة المثلى من وجوده بالمدرسة لا بد أن يكون قادراً على التحصيل واستيعاب ما يتلقاه من معلومات بطريقة سهلة ميسرة.

ويتضمن ذلك قدرته على الإبصار السليم حتى يستطيع أن يرى ما يكتب، وأن يطالع ما بين يديه من كتب، لذلك يجب اختبار قوة إبصاره قبل الالتحاق بالمدرسة، فإذا كان يعاني من أي قصر أو طول في نظره يجب الإسراع بعمل نظارة مناسبة له، حتى لا يُساء تفسير ذلك بعجزه عن ملاحقة أقرانه في القراءة والتحصيل مما يؤدي إلى عقابه، وبالتالي إلى شعوره بمركب نقص يدفع به إلى كرهه للمدرسة ومعلمته.

كما يجب أن تجرى له اختبارات السمع حتى نضمن له القدرة على الاستماع لكل ما يحدث حوله في الفصل والتجاوب معه بطريقة مناسبة حتى لا يعاقب على ذنب لم يرتكبه.

كما يجب أن يُعْرض الطفل على طبيب مختص لعمل فحص كامل له لاكتشاف أي مشاكل صحية قد تؤدي به إلى سرعة إحساسه بالتعب وعدم قدرته على الجري واللعب والحركة مثل أقرانه من الأطفال.

فالطفل الذي يعاني من أي مرض سواء كان بالقلب أو أي مرض خلقي

مثل وجود فتحة بين البطينين، أو بعض الأمراض المكتسبة مثل الروماتيزم أو صمامات القلب فإنه يشعر بالتعب عند القيام بأبسط مجهود مما يمنعه من الاستمرار في أداء أي عمل، وهذا بالتالي يؤدي إلى شعوره بالعجز حين تتم المقارنة بين قدراته وقدرات أقرانه.

أما عن الإعداد النفسي للطفل فيؤكد الاختصاصيون على أهمية الإعداد النفسي له وذلك بتضافر جهود الأسرة مع المدرسة كي تصبح المدرسة مكاناً محبباً يسعى إليه الطفل ويرتبط في ذهنه بكل ما يسعده من ألعاب وأنشطة.

ويحذر علماء النفس الأمهات من محاولة تخويف أطفالهن بالمدرسة أو تهديدهم بإبلاغ المدرسة بما ارتكبوه من أخطاء في المنزل؛ لأن ذلك يؤدي إلى عقدة أبدية بين الطفل ومدرسته.

○ تقصير الابن في واجباته المدرسية:

مع بداية العام الدراسي تبدأ مشاكل الأولاد وأهمها:

الهروب من عمل الواجبات المدرسية بالرغم من الجهد الذي يبذله الآباء في محاولة أن يبدأ الابن بداية جيدة في عام دراسي جديد إلا أن الابن يحاول أن يهرب من الواجب بكل الطرق.

فقد يتفنن الطفل في ضياع الوقت بأن يبري القلم مرة كل كلمتين أو يشطب الجملة ويعيد كتابتها مرة أخرى، أو أن يذهب إلى دورة المياه كل ربع ساعة، أو أن يطلب الأكل أكثر من مرة، وكل هذه محاولات لتضييع الوقت، ثم يبكي الطفل وذلك لأن الوقت ضاع وأنه تعب من الكتابة، فهو باختصار يفعل كل شيء لكي يهرب من الواجبات المدرسية، وهذا الطفل في المدرسة لا يستطيع أن يكمل كتابة الدرس، ويحاول الآباء أن يساعدوا طفلهم فيكتبون له الواجب رغم أن الأغلبية من هؤلاء الأطفال أذكياء.

والواقع أن هؤلاء الأطفال في حاجة إلى مساعدة نفسية وليست مساعدة في حل الواجب أو كتابة الدرس له كما يقرر ذلك علماء النفس.

فالآباء عندما يرون ابنهم مقصراً في حل واجباته رغم توفر كل وسائل الراحة له فإنهم يعتقدون أنه مهمل، والواقع أن عدم الاهتمام به يعطيه عدم الثقة بنفسه؛ فينعزل عن أصدقائه أو يغرق في مشاهدة التليفزيون أو العدوانية ويصبح حساساً جدًّا، ويمكن أن يتقلب إلى طفل مشاغب في المدرسة.

○ **ولعلاج مثل هذه المشكلة نتبع الطرق الآتية:**

- على الأم أن تعطيه الاهتمام مثل أخوته تماماً وأن تعدل بينهم.
- كذلك عليها أن تعطيه الثقة بالنفس، فإذا نجح في عمل في البيت تجعله يكرره مرة أخرى.
- عليها أيضاً أن تهتم بملابسه وتبدي إعجابها بما يختاره.
- وأن لا تلقي العبء عليه وحده؛ بل تجعله يشعر بالمساعدة منها.
- على الأم أن لا تؤنبه إذا أخطأ في شيء.
- إذا حصل على درجات عالية عليكِ أيتها الأم أن تفتخري به بين أصدقائه، بدون مبالغة في المديح حتى لا يشعر أنه عملية مفتعلة.

○ **وهناك بعض الإرشادات لنجاح الابن في المدرسة:**

هذه مجموعة من الإرشادات لكل أم لتضع ابنها على طريق النجاح وهي:

- عوِّدي طفلك على تلاوة بعض آيات القرآن الكريم عند بداية المذاكرة، مع المحافظة على ورده اليومي.
- احرصي على إيجاد دافع لدى ابنك للاستذكار والانتباه.
- اتبعي أسلوب المتابعة لا التلقين في مساعدة ابنك على المذاكرة.
- مداومة بث الثقة بالنفس في ابنك.
- هيئي ابنك للاستذكار وذلك باختيار الوقت المناسب حيث لا يكون متعباً أو حزيناً، أو مكتئباً.

- احرصي على تهيئة مكان الاستذكار لابنك بشرط أن يكون بعيداً عن الضوضاء، واتباع أسس الإضاءة الصحيحة بحيث لا تكون ضعيفة تبعث على النوم وتجهد العين، وقد تسبب في بعض الأحيان التوتر والنفور وتضعف التركيز، مع مراعاة وضع الإضاءة على اليسار.
- اجعليه يرتب مكتبه بشرط أن يحتوي على الكتب التي قرر استذكارها فقط فهي التي توجد فوق المكتب، واجعليه يجهز كل أدوات المذاكرة قبل الجلوس.
- عودي ابنك على عدم الإقبال على المذاكرة سواء وهو جائع أو متخم بالطعام.
- عودي طفلك على الجلسة الصحيحة أثناء الاستذكار وهو الوضع العمودي مع الميل قليلاً إلى الأمام وعدم الانكفاء على المكتب، والجلوس على كرسي لا لين ولا خشن، وتجنب المذاكرة أثناء الاستلقاء على السرير.
- دربي طفلك على بداية المذاكرة بالاطلاع على العناوين والأفكار الرئيسة، ثم الدخول في تفاصيل الدرس بعد ذلك.
- الابتعاد عن مذاكرة مادتين متشابهتين على التوالي؛ لأن ذلك يسبب النسيان والتداخل.
- أرشدي ابنك على ضرورة فهم الدرس جيّداً قبل الشروع في حفظه؛ لأن الفهم الحقيقي يحقق حفظاً سريعاً ويسيراً.
- امنحي طفلك راحة خمس دقائق كل ساعة استيعاب؛ فهي وسيلة مفيدة للتلاميذ ومضاعفة للتركيز.
- لا بد من الاسترجاع أو حل الأسئلة على الدروس بين الحين والآخر[1].

ومن المفيد أن نقرر أن هذا العلاج يحتاج إلى وقت طويل لكي يتغير الطفل» وينتقل إلى الأحسن.

---

(١) هدي المهدي، الأهرام ١٩ سبتمبر ٢٠٠١م.

٢٠ ـ إعطاء المصروف

إعطاء المصروف للأولاد عادة متبعة من الآباء للأولاد، وهي تربي الأبناء على تقدير نعمة المال وحسن تدبيره، وتجعله يوازن في الإنفاق دون إسراف أو تقتير إذا أحسن الآباء التوجيه؛ ولكن رغم هذا فهي تخلق متاعب كثيرة للوالدين، فقد يمر الوالدان بأزمة مالية ولا يُقدِّر الأبناء ذلك؛ بل يصرون على المصروف، وقد يكون للمصروف بعض الجوانب السيئة للأبناء منها:

أن الطفل يعتاد اكتساب المال بسهولة، وبدون كد أو عناء مما يجعله يتخلى عنه بسهولة، وهذه عادة النفس البشرية، فكل ما أتى بسهولة استغنت عنه بسهولة، وأيضاً يعتاد الإسراف وعدم ادخار المال، فينفق كل ما يكتسبه، وقد يلجأ إلى السرقة إذا قَصَّر والديه في إعطائه المصروف.

ولعلاج هذه السلبيات وجعل المصروف ذات فائدة للابن ينصح بالآتي:

- يجب عدم جعل المصروف رشوة فلا يُعطى الابن المصروف مقابل طاعة الوالدين أو المذاكرة أو عمل شيء ما؛ لأن ذلك يجعل الابن يشعر أنه يأخذ هذا المال مقابل عمله، وبذلك نجعلهم ماديين لا يشعرون بأي نوع من العاطفة والانتماء للأسرة.
- يجب عدم إعطاء الطفل مالاً بدون سبب؛ بل لا بد للبحث عن سبب، فيعطى مثلاً لأنه حفظ سورة جديدة من القرآن، أو لأنه حصل على درجة كبيرة في الامتحان وهكذا.
- لا بد من تعويد الطفل على الادخار، فمثلاً تشتري له الأم حصالة نقود ليضع فيها بعض ما يأخذه، فتعوّد الطفل على صرف كل ما يملكه عادة قبيحة، وكي تشجع الأطفال على التوفير، فلنجعلهم يشترون ألعاباً وأشياء مهمة لهم مما وفروه.

- يجب تعويد الأبناء منذ الصغر على الإنفاق في سبيل الله، وذلك بتشجيعهم على إعطاء الفقراء والمحتاجين.
- يجب عدم تعويد الطفل على أن يكافأ بالمال؛ فالثواب يكون مرة بالمال ومرة بالمديح وهكذا؛ حتى لا ينشأ الابن ماديًّا.
- يجب أن لا يكون العقاب بحرمان المصروف؛ لأنه يساعد على اختلاط معنى المال، وتصبح علاقة الطفل بالأسرة علاقة مادية لا يربطه بها أي نوع من الحب.
- يجب مراقبة استخدامات المصروف عند الأولاد حتى لا يستخدمونها في أشياء تجلب لهم المضرة خاصة في سن المراهقة.
- يجب أن لا يعطى الابن المصروف المبالغ فيه؛ لأنه يجعله مبغوضاً بين أصدقائه في المدرسة غير القادرين، وأيضاً تعلمه الزهو بالمال.

■ ■ ■

٣١ ـ السرقة

تعد مشكلة السرقة للأطفال مشكلة اجتماعية خطيرة؛ لأنها قد تكبر مع الطفل فتوقعه في مشاكل جمة؛ لذا فمن الضروري معالجتها بأسرع ما يكون، والعلاج يتضح جليًّا في دور الأسرة، ولكن لا بد أن نعرف أسباب المشكلة لعلاجها.

○ أسباب السرقة:

١ ـ يسرق الطفل؛ لأنه لا يستطيع التمييز بين مفهوم الملكية الخاصة به وملكية الآخرين.

٢ ـ البعض يسرق بسبب الحرمان من أشياء تتوفر للآخرين.

٣ ـ للانتقام من الوالدين أو لفت انتباههما.

٤ ـ لفقد القدوة فيلتمسها من التليفزيون فيقلد المسلسلات والأفلام.

○ الوقاية والعلاج:

١ ـ التزام الهدوء: بدلاً من التوبيخ والتعيير حافظ على الهدوء فالموقف فرصة لأن تعلم ابنك.

٢ ـ وعظ الطفل: بيِّن له حكم السرقة في الإسلام، وأن الله قال في كتابه العزيز: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا . .﴾ [المائدة: ٣٨] وأن النبي ﷺ أخذ العهد في بيعة النساء أن لا يسرقن كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ . .﴾. وذكِّر طفلك بمراقبة الله ﷻ. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ . .﴾ [الحديد: ٤] وقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ٩٨]. وقل له: إن الله يراك ولو سرقت خفية بعيداً عن نظر الناس لأنه تعالى: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧].

٣ ـ واجه الطفل: ينبغي أن تواجه الطفل بالسبب والباعث له على السرقة كأن تقول له: أنا أعرف أنك أخذت الحلوى من السوق المركزي، وأنت أخذتها لأنك تشعر بالحاجة إليها، ولكن سرقتها ليست الحل، المرة القادمة إذا رغبت في شيء تحدث معي أولاً، أنا أعرف بأنك تحب أن تكون أميناً، وحاول أن تضع الطفل موضع الآخرين لو كنت مكان الشخص الذي سُرقت منه الحلوى كيف ستشعر؟.

٤ ـ تشديد الجزاءات: كأن يطلب من الطفل إرجاع الشيء المسروق مع الاعتذار، أو تعويض قيمته في حال إتلافه مع الحرمان من الامتيازات في المنزل، مع ملاحظة البعد التام عن تعيير الطفل بذلك من الأب أو الآخرين.

٥ ـ مراقبة الطفل وعدم إغفاله لفترات طويلة[١]،

* * *

(١) انظر: كتاب تنوير العباد بطرق التعامل مع الأولاد، د. حامد نهار المطيري (ص٢٧).

٢٢ ـ الكذب

الكذب آفة في الصغير والكبير وهو من أبرز ما يزعج الوالدين عندما يظهر في أبنائهم، وذلك لما للصدق من أهمية كبيرة، فقد حث عليه الرسول ﷺ حيث قالَ ﷺ: (إِنّ الصّدْقَ بِرّ. وَإِنّ الْبِرّ يَهْدِي إِلَى الْجَنّةِ. وَإِنّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرّىَ الصّدْقَ حَتّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدّيقاً. وَإِنّ الْكَذِبَ فُجُورٌ. وَإِنّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النّارِ. وَإِنّ الْعَبْدَ لَيَتَحَرّىَ الْكَذِبَ حَتّى يُكْتَبَ كَذّاباً)(١).

وأسباب انتشار الكذب بين الأطفال كثيرة منها:

١ ـ قد يتعمد الكذب كي ينجو من العقوبة، وخاصة إذا كان الوالدان يتعاملان معه بقسوة.

٢ ـ ميل الطفل للتضخيم والمبالغة بغرض التباهي.

٣ ـ عدم القدرة على التفريق بين الحقيقة والخيال، لا سيما في حق طفل ما قبل المدرسة.

٤ ـ قد يكذب الطفل تقليداً للكبار، إذا كانوا يكذبون أمامه حتى وإن كان الكذب في شيء يعتقد الأب أو الأم أنه تافه.

٥ ـ يكذب الطفل إذا اعتقد أن الصدق لا ينفعه، وقد يعزز هذا الاعتقاد فعل الآباء.

○ العلاج:

١ ـ يجب على الأهل أن يكونوا قدوة صالحة أمام أطفالهم، فيُلْتزم الصدق سلوكاً مع محاولة تعليمه للأبناء في كل فرصة.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٠٧).

٢ ـ الأفضل أن لا يُكره الأطفال على قول الحقيقة؛ لأن مثل هذه الطريقة تجبر الطفل على الكذب مرة أخرى لينجو من الموقف.

٣ ـ يواجه الطفل بطريقة إيجابية فلا تطلق لفظ: (أنت كاذب) أو تنقد الطفل؛ لأن مثل هذا الأسلوب يدفع الطفل إلى الانتقام، ويقلل من التقدير، ولكن بدلاً من ذلك نتفاعل معه بهدوء ونفهمه كذبه دون التصريح به.

٤ ـ لا بد من معرفة أسباب الكذب والعمل على تجنب هذه الأسباب، وعدم القسوة على الطفل في علاج المشكلة.

٥ ـ استخدم أسلوب التأديب المناسب فالطفل ينبغي أن يعرف شيئين وهما: أننا نفخر بهم إذا كانوا صادقين. والشيء الثاني أن الكذب يترتب عليه مضاعفة العقوبة.

٦ ـ مكافأة الطفل على الصدق سواء كانت المكافأة مادية أو معنوية حسب رؤية الأهل.

* * *

٢٣ ـ التوأم

الأولاد رزق من عند الله، وقد يرزق البعض بتوأم، مما يدخل البهجة على كثير من الآباء؛ ولكن كثيراً من الآباء يبالغ في تحقيق التشابه بين التوأم إلى أقصى مدى، وهذا خطأ كبير.

تقول دراسة جديدة لعلماء النفس: إن هذا الأمر قد يبدو لوناً من التسلية والترفيه غير أن الأمر أهم من ذلك بكثير، فقد يؤثر تأثيراً سيئاً للغاية في مستقبل الطفلين، كما أن الأبحاث التي أجريت على التوأم الكبار وتعقب حياتهم منذ الطفولة المبكرة أسفرت عن هذه الحقائق:

- من الممكن أن يستمر التشابه في ارتداء الملابس مثلاً حتى سن الثالثة لكن استمرار التشابه بعد ذلك يشكل خطراً على الشخصية بعد أن تنمو في كل منهما عادة لفت الأنظار بالتشابه الكامل.
- تربية الطفلين التوأم باعتبارهما شخصاً واحداً تربية تنطوي على المخاطرة بنمو الشخصية كما ينبغي أن تكون، فالتوأم في العادة ينمو مع كل منهما «إحساس التوأم» وهذا معناه اعتماد كل منهما على الآخر.
- كذلك أثبتت الأبحاث التي أجريت على عدد كبير من التوائم أن التوأم اللذان تقتضي ظروف الحياة التفرقة بينهما في الكبر كالزواج أو العمل يواجه كل منهما مصاعب شديدة في حياتهما بسبب اعتماده على الآخر.
- لذلك ينصح العلماء كل أم لطفلين توأم تجنباً لمشاكل المستقبل بأن تبتعد عن إطلاق الأسماء القريبة من بعضها في النطق، وأن تبتعد بهما دائماً عن التشابه في الملبس، وأن تترك لكل منهما حرية اختيار لعبته وهوايته وأن تشجعه على ذلك.

وفيما يلي تقدم برنامجاً عمليًا لتربية الأسرة، يشتمل على قواعد وأساليب متنوعة في التربية على الوالدين انتهاجها ليساعدهما في التربية السليمة.

برنامج عملي لتربية الأسرة[1]

١ ـ البرنامج وضع لأفضل أسرة ننشدها، ومع ذلك فينبغي تطبيقه تدريجيًا وعدم الاستعجال فيه.

٢ ـ مَنِ استطاع أن يتمثل بجزء منه، فلا ينبغي له أن يفشل أو يصاب بإحباط في عدم قدرته على تنفيذ البرنامج بأكمله؛ بل يجب أن لا يثبط ذلك من همته وأن يأخذ بقول القائل: ما لا يدرك كله لا يترك جله.

٣ ـ أهمية تكوين مجالس أسرية بين الأقران لمدارسة المسائل التربوية المستجدة، وكيفية معالجتها للوصول إلى أفضل النتائج.

٤ ـ ضرورة الاستفادة من خبرات الآخرين في المجالات التربوية العامة.

٥ ـ برنامج عملي: يفضل أن يكون يومك موزعاً توزيعاً مناسباً، فهناك أوقات الاجتماع، وأوقات العبادات ـ وهي فرص لا تعوض للتعليم والتربية ـ هناك أوقات خاصة لمراجعة الدروس المدرسية، وأوقات أسبوعية للتربية البدنية والعقلية، وهناك مناسبات طارئة أو مشاكل ينبغي أن لا تفوت بدون تصحيح وتعليق مناسب.

○ الخطوة الأولى: الوسائل العامة للتربية:

١ ـ القدوة:

- القدوة قد تكون بالفعل أو القول فإذا كانت بالفعل، فيلزم المربي ألا يفعل ما يخالف الشرع أو يعمل ما يخالف قوله ويحرص على المسابقة إلى عمل الخير قبل الدعوة إليه ليكون أدعى للقبول، وإن وقع من المربي خطأ علناً فيصحح ذلك علناً ولا يحاول التنصل منه، أو التكلف في تبريره.

(١) البرنامج من إعداد الأستاذة آمنة اليحيى.

- أما إذا كانت بالقول، فلا يقول المربي ما يخالف الشرع كالكذب والنميمة والسخرية، ويحرص على ذكر الله والدعاء والكلام الطيب الحسن، وهذا الموضوع قد استوفيناه من قبل عند الكلام على طرق التربية في محيط الأسرة فليراجع.

٢ ـ الموعظة:

- ربطهم بالله ﷻ ببيان أسمائه وصفاته وعظمته وقدرته.
- تذكيرهم بضعف الإنسان وعجزه، ونعم الله عليه في خاصة نفسه ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١﴾ [الذاريات: ٢١].
- بيان صفة الجنة والنار.
- بيان أحوال الآخرة والموت والقبر، ومحاولة الربط بما يحدث يوميًا من وفاة وولادة.
- بيان عقوبة المعاصي العاجلة والآجلة، ويشار إلى هلاك الأمم الماضية بسبب عصيانهم لله ﷻ.
- استغلال الأحداث والمشاهد للموعظة، وهي كثيرة جدًا، كالزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات. فمثلاً: المطر لو دام على الناس، لهلكوا بالغرق، والرياح لو اشتدت لألحقت الدمار بالمال والأنفس، ولو لم تهب لتعطل تلقيح أغلب الثمار.

٣ ـ القصص:

- تحديد الهدف من إيراد القصة قبل قصها، فالمربي يجب أن يكون في ذهنه القصد الذي من أجله سيسوق القصة قبل إيرادها.
- عرض القصة بأسلوب يناسب السن والفهم، مع أسلوب التشويق والعرض الجيد والبعد عن القصص الخيالي المتكلف.
- التوقيت المناسب لعرضها مع التعليق على الهدف والشاهد الذي من أجله سيقت القصة.

- تجنب عرض مواقف خاطئة بدون ذكر الصواب فيها، مثل بعض القصص التي تذكر الكذب أو السرقة أو الاعتداء على الآخرين.
- التركيز على قصص القرآن والسنة والسلف الصالح.
- صياغة عامة الأساليب التربوية بالقصة إن أمكن.

٤ - ضرب الأمثال:

- حفظ الأمثال الواردة في الكتاب والسنة وأقوال السلف.
- استحضار الهدف من ضرب المثل.
- مراعاة حال السامع وقدرته على الفهم.
- التعقيب بالحكمة التي من أجلها ضرب المثل بعد الانتهاء منه مباشرة.
- أن يكون المثل من الأشياء المحسوسة أو المُسَلم بها لدى السامع.
- الاختصار مع الوضوح وعدم الإغراق في الخيال عند اختيار المثل.

٥ - أسلوب التكرار:

- التذكير بأن النبي ﷺ كان يكرر ثلاثاً في التعليم.
- أن يصحب التكرار الوضوح والبيان.
- يراعى عدم الإملال بالتكرار إذا حصل المقصود من الحديث.

٦ - الترغيب والترهيب:

- تذكيرهم بعظمة الله فلا يكون الخوف من المربي، مع إشعارهم باطلاع الله عليهم.
- تخويفهم بعقوبة الله لمن خالف أمره. فكم أمة سادت، ثم بادت وكم من أمة غنيت ثم ألبسها الله لباس الجوع والخوف.
- تخويفهم من نتائج الخطأ، وبيان مغبته لا سيما ما كان منها مجرباً. مثال: لو أشار إلى أخيه بالسكين، نبين أن بعض الناس فعل ذلك فجرح أخاه، ثم كانت النتيجة كذا وكذا... إلخ.

- تعليق الأسرة بثواب الله ورجائه في العاجل والآجل.
- الوفاء بالموعود به والمرغب فيه في حينه، وإن كان يفضل عدم تحديد وتسمية المكافأ به، أو تحديد دقيق لوقته تلافياً للإحراج؛ لأن المربي قد لا يجد السلعة التي وعد بها أولاده، أو ينشغل عن إحضارها في الوقت المحدد لها.
- تجنب الترغيب بالمستحيل أو ما لا يمكن الوفاء به.

٧ ـ أسلوب العقاب:

- العقوبة بهجره، أو منعه من شيء محبب إليه، أو تعنيفه، أو ضربه، مع ملاحظة عدم إجراء العقاب قبل تعريف المعاقب سبب العقوبة.
- يفضل عدم الإكثار من استخدام العقوبات ما أمكن غيرها، مع الأخذ بالاعتبار أن تكون العقوبة علاجاً للحالة المرادة.
- عدم التجاوب مع الخطأ وترتيب العقوبة عليه مباشرة؛ بل يكون ذلك بعد الهدوء وزوال الغضب واختيار الأسلوب المناسب، وإن تأخر المربي في ترتيب العقوبة يوماً كاملاً فسيجد فرقاً شاسعاً بين ما قرره من تأديب بعد علمه بالخطأ وبين ما تقرر عنده بعد ذلك، وقد تم بيان العقوبة من قبل عند الحديث عن التربية بالثواب والعقاب.
- تجنب التهديد بما لا يمكن تنفيذه.
- عدم الإيلام الشديد في كل عقوبة أو تكرارها فيتسبب بذلك موت إحساس المعاقَب.
- التخويف بالعقاب أبلغ من العقاب في كثير من الأحيان لا سيما مع الصغير.
- مراعاة التناسب بين العقوبة والخطأ.
- التفريق بين الخطأ المادي (كإتلاف آلة أو إناء) والأدبي، والشرعي.

○ **الخطوة الثانية: الوسائل الخاصة للتربية:**

أولاً: وسائل التربية الدينية:

١ - **اختيار الزوج الصالح أو الزوجة الصالحة:** فهو الشطر الثاني من إدارة المنزل والساعد الأيمن لتنفيذ البرامج، والقاعدة الأساسية التي يقوم عليها البناء وبذر الخير في الذرية، لذا فلا بد من التعاون بين الزوجين في الإصلاح والتعليم والشعور بالمسؤولية والتدرب على حملها وإعطائها اهتماماً وافياً، وكسر الحواجز بين الزوجين.

٢ - **العبادات:** يغرس في نفوس الأولاد أهمية العبادة وأدائها على أحسن وجه، ويوضح لهم فضل ذلك، فيربون مثلاً على إحسان الوضوء، والطمأنينة في الصلاة، واصطحابهم إلى المسجد، وتعليمهم احترام المسجد وآدابه، كما يحرص المربي على أداء النافلة في البيت لتعليم الأطفال صفة الصلاة.

٣ - **تدريب الصغار على الصوم:** ولو بعض الأيام مع الحوافز لتشجيعهم على ذلك.

٤ - **استغلال مناسك الحج والعمرة:** وذلك بالتوجيه وبيان قصة بناء البيت وعظمته وثواب الحاج والمعتمر.

٥ - **تهيئة مكان هادئ في المنزل للعبادة:** كالصلاة ودروس القرآن وغير ذلك.

ثانياً: وسائل التربية الخلقية:

١ - **التعريف بالآداب والأخلاق الإسلامية:** مع ذكر أهميتها من الكتاب والسنة حتى ترسخ في أذهان أفراد الأسرة ولو حاول ترغيبهم في حفظ ما يدل على هذا من آية أو حديث كان عظيم النفع.

٢ - **التعريف بالأخلاق المذمومة:** وبيان ضررها والتحذير منها وتوضيح ما ورد عنها من أدلة الكتاب والسنة والتدريب على حفظها.

٣ - **تعويدهم على الأخلاق الفاضلة من الصغر:** مثل تعويدهم على تجنب

الأشياء الضارة في الأكل والشرب، والأكل باليمين، وعدم التساهل معهم عند استخدام اليد اليسرى، وتعليمهم آداب قضاء الحاجة، وتدريبهم على آداب النوم والاستيقاظ، مع مراعاة تقديم الأهم على المهم في الأخلاق والآداب.

٤ ـ المبادرة في علاج الخلق السيئ حين اكتشافه: والبحث عن مصدر اكتسابه، واختيار العلاج المناسب حيال ذلك.

٥ ـ مراعاة الفوارق بين الأبناء عند تعليمهم لأي خلق: فيراعى في الولد عمره: صغير، مميز، مراهق، بالغ.

وتراعى نفسيته: صحيح الجسم، مريض، معاق، ذكي، غبي، سريع الاستجابة، معاند، مراوغ، سريع التأثر، وتراعى أيضاً ثقافته.

٦ ـ اختيار الأسلوب الأمثل في التعريف بالخلق محموداً كان أو مذموماً.

٧ ـ اقتناص الفرص المناسبة في التربية والتعريف بالأخلاق: كاغتنام فرصة حضور الضيف للتعريف بآداب إكرامه، واغتنام زيارة الوالدين باحترامهم وإكرامهم وتبجيلهم، وكذلك زيارة الأصدقاء والمرضى، وحضور المحاضرات والخطب.

٨ ـ التشجيع والثواب مع مراعاة كون الثواب بقدر الخلق المثاب عليه: والعدل بين الأولاد في ذلك، وينبغي الاهتمام بتنوع الثواب: فمرة بالمدح والثناء ولا سيما عند الأقران والمعلمين، وبالأشياء المادية كالاصطحاب للمتنزهات، أو أي شيء عيني.

٩ ـ وضع أنظمة منزلية باتفاق الوالدين:

- أنظمة محددة للثواب والعقاب؛ مثل: كل فرد يحفظ جزءًا من القرآن فله كذا، كل فرد يؤدي أربعين صلاة دون أن تفوته تكبيرة الإحرام فله كذا، كل فرد أتلف شيئاً ثميناً فعليه كذا أو يحرم من كذا، كل من رفع صوته على أحد والديه أو أساء الأدب مع الجيران فعليه كذا أو يحرم من كذا.
- وضع قائمة بالممنوعات: من أكْل أو شرْب أو لعب أو غيرها.

- وضع نظام لحل المنازعات بين الأولاد، فمثلاً: في حالة اعتداء واحد على آخر عليه أن لا يرد بالمثل؛ بل يبلغ أحد والديه بالموضوع مصحوباً بالسبب في الحادثة، وعلى الوالدين في هذه الحالة المبادرة بحل المشكلة بعد التحري والتثبت، وينبغي الإصلاح بينهم بعد ذلك وينبههم على مغبة الاعتداء والظلم.

١٠ ـ تهيئة البيئة الصالحة لضمان اكتسابهم للأخلاق الحميدة وابتعادهم عن ضدها:

- حمايتهم من مخالطة أصدقاء السوء حتى وإن كانوا من الأقارب.
- اختيار الأصدقاء الصالحين وتشجيع الأبناء على مخالطتهم مع عدم إهمال مراقبتهم في هذه الصداقة.
- تنقية المنزل من كل الوسائل التي تفسد الأخلاق وتساعد على الانحلال كالأجهزة التي تعرض برامج سيئة، والمجلات الفاسدة التي تحتوي على صور ومعلومات تنافي الخلق الإسلامي الطاهر.

١١ ـ استخدام التقنية والوسائل التعليمية للاستفادة منها في التربية الخلقية.

١٢ ـ التعاون الجاد بين الوالدين: على الوالدين التعاون الجاد في كل ذلك، وعدم إظهار أي خلق سيئ أمامهم قولاً أو فعلاً.

١٣ ـ التنويع في جميع الأساليب السابقة: مع التركيز على الرفق والرحمة تمشياً مع قول الرسول ﷺ: (مَا كَانَ الرِّفقُ في شيء إلا زَانَه)[1].

ثالثاً: وسائل التربية الاجتماعية:

١ ـ مراعاة الآداب الشرعية في جميع الأعمال.

---

(١) رواه أحمد، وقال الألباني: (صحيح). انظر: حديث رقم (٥٦٥٤) في صحيح الجامع.

٢ ـ بيان عظمة شأن توقير الوالدين واحترامهما.

٣ ـ بيان أهمية صلة الرحم وفضلها، وأنها ليست مجازاة فمن وصلنا وصلناه ومن قطعنا قطعناه.

٤ ـ بيان الفرق بين محبة واحترام الأقارب وبين إقرارهم على الخطأ.

٥ ـ يقدم الكبير في الجلوس والكلام ونحوه.

٦ ـ تعليم الأولاد صيغ أسلوب الاستقبال والتوديع والاهتمام بها وكيفية الرد على السؤال.

٧ ـ بيان أن الهاتف خدمة للأغراض الأساسية.

٨ ـ يوضع الهاتف في مكان بارز وسط البيت حتى يسهل مراقبته.

٩ ـ مراعاة أدب الحديث وليحذر من الانطواء والخجل الناتج عن ضعف الشخصية، وأيضاً من الجرأة المنفلتة والتي قد ينتج عنها تحدث الولد أو البنت بأحاديث لا تليق بالمقام، ولا يرفع صوته إلا بقدر الحاجة، وعدم الضحك إلا في مكانه وبقدر، كما يؤدب باحترام الناس فلا ينادي من له فضل باسمه المجرد، مع بيان خطر استراق السمع والتصنت على الآخرين أو نقل الكلام بينهم.

١٠ ـ تعليمهم على آداب الاستئذن ثلاثاً، وعدم الدخول على بيوت الآخرين إلا بإذنهم، وعدم دخول غرفة غيره من إخوانه أو أخواته أو والديه إلا بإذن.

١١ ـ الحذر الشديد من الخصومات بين الوالدين أمام الأولاد.

١٢ ـ يجب الحذر من التربية الانفعالية الوقتية، وهي أن يرى الأب أو الأم أحد أولاد الآخرين وقد تربى تربية منضبطة فيحب أن يكون أولاده مثلهم، وقد ضيعهم طوال عمره، فيضغط على الطفل ويغير معاملته معه في يوم واحد ويحسب أن الصناعة تمت في ذلك اليوم.

١٣ ـ مراعاة التفريق بين الذكر والأنثى فالبنت ينبغي تعويدها على ملازمة أمها

وأن لا تخرج إلى أي زيارة إلا مع أمها، والتفريق بينهما في اللباس والأعمال داخل البيت وخارجه، ووجوب التفريق بين الأولاد في المضاجع.

١٤ ـ يهتم باللباس الساتر للبنت منذ الصغر فتتعلم وتتربى على الحياء.

١٥ ـ مراقبة الأولاد في غرفهم وحقائب دراستهم حتى يحذر من التأثيرات الخارجية وينبغي أن يكون التفتيش سريًا، كما ينبغي التفريق بين الثقة المطلقة بالولد وبين الشك المبني على الوسوسة والأوهام.

١٦ ـ عدم فعل شيء أمامهم يصعب عليهم فهمه أو إدراكه، وتبسيط الأشياء التي يرغب تعليمهم إياها بالأسلوب الذي يؤمن فيه من الاشتباه.

١٧ ـ التفريق بين أوقات الراحة وأوقات العمل وأوقات الجد وأوقات الانبساط، والأوقات العامة والخاصة، ومعاملة الناس على هذه الصورة.

١٨ ـ عدم تعويد الطفل على الاحتكار والطمع وذلك بأن يربى الطفل على أخذ ما يعطى له فقط، وأن لا يسرف في تعدد الأشياء المعطاة له، فمثلاً: يعطى لعبة واحدة أو قطعة حلوى فقط، أما أن يعطى أكثر من ذلك أو عدة أنواع في آن واحد فهذا مما يعوده على النهم والاحتكار.

١٩ ـ تعويد الأطفال على احترام الجار بأداء حقوقه مهما كان مقصرًا، وعدم الملل منه أو من أولاده مع محاولة عدم اختلاط الأولاد فيما بينهم إن لم يكونوا من أهل الخير والصلاح.

٢٠ ـ عدم الدخول عليهم إلا بإذن وعدم التكرار عليهم؛ بل تكون الزيارة بقدر الحاجة.

٢١ ـ الهدية والصدقة ودورها في التعاون والمحبة بين الجيران، والأولى جعل الأولاد هم الواسطة في إيصال ذلك إليهم.

٢٢ ـ تعويدهم على مساعدة الضعيف وحمل الأشياء عنه، ورحمة المبتلى والدعاء له، والرقة للفقير ومحاولة مساعدته.

رابعاً: وسائل التربية العقلية:

(١) المثيرات الفكرية:

١ ـ اللعب التعليمية، ويقصد بها تلك التي تكسب المتعامل معها خبرة معينة، أو تثير عنده القدرة على التفكير، أو التركيز أو غير ذلك، ويفضل عند شرائها إعطاء الأولاد فكرة عنها، وأن لا تكون تلك اللعب بالكثرة بحيث تكون مبذولة ورخيصة عندهم، وإنما تفرق عليهم أو يوضع لكل يوم لعبته، ولكل مستوى من العمر ما يناسبه، وأن تكون عهدته على من يستلمها ويطالب المحافظة عليها.

٢ ـ تعويدهم على تنظيم أثاثهم الخاص في غرفهم، وتعويدهم على نقله من جهة إلى أخرى، قطعاً لروتين الحياة التي تعودوها، فإن في مثل هذا التغيير تنشيط لهم، وإشعارهم بجو من التفاعل في البيت، كذلك قيام جميع أفراد البيت بالتغيير والتنظيم والنقل من جهة إلى أخرى في أثاث مرافق البيت الأخرى.

٣ ـ وضع لوحة إرشادية (سبورة) في مكان بارز من البيت، توضع فيها حكمة اليوم، والبرامج اليومية، والمسابقات، وإعلان الفائزين ونوع الهدايا والمكافآت.

٤ ـ الحاسب وبرامجه، ويشترط فيها الانتقاء والبعد عن اللعب التي ليس لها هدف إلا الإثارة.

٥ ـ الكتيبات والقصص المتنوعة: ويحسن أن تعرض فكرة القصة، أو الكتاب بأسلوب مشوق يدفع إلى قراءته.

٦ ـ المجلات الهادفة، مع عرض فكرة بعض المقالات.

(٢) تعويدهم على حل ما يواجههم من مشكلات:

١ ـ تعويدهم على الاستعانة بالله في كل أمورهم.

٢ ـ محاولة لفت نظرهم إلى التفكير بأنفسهم في حل المشكلة وإعطاء الفرصة لهم في ذلك.

٣ ـ تبسيط المشكلة عليهم بمثل الكلمات المبسطة لها.

٤ ـ تعويدهم على حل المشكلة مرحليًا (شيئاً فشيئاً) فمثلاً إذا كان متورطاً في مكان لا يستطيع النزول منه فلا تقل: انزل بسرعة، وإنما تحاول أن تقرب له الحل بأن يعتمد على شيء قريب منه وهكذا، أو إذا كان لم يعرف أن يركب لعبته أن تبدأ معه بالحل خطوة خطوة.

٥ ـ تأكيد جانب الاستشارة لحل ما ينتابهم من مشكلات وتدريبهم عليها.

(٣) استشارتهم في بعض الأمور التي تتلاءم مع قدراتهم وعقلهم:

وبخاصة فيما يتعلق بأمورهم الشخصية مثل بعض اللعب والملابس.

(٤) تدريبهم على الحوار والنقاش التربوي:

١ ـ إذا طلب أمراً يعلم أن يكون طلبه مبرراً، وأن يكون الرد عليه من قِبل الوالدين مبرراً أيضاً، كأن يقول: لماذا تريد هذا وما فائدته؟ ويرد عليه: بأن هذا أنفع من هذا، أو أن هذا يضرك.. إلخ.

٢ ـ منعه ونهيه من الخطأ يجب أن يكون مبرراً أيضاً.

٣ ـ في علاقته مع غيره:

- أمره بمصادقة فلان، ونهيه عن مصادقة آخر فيفتح له باب الحوار في ذلك ولماذا أمره بهذا، ونهاه عن ذاك.
- عدم تمكينه من الاعتداء على الآخرين ومحاورته في ذلك كأن تقول: هذا أخوك المسلم الذي يجب له عليك كذا وكذا، وهل يليق بالمسلم أن يظلم أو يعتدي على أخيه؟!.
- تأكيد جانب اللين والرفق مع التلطف في الكلام عند الحوار، ولا بد عند الحوار مراعاة الأمور التالية:

- لا بد من معرفة أهمية الموضوع قبل طرحه.
- ترك المقابل حتى ينهي ما في ذهنه حول المسألة المطروحة، وإشعاره باهتمامك بحديثه.

- طرح المربي الإشكالات التي ترد على كلام المقابل، وإقناعه بذلك.
- بيان النتيجة المقترحة التي توصل لها الحوار مع الاستدلال.

(٥) العناية بالخطاب اللغوي مع الطفل:

١ - اجتناب التصغير في الأسماء والكلمات.

٢ - اجتناب التحريف والتصغير في الكلام بحجة مراعاة سنه.

٣ - تبسيط أسلوب الخطاب معه والبعد عن الكلمات الغريبة البعيدة عن إدراكه.

٤ - تربيته على معرفة التباين في نبرات الصوت، فيفرق بين كلمات التشجيع وكلمات التحذير.

٥ - تدريبه على الفهم بالإشارة.

(٦) تهيئة البيت للقراءة:

١ - تكوين مكتبة مرئية ومسموعة ومقروءة.

٢ - تخصيص غرفة أو واجهة غرفة للمكتبة.

٣ - عمل لوحة إرشادية لأهم الكتب وموضوعاتها، ولوحة إرشادية لكيفية الاستفادة من المكتبة.

(٧) سرد القصص والروايات الهادفة:

١ - محاولة توظيف القصة في خدمة التربية.

٢ - العناية بأسلوب الإثارة والتشويق في سرد القصة.

خامساً: وسائل التربية النفسية:

١ - حسن استقبال المولود؛ وذلك بالاستبشار بقدومه والتهنئة والدعاء له بالصلاح.

٢ - اختيار الاسم الحسن للمولود.

٣ - غرس الإيمان في الطفل وذلك بالأذان في أذنه عند الولادة، ثم تدريبه على النطق بالشهادة، وتعليمه التسمية بالله في كل حال.

٤ ـ العدل والمساواة بين الأولاد في التعامل والعطية والمحبة فهذا يحميهم من الحسد والحقد والضغينة.

٥ ـ حمايته من المخاوف والأوهام مثل الخوف من الظلام والسبع والكلب والجن واللص والشرطي .. إلخ؛ بل يقصر تخويفه بعذاب الله وغضبه، والحياء من اطلاعه عليه.

٦ ـ إشباع حاجة الطفل الأساسية المتمثلة في الأشياء التالية:

■ الحاجات الأخروية المتمثلة في المغفرة والثواب والنعيم، وذلك من خلال ربط الطفل بأخبار الآخرة وما أعد الله للصالحين من النعيم.

■ الحاجات المادية كالطعام والشراب والنوم والراحة والنظافة، وذلك بتوفير الغذاء الطيب الحلال، وبيان آداب الطعام والنوم والنظافة وتهيئة البيئة المناسبة.

٧ ـ مراعاة الفروق الفردية بين الأطفال.

٨ ـ حمايته من التعرض للعقاب، فلا يؤمر بعمل وهو مشغول بلعبة أو تعطى له أوامر كثيرة في مرة واحدة دون مراعاة قدراته الجسمية والعقلية.

٩ ـ الحذر من الشدة والقسوة في التعامل.

١٠ ـ الحذر من التحريش بين الأطفال.

سادساً: وسائل التربية الاقتصادية:

(١) شكر الله على النعم، وذلك بالآتي:

١ ـ الاعتراف بها باطناً والتحدث بها ظاهراً، وأن الإنسان مجرد سبب فيها.

٢ ـ تذكر من حُرِم هذه النعم: بسبب الفقر، أو الخوف، أو المرض.

٣ ـ المحافظة على الأذكار الواردة فيها: عند الطعام والشراب، لبس الثوب، دخول المنزل، دخول الخلاء والخروج منه.. إلخ.

(٢) احترام الطعام:

- الاقتصاد وعدم الإسراف في الواجبات والولائم.
- تعويد النفس وأهل البيت على أن لا يأخذ من الطعام إلا ما يحتاجه، ونهيهم عن الفضلات.
- حفظ ما تبقى من الطعام ودفعه لمن يحتاجه، أو جمعه وإطعامه للطيور.
- مراجعة النفس ومحاسبتها في الإغراق في الكماليات وتذكر قول عمر: (أكلما اشتهيتم اشتريتم).

(٣) الاهتمام عند شراء السلع بالقوي المتين:

- المحافظة على الممتلكات من الآلات وأثاث ومحاسبة الأهل والأبناء على تلفها أو تعريضها للتلف.
- الاهتمام بمبدأ الصيانة للآلات والأثاث.
- دراسة السلعة قبل شرائها من حيث الأهمية والجودة والحاجة، وعدم الاغترار بالدعايات الإعلامية للسلع.
- الاشتراك مع الجيران والمعارف للشراء من محلات الجملة.
- مراقبة الكهرباء والماء والهاتف، وغير ذلك واعتبار هذه ضرورات يستفاد منها على قدر الحاجة فقط.
- تخصيص صندوق للتوفير من المصروف اليومي لصالح الفقراء، أو مشروع خيري، أو شراء حاجة للبيت أو لعبة على حسب ما يعلن في سبورة المنزل بأن التوفير في هذا الشهر لصالح كذا وكذا.
- تربية الأهل والأولاد على أن العزة والمكانة ليس بقدر ما يحمله الإنسان من مال وبيان من خلال القصص أن أبطالاً وعظماء كانوا معدمين، بينما نجد من لا يساويهم أو يدانيهم في المنزلة من الأغنياء.
- معرفة أخطار الترف وآثاره على الأفراد والمجتمعات.

سابعاً: وسائل التربية البدنية:

١ - مراعاة حقوق الطفل المتمثلة في:

■ التحنيك بعد ولادته. (مضغ التمر ثم إعطائه للطفل).

* الرضاعة الطبيعية.

* الحلق والختان والعقيقة.

٢ - تعويدهم الآداب النبوية والعادات الصحيحة عند الأكل والنوم والجلوس وقضاء الحاجة.

٣ - منع الأولاد عن النوم في غير حينه؛ فذلك يورث الكسل ويعمل على ضياع الوقت.

٤ - حمايته من العادات القبيحة والمحرمة كالتدخين.

٥ - حماية الصغار من الأخطار المختلفة كالألعاب الخطرة مثل اللعب بالسلاح والحديد والمفرقعات، وجميع الآلات الحادة وأدوات التدفئة والأدوية والسموم.

٦ - ممارسة العبادات مثل: الصلاة والصيام والحج والأعمال التطوعية كمساعدة المحتاجين وإعانتهم.

٧ - الاهتمام بأمر الغذاء وآدابه.

٨ - العناية بالنظافة في البدن واللباس والغذاء.

٩ - تدريبهم على الحرص على نظافة المنزل من القاذورات الحسية والتلوث، والقاذورات المعنوية كالأفلام والمجلات الساقطة، والعبارات البذيئة.

١٠ - المحافظة على الرعاية الصحية والتداوي من الأمراض، ويؤكد على الأخذ بأسباب الوقاية.

١١ - حماية الجسم من التعب والإرهاق، وأخذ القسط الكافي من الراحة والترويح عن النفس.

١٢ ـ العناية بالألعاب الرياضية مثل المشي، والسباحة، والرماية، والسباق، والمصارعة، والنزهة البرية والبحرية، وألعاب القوى مثل ركوب الدراجة وتسلق الجبال ورفع الأثقال.

١٣ ـ الحذر من الألعاب المحرمة مثل: القمار والبوكيمون.

○ الخطوة الثالثة: نماذج مقترحة للبرامج:

أولاً: الأنشطة الدينية:

١ ـ القرآن الكريم:

- **التلاوة**: يفضل أن تكون لها حصة يومية في وقت مناسب من اليوم وذلك حسب الأعمار والأحوال مقدرة بزمن من عشر دقائق إلى ساعة وأن تكون جماعية لتصحيح القراءة.
- **الحفظ**: ويفضل أن يكون يوميًا بمقدار ثلاث آيات إلى عشر آيات ولمدة ثلاثة أو أربعة أيام، ويومين أو ثلاثة للمراجعة ومن كانت همته أكثر ووقته أوسع فبحسبه.
- قراءة في كتب التفسير ككتاب ابن كثير أو زبدة التفسير أو تفسير السعدي.

٢ ـ الحديث النبوي:

- حفظ أحاديث الأذكار والأدعية ويفضل تلقينها للأولاد منذ الصغر كل بحسب فهمه وقدرته.
- حفظ بعض الأحاديث القصيرة، ويختار من مثل كتاب صحيح الجامع، والأربعين النووية للكبار مع قراءة رياض الصالحين وتوضيحها.
- قراءة مختصرات الصحيحين أو أحاديث الأحكام، ويقترح جعل لها حصة خلال نهاية الأسبوع لقراءة عشرة أحاديث.

٣ ـ قيام الليل وصلاة النوافل:

- التعود على النوافل والمحاسبة عليها.

- فعلها أمامهم في المنزل والتشجيع عليها كلما كلّت النفوس بمثل بيان فضلها ومنزلتها عند الله.
- الحرص على الأذكار بعد الصلوات وقراءة الأوراد اليومية، وتعليم كل مرحلة ما يناسبها من أذكار حسب مفاهيمهم.

٤ ـ الصوم والاعتكاف:

- يؤكد على صيام الأيام المسنونة والمؤكدة من مثل: يوم عرفة، وعاشوراء، وست أيام من شوال لجميع الأسرة.
- يهتم بالصوم وبخاصة يوم الإجازة كيوم الخميس ويكون فيه تشجيع وتغيير لروتين الحياة اليومية مثل الإفطار الجماعي في رحلة.
- يحرص على الاعتكاف ولو لمدة يسيرة وإن يسر الله فيوم في الحرم.

٥ ـ زيارة المقابر:

يبين مقاصدها، ويذكّرون عند زيارتها بزوال الدنيا وحقارتها، ويذكّرون باليوم الآخر.

٦ ـ الأدب:

- حفظ بعض الأبيات في موضوع الآداب والمواعظ وتحفيظها للجميع من مثل ديوان الشافعي، ولو جعل كل أسبوع بعض الأبيات يحفظها الجميع.
- قراءة قصائد شعراء الإسلام في الزهد والجهاد وصروف الدهر وتقلبات الأيام، من مثل ديوان أبي العتاهية، وديوان المتنبي.

٧ ـ المشاركة في أعمال البر:

كتوزيع الصدقات، وتوجيه أصحابه للخير، والكلمة الطيبة، ورفع الأذى عن الطريق، وتحمل أذى الجار، واحترام الكبير، مع إشعارهم بأنها عبادات ومنزلتها عند الله.

ثانياً: الأنشطة الثقافية والاجتماعية:

١ ـ قراءة الكتب:

- اختيار الكتب بعناية بحيث تتناسب مع الأسرة، ويحسن استشارة أهل

الخبرة للاستعانة بهم في اختيار المهم منها، نظراً لكثرة الكتب على الساحة.

- أن تكون ذات أسلوب شيق، وينبغي للأب أن يقدم للكتاب ملخصاً أو عرضاً مشوقاً عند الأسرة، كمثل اختيار مسابقة حوله.
- يفضل التنويع في الموضوعات والأسلوب بين تلك الكتب فلا تكون على وتيرة واحدة، ولا تكون غارقة في الهزل بمثل القصص التي لا فائدة من طرحها سوى التسلية.
- التنويع في طريقة الحث على قراءتها بين الحين والآخر، فمرة تطرح أسئلة والإجابة عليها يحال إلى الكتاب، ومرة بذكر طرف الموضوع، ثم يكلف بعض أفراد الأسرة بصياغة سؤال تحدي للأسرة من الكتاب، ومرة يذكر طرف القصة والإحالة على الكتاب.
- الإجابة عن كل سؤال قد يشكل عليهم في الكتب، فتكون إما مباشرة، وإما بالدلالة على مظنتها.
- التنويع في طريقة الثواب عليها: فيكون بالطريقة المباشرة مثل الهدية على القراءة أو السماع، أو الثناء والتشجيع المعنوي والرحلات والنزهة. . إلخ.

وغير المباشرة مثل: بيان الأجر والثواب عند الله ﷻ وبيان منزلة الأخيار وتوفيق الله وتسديده لهم.

٢ ـ الكتابة والحكاية:

- تعويد أفراد الأسرة جميعاً على حكاية ما شاهدوه في رحلة أو نزهة، أو ما قرؤوه، أو ما مر بهم في حياتهم اليومية، ويركز على المراحل الأولى من الأطفال.
- التعبير بالكتابة عن تلك المشاهد بالوصف، وهذه من أكبر الوسائل في رفع مستوى اللغة والأسلوب، ولهذا أنماط متعددة منها: التلخيص ـ الاستدراك ـ الاستدلال ـ السؤال والجواب.

- التعويد على مراسلة الأقارب ونقل المشاعر والتحيات.
- ويحسن تعليمهم بعض القواعد السهلة في كتابة الرسائل.

٣ ـ البرامج التربوية والعملية:

- المشاركة في حِلَق تحفيظ القرآن الكريم مع المتابعة والتشجيع.
- المشاركة في المراكز الصيفية مع زيارتها ومتابعة برامجها.
- المشاركة في مخيمات الربيع ورحلات العمرة ونحوها بعد معرفة برامجها وأهدافها.
- حضور الندوات والمحاضرات لا سيما ما يكون قريباً منه كمدرسته أو مسجده، وبخاصة الموضوعات التي تناسب مداركه، وشرح أوجه الغموض التي قد لا يدركها.

٤ ـ سماع الأشرطة ومشاهدتها:

- اختيارها بدقة مع ملاحظة تناسبها مع السن والفهم. فلا يتساهل في الاختيار.
- اختيار الأوقات المناسبة لعرضها وسماعها.
- يجتنب عرض الشريط لأكثر من ساعة واحدة.
- عدم اتخاذها ديدناً في كل وقت، فهو إما أن يشتغل بها عن ما هو أهم وأوجب أو تصبح ليست ذات قيمة فتتحول إلى عادة.
- مراقبة الأجهزة مراقبة تامة فلا تكون في متناول الجميع وتربيتهم على ذلك، فلكل شيء وقت وحدود.
- اختبارهم في إخراج الملاحظات على الشريط مع التعليق عليها، مما ينمي مرحلة النقد لدى الأسرة وعدم التسليم لكل ما يقال.

٥ ـ تعليم اللغات:

- عدم الإعجاب بها أو الانبهار بأهلها وخطر ذلك في باب الاعتقاد.

- بيان المقصد من تعلمها وأعظمه الدعوة إلى الله.
- التعليق على المعاني المتعلقة بأديان أهلها، وعدم أخذها مأخذ التسليم.
- بيان فضل لغة القرآن عليها.

٦ - **زيارة المعارض والمكتبات:**

- أن تكون بمصاحبة المربي.
- محاولة تدريبهم على الاختيار.
- التأدب في المعرض مع الجميع.

٧ - **الرحلات:**

- اختيار المكان المناسب للرحلة بحيث يأخذ الجميع حريتهم بعيداً عن أنظار الناس مع تعليل اختيار المكان للأولاد.
- يحسن ترك مجال في اختيار المكان للفائز بالمسابقة أو المستحق للتشجيع.
- ترتيب أعمال الرحلة على الجميع كل في ما يناسبه.
- برمجة الرحلة قبل الخروج مع مشاركتهم في وضع البرنامج.
- تنمية روح التعاون والبذل والتنافس في الخدمة بين أفراد الأسرة.

٨ - **المشاركة في أعمال المنزل:**

- إشعار الجميع بالمسؤولية وتربيتهم على التعاون المباشر.
- تعريفهم بأن هذا من خلق الرسول ﷺ: وأنه (كان في مهنة أهله)[1] وهو من عادة الكرام.
- تهيئتهم لتحمل المسؤولية في أي وقت يمكن أن يحتاج إليهم.
- تحقيق خلق الجسد الواحد في المنزل.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٩٢).

- تقسيم أعمال المنزل بالتناوب على الجميع.
- تجسد عمل الأم وبيان مكانته وكثرته وتشعبه ومن ثَمَّ شكرها عليه إذ مَنْ لم يشكر الناس لا يشكر الله.
- تعويدهم على القيام بحاجتهم من هذه الأعمال وبيان ضرورة مساعدة الأم.
- اغتفار الأخطاء للأولاد عند التدرب على عمل من أعمال المنزل.

٩ - الاهتمام بالمناسبات بأنواعها:

- بيان أهميتها للأولاد في صلة الرحم وفضل ذلك عند الله.
- البدء بالسلام على الكبار وتعليمهم الأدب معهم والتقدير والتبجيل والاستفادة من خبراتهم.
- التذكير بتقلب أحوال الدنيا فأناس في فرح وآخرون في ترح، هؤلاء يلهون ويلعبون، وآخرون لا عائل لهم ولا من يواسيهم.
- الاهتمام بذكر الجوانب الحسنة والثناء عليها، والجوانب الخاطئة وتصويبها في كل مناسبة.
- القيام بخدمة الآخرين في المناسبة وعدم استخدام من هو أكبر منهم وبيان منزلة ذلك عند الله وعند الخلق.
- لفت أنظارهم للتعرف على الأقران الطيبين.

ثالثاً: الأنشطة المهنية والرياضية:

١ - الأعمال الصناعية:

- توفير الأجهزة اللازمة للصيانة.
- بيان أهمية الاكتفاء الذاتي في أعمال المنزل والصيانة الخفيفة.
- إعطاء فكرة أولية عن بعض الحِرَف وتدريبهم عليها.
- من الممكن أن يكون كل واحد مسؤولاً عن فن معين.

- تعويدهم على الفهم من الصناعيين عند استخدامهم في المنزل والانتباه لخطوات العمل.
- تعويد أهل البيت على معرفة وجه الخلل والمبادرة في اتخاذ الاحتياطات الجزئية، كمعرفة محابس المياه وقواطع الكهرباء ونحوها.

٢ ـ الكتابة والرسم:

- محاولة احتواء البيت على مناظر طبيعية والاستفادة منها في التفكر في مخلوقات الله ﷻ.
- التدريب على الكتابة على الآلة الكاتبة والحاسب الآلي، بأخذ برنامج تدريبي على الحاسب نفسه.
- لفت النظر إلى أهمية الدقة في الرسم والخط.
- جعلهم يقومون بتقليد بعض الأعمال الموجودة.
- بيان تحريم رسم ذوات الأرواح.
- الحذر من الصور الوافدة والتي قد ترمز إلى عقائد الكفار مثل بابا نويل والطفل ذو الأجنحة.

٣ ـ الحاسب الآلي:

- تدريبهم على حفظ المعلومات وترتيبها وعرضها وبرمجتها بدقة.
- الاستفادة من البرامج المتاحة في السوق مثل برنامج الحديث والقرآن والرسم، وأيضاً برامج المسابقات التي تحتوي على تقدير للدرجات، مع التحذير من جلوس الساعات الكثيرة عنده.

٤ ـ تربية الحيوانات والطيور والأسماك:

- بيان عظمة خلق الله.
- بيان رحمته التي وسعت كل شيء وتكفله بالرزق لها على ضعفها.
- رحمتها والعطف عليها والأجر المترتب على ذلك.
- بيان عقوبة من أساء إليها.

- تعليمهم كيفية رعاية كل صنف من أصناف الحيوان، وفي أي جزء من أجزاء المنزل يمكن رعايتها.

٥ ـ الرماية:

- بيان فضلها، وخطرها وخطر التساهل في استعمالها.
- بيان خطر وضعها في متناول الصغار والسفهاء.
- يحسن وضع هدف بعيد يقصد رميه.
- عدم الإسراف في استخدامها وتضييع الذخيرة في غير وجه.
- بيان آدابها وواجباتها مثل عدم رفع السلاح على مسلم.

٦ ـ السباحة:

- بيان فضلها وآدابها وخطرها ومقاصدها.
- تعلم أصولها وأصول إنقاذ الغريق وإسعافه.
- تعليم الصغار وعدم التأخير في ذلك.

٧ ـ ركوب الخيل والفروسية:

- بيان فضلها وأهميتها وأنها من خصال الرجولة والشجاعة.
- تجنب تسخيرها للفخر والخيلاء؛ بل يحتسب الأجر فيها عند الله تعالى.
- إجراء مسابقات فيها، مع تعلم الكر والفر والمراوغة.

٨ ـ السباق والمشي:

- بيان أهميته للجسم، وإجراء المسابقات فيها بين الجميع حتى النساء كما فعل ﷺ.
- محاولة الإكثار من المشي وعدم التعود على السيارة في كل حال.

٩ ـ حمل الأثقال:

- تعويد النفس والأولاد على حمل حاجياتهم وأغراضهم كل حسب سنه وقوته وعدم الاتكال على الآخرين فيها.

- مساعدة الآخرين على نقل حاجاتهم وبخاصة الجيران واحتساب الأجر عند الله تعالى.

١٠ - **الألعاب الذهنية:**

- ضرورة التنوع فيها، بين حسابية، ولغوية، وفقهية، وهندسية، وأحاجي عامة.
- من الممكن استعمال حوافز تشجيعية وترويحية في ذلك.

○ ملحق القصص:

أكثر القصص مشهورة ومعروفة لدى الجميع لذا سنذكر عناوينها فقط وعلى المربي صياغة القصة بالأسلوب المناسب للمخاطب:

- **قصة** سعد بن الربيع ﷺ مع عبد الرحمن بن عوف ﷺ لما آخى بينهم رسول الله ﷺ.
- **قصة** سلمان في زيارته لأبي الدرداء.
- **قصة** حوار عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ مع رسول الله ﷺ في شأن صلاته وصيامه.
- **قصة** آكل الربا والزاني والكذاب كما رواها لنا رسول الله ﷺ.
- **قصة** عبد الرحمن بن عوف حين قدم له طعامه فتذكر مصعب بن عمير.
- **قصة** موسى لما صك ملك الموت.
- **قصة** الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار.
- **قصة** أبي مسعود الأنصاري لما حث رسول الله ﷺ على الصدقة فقاموا يعملون ليتصدقوا.
- **قصة** صاحب الخشبة ودينه من بني إسرائيل.
- **قصة** أبي بكر في هجرته وحواره مع ابن الدغنة.
- **قصة** تصدق أبي طلحة بمزرعته بيرحاء.

- قصة الذي طلب من ربه جل وعلا أن يزرع بالجنة.
- قصة مطالبة الرجل للرسول ﷺ بالدين.
- قصة جريج الراهب مع أمه.
- قصة أبي عبيدة مع سريته حين نفذ طعامهم فأخرج الله لهم حوتاً من البحر.
- قصة المثل: (مثل القائم في حدود الله والواقع فيها).
- وصف عائشة لبيوت رسول الله ﷺ وأنه يمر بها الهلال ثم الهلال ثم الهلال لم يوقد فيها نار.
- قصة انقسام أزواج رسول الله ﷺ حزبين.
- قصة أبي بصير وأبي جندل.
- قصة أنس بن النضر يوم أحد.
- قصة حاطب حين بلغ المشركين عن فتح مكة.
- قصة أبي رافع اليهودي مع عبد الله بن عتيك.
- قصة خبيب وأصحابه.
- قصة فاطمة ﵂ وأثر الرحى في يدها.
- قصة في دين الزبير بن العوام.
- قصة عبد الرحمن بن عوف لما وقف بين عوف ومعوذ في الصف يوم بدر.
- قصة هاجر وابنها إسماعيل في مكة.
- قصة الذين تكلموا في المهد.
- [illegible] الأبرص والأقرع والأعمى.
- قصة الذي قتل مائة نفس.
- قصة الذي باع أرضه فوجد المشتري فيها ذهباً.
- قصة إسلام أبي ذر.

- قصة تأجير أبي طلحة نفسه ليطعم رسول الله ﷺ.
- قصة ثابت بن قيس بن الشماس لما نزلت آية الحجرات.
- قصة هجرة الرسول ﷺ.
- قصة عمر مع نساء الرسول ﷺ، وهروب الشيطان منه.
- قصة أبي هريرة في جوعه وإطعام جعفر له.
- قصة القِرْدة التي زنت فرجمتها القردة.
- قصة إيذاء عقبة بن أبي معيط لرسول الله ﷺ.
- قصة شكوى خباب لرسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة.
- قصة وفاة أبي طالب.
- قصة المعراج.
- قصة زواج عائشة برسول الله ﷺ.
- قصة إسلام عبد الله بن سلام.
- قصة قتل كعب بن الأشرف.
- قصة عمر مع أبي موسى الأشعري وخوف عمر على نفسه.
- قصة عرض عمر ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان.
- قصة هجرة أبي موسى الأشعري مع أهل السفينة.
- قصة عبد الله بن رواحة حين استشهاده.
- قصة ثمامة بن أثال.
- قصة مسيلمة الكذاب.
- قصة تدل على ضعف عقول أهل الجاهلية وحيرتهم.
- قصة كعب بن مالك وتوبته.
- قصة زيارة الرسول ﷺ لعبادة بن الصامت.

- قصة عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول مع أبيه.
- قصة موسى والخضر.
- قصة الإفك.
- قصة عائشة حين وفاتها.
- قصة خزيمة بن ثابت بكون شهادته عن رجلين.
- قصة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لما نزلت سورة الحجرات.
- قصة ابن مسعود مع المرأة حين نهى عن الوصال في الشعر.
- قصة ضيف رسول الله ﷺ في بيت الأنصاري الذي أطفأ السراج.
- قصة الذي لم يجد خاتماً من حديد ليزوجه الرسول ﷺ فزوجه بما معه من القرآن.
- قصة سلام اليهود على الرسول الله ﷺ ورد عائشة عليهم.
- قيلولة الرسول ﷺ عند أم حرام.
- مسارة الرسول ﷺ عند وفاته لابنته فاطمة.
- قصة ثابت بن قيس في اليمامة.
- قصة ضمام بن ثعلبة حين قدم يسأل عن الإسلام.
- قصة ضمام بن ثعلبة حينما قدم مكة ليرقي رسول الله ﷺ حسب دعاية قريش ضده.
- قصة الذين أقبلوا على الحلقة فيها رسول الله ﷺ فجلس أحدهم خلفها والآخر وجد فرجة فجلس والثالث أعرض.
- قصة الأعرابي الذي جذب رسول الله ﷺ وقال: أعطني.
- قصة الأعرابي الذي بال في المسجد.
- قصة أنس في خدمته لرسول الله ﷺ.

- قصة مداعبة الرسول ﷺ لأبي عمير صاحب النغير.
- قصة حراسة عباد بن بشر في ذات الرقاع.
- قصة أصيرم بني عبد الأشهل يوم أحد.
- قصة أم حارثة حين فقدت ولدها يوم أحد وسألت هل هو في الجنة؟.
- قصة الذي أزال شوكاً عن طريق المسلمين فشكر الله له فأدخله الجنة.
- قصة أم الجاريتين التي أعطتهما عائشة ثلاث تمرات.
- قصة البغي من بغايا بني إسرائيل وسقي الكلب.
- قصة رجل شكا فقره إلى أحد العلماء، فقال له: أيسرك أنك أعمى وعندك عشرة آلاف درهم.
- قصة الحسن والحسين في تعليم الأعرابي الوضوء.
- هروب الأطفال من عمر عدا واحداً.
- قصة الغلام الذي أمرته أمه بالصدق مهما كانت الأحوال، فسار في طريق اللصوص فسألوه: أمعكم شيء؟ قال: نعم معي أربعون ديناراً.
- قصة صنم عمرو بن الجموح. كما في السيرة.
- قصة صاحبة اللبن مع أمها وسماع عمر لحوارها وزواج ابنه عاصم للبنت.
- قصة الأخدود والغلام.
- قصة فتية الكهف.
- قصة سعد بن أبي وقاص مع أمه.
- قصة الثلاثة الذين أول من تُسَعّر بهم النار يوم القيامة.
- قصة العابد الذي أراد قطع الشجرة التي يتبرك الناس بها ووقوف الشيطان في طريقه.
- قصة معن بن يزيد والصدقة على غني وسارق وزانية.

- ❑ قصة تفريق عائشة مائة ألف دينار أرسلها إليها ابن الزبير وقول جاريتها لها أنهم ليس عندهم طعام وهم صيام.
- ❑ قصة الشيطان مع أبي هريرة في مال الصدقة.
- ❑ قصة دعاء سعد بن أبي وقاص على الرجل الذي كذب عليه في الكوفة.
- ❑ قصة الأعرابي الذي غزا مع الرسول ﷺ فلما أعطاه من الغنمية قال: ما على هذا اتبعتك.
- ❑ قصة سعد بن الربيع ومقتله يوم أحد.
- ❑ قصة المرأة التي قالت لولدها: تعال أعطك.
- ❑ قصة عفو الرسول عليه الصلاة والسلام عن الرجل الذي اخترط سيفه وقال: من يمنعك مني يا محمد؟.
- ❑ قصة الرجل الخادم الذي قدم ـ مع حجاج الشام ـ مكة فكان في بيت يصنع لهم طعاماً فوجد تحت الأرض صوتاً حين العمل فحفر الأرض فوجد فيها تنكة ذهب، فلما أرادوا السفر إلى الشام حمل الذهب على بعيره ثم فقد بعيره أثناء الطريق وعليه الذهب، فلما كان العام القابل حج مع أصحابه وفي أثناء الطريق وبينما هو يحتطب لهم وجد بعيره منكساً في بئر قد يبس فأخذ الذهب وفرح به، ولما وصلوا إلى مكة نزلوا في بيتهم السابق، ووضع المال في مكانه إلى حين رحيلهم بعد الحج، وفي أثناء عمله إذا برجل من الهند يدخل عليه البيت فيعمد إلى مكان الذهب فيحفر ليستخرجه فعارضه ذلك الرجل فقال له: إنه مالي وهذا بيتي قد تركته منذ سنين وإن قدر المال كذا وكذا، فصدقه الرجل وأخبره الخبر، فقال صاحب المال: نعم أعلم أن الله سيحفظه لأني كنت أخرج زكاته كل سنة، ثم أعطاه مبلغاً منه هدية.
- ❑ قصة عمر مع المرأة التي كانت تضع على النار قِدْراً ليس فيه إلا الماء تعلل بها صبيانها.

- قصة الرجل الذي باع ولده سلعة من رجل بثمن أغلى من ثمنها، وأخرى معيبة، فلما حضر نَهَرَ ولده ولحق بالمشتري وأرجعه.
- قصة جرير بن عبد الله البجلي وبيعه فرسه.
- قصة الطفَيل بن عمرو الدوسي مع أهله حين أسلم.
- قصة الرجل الصالح الذي كان يصلح سروجاً ورحلاً، وكان يضع ماله في رحل عنده فغاب فباع الولد ذلك الرحل على الحجاج وفيه جميع ماله، وبعد الحج رجع المشتري عليه ليعيد الرحل فوجد ماله لم يمس ولم يعلم به الحاج.
- قصة تحريم الخُمُر كما رواها أنس بن مالك.
- قصة تحريم الحمر الأهلية.
- قصة زواج أبي طلحة بأم سليم.
- قصة المرأة التي جاءت إلى رسول الله ﷺ وعلى ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب.
- قصة صاحب الخاتم الذهب لما نزعه منه رسول الله ﷺ.
- قصة أم حميد ولزومها بيتها في الصلاة.
- قصة الحسن البصري مع الرجل الذي نقل له الغيبة.
- قصة رؤيا عبد الله بن عمر ثم قصها على أخته حفصة.
- قصة ابن عمر مع الوصية.
- قصة ابن عمر مع الراعي.
- قصة وفد مضر على النبي ﷺ.
- قصة أبي هريرة وتقاسم الليل مع زوجته وخادمه.
- قصة الرجل المسرف على نفسه الذي خاف من ربه فأمر أبناءه عند وفاته أن يحرقوه.

- قصة الرجل الذي لم يعمل خيراً قط؛ ولكنه كان ييسر للناس ويقول لغلمانه: تجاوزوا عن المعسر لعل الله يتجاوز عنا.
- قصة الرجل الذي قال لأخيه: والله لا يغفر الله لك.
- قصة المرأتين اللتين عدا الذئب على ابن إحداهما فأكله فكل واحدة تقول ذهب بابنك فاختصمتا إلى سليمان ﷺ.
- ذكر الكلب الذي أخذ الشاة من الراعي، والبقرة التي يحمل عليها فقالت: لم أخلق لهذا.
- قصة السحابة التي فيها صوت اسق حديقة فلان.
- قصة النبي الذي قرصته نملة فأمر بإحراق قرية النمل.
- قصة موسى والخضر ﷺ.
- قصة الرجل المتكبر الذي أعجبته جبته فخسف الله به.
- قصة قارون.
- قصة شكوى خباب بن الأرت للرسول ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة يقول: ألا تدعو لنا.
- قصة آخر من يخرج من النار ويدخل الجنة.
- قصة الميت إذا احتضر كما في حديث البراء بن عازب.
- قصة طلب أهل الموقف الشفاعة من الأنبياء ﷺ.
- قصة الرجل الذي زار أخاً له في قرية فأرصد الله على مدرجته ملكاً.
- قصة الرجل الذي ضل راحلته ثم نام فلما استيقظ وجدها.
- قصة استشهاد عمر ودخول الناس عليه.
- قصة بحث سلمان عن الحق في عدد من البلدان.
- قصة سهل بن سعد حين مر رجل فقال رسول الله ﷺ: (ما تقول في هذا؟).

- ❑ قصة الربيع بن خثيم حين سرق فرسه فقال الناس: ادع عليه فدعا له.
- ❑ قصة الذي وقصته ناقته في عرفة.
- ❑ قصة عبد الله بن المبارك حين يحج بالناس ويأخذ أموالهم ويحفظها لهم في بيته.
- ❑ قصة محمد بن المنكدر وتفقده للصالحين بالمدينة وإنفاقه عليهم.
- ❑ قصة هجرة أم سلمة.

○ ملحق عن الترف وآثاره:

❀ من مظاهر الترف:

١ ـ الإفراط في تناول الطعام والشراب.

٢ ـ إنفاق الأموال الكثيرة في الملابس والاهتمام بالشهير منها.

٣ ـ صرف الأموال في السيارات الفخمة ومتابعة الموديلات.

٤ ـ التباهي في بناء المنازل وزخرفتها.

٥ ـ الإفراط في الكماليات من الفرش والأثاث.

٦ ـ ملاحقة التحف والأشكال الجمالية.

٧ ـ بُعد الإنسان عن مزاولة حاجاته الخاصة بنفسه والاتكال في ذلك على الخدم والمفاخرة بهم.

٨ ـ تضييع الأوقات في وسائل الخروج والمزاح الزائد عن حدود الشرع، حتى أصبح الترويح يحتاج إلى راحة.

❀ أسباب الترف:

١ ـ طول الأمل.

٢ ـ نسيان الموت.

٣ ـ الغفلة عن ما أعده الله لعباده الصالحين.

٤ ـ كثرة المال ووفرة النعم.

٥ ـ التقليد الأعمى وضغط الواقع.

٦ ـ الجهل بأضرار الترف وآثاره.

* آثار الترف:

١ ـ ضياع الأوقات وانتشار البطالة.

٢ ـ عدم الحرص على الطاعة، والتواصي عن القيام بما يقرب إلى الله تعالى من نوافل، الصلاة والصيام، ومن المشاركة في الإصلاح والتربية والتعليم.

٣ ـ تتبع أقوال العلماء للأخذ بالأيسر منها.

٤ ـ التعلق بالتوافه وضعف التفكير وقلة الإدراك، وغياب القدرة على النقد البناء، وانتشار التقليد، وسهولة التلاعب به واستدراجه إلى ما يراد منه بيسر وسهولة.

٥ ـ قسوة القلب وحرمان الفطنة ونسيان العلم بسبب قصر الهمم والتفكير في مظاهر الحياة الدنيا.

٦ ـ ندرة محاسبة النفس وتقويمها ومراجعتها مما يؤدي إلى الفتور والتراخي عن كثير من أعمال الخير التي كان يعملها وهو لا يشعر.

٧ ـ عدم القدرة على تحمل المصائب، والصمود أمام الفتن والأحداث.

٨ ـ ترهل الأجساد وظهور السمنة مما أثقلها عن الأعمال الصالحة وأدى بها إلى أمراض كثيرة على الرغم من صغر السن.

٩ ـ انحراف المترف عن طريق الحق وهو لا يشعر نتيجة التوسع في المباحات.

١٠ ـ العجب بالنفس والتكبر على الآخرين.

١١ ـ كسر قلوب الضعفاء والفقراء وذوي الحاجة، وبالتالي يضعف تأثيره

عليهم واستفادتهم منه؛ بل قد يؤول إلى تكوّن الحقد لديهم عليه، لما يرون من الفوارق الشاسعة والبون الواسع بينهم.

١٢ - أن المربي المترف حريص على التقليد والتبعية بعيداً عن الابتكار والإبداع، ضعيف الرأي قريب التفكير، بعيد عن التعمق والبحث والتجديد في تربيته، بطيء التقدم في تربيته، قليل الإنتاج.

١٣ - المساهمة في إنجاح مخطط الكفار في إلهاء المسلمين بالترف والبذخ، وإغراق أسواقهم بأسبابه ووسائله، وإشغال أوقاتهم بتتبع كل جديد، وصرف الأموال وتصديرها إليهم عن طريق تلك الأسواق.

* علاج الترف:

١ - الرجوع إلى هدي السلف الصالح بقراءة سيرهم وأحوالهم، مع دراسة واعية ودائمة لسيرة سيد الأنبياء والمرسلين.

٢ - تربية النفس على الفطام فلا يحقق لها كل ما تشتهيه وتطلبه.

٣ - النظر إلى ملذات الحياة الدنيا وأنها زائلة إلى الدار الآخرة، وتذكر ما أعد الله للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وأن الترف مما لا يليق بالمسلم.

٤ - معرفة أن الترف ليس من أسباب السعادة فكم من مترف يتقلب في جميع النعم ومع ذلك تجد أن فيه من الأمراض النفسية ما تكدر عليه لذة تلك النعم، مثل كثرة الوساوس، وانشغال البال، والقلق وغير ذلك.

٥ - التأمل في تبعات الترف في الآخرة ووقوف المرء بين يدي الله تعالى للمحاسبة.

٦ - مجاهدة النفس على الإكثار من نوافل العبادات.

• • •

الخاتمة

هذا ما يسر الله لي جمعه، فإن كان حسناً فمن الله وحده، وأسأل الله العلي العظيم رب العرش الكريم أن يتقبله قبولاً حسناً، وأن يبارك فيه وأن يجعله من أعمالي الصالحة التي أتقرب بها إليه وأن لا يحرمني من الأجر والمثوبة، وإن كان غير ذلك فنسأل الله العفو والعافية، اللهم نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العليا أن تهدي أبناءنا وبناتنا، إلى دينك الحق وصراطك المستقيم، وأن تجعلهم قرة عين لنا ولهم، وأن تشرح صدورهم، وتيسر أمورهم، وترزقهم الإيمان والحكمة، والصحبة الطيبة الصالحة، وتحفظهم من رفاق السوء ودعاة الشر، وأبواب الفتن ومزالقها، وأن تجعلهم قوة للإسلام وأهله في كل مكان، وعزة للأمة في كل ميدان.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وإني آمل من كل من قرأ هذا الكتاب أن يدعو لي بظهر الغيب، وإبداء النصيحة لأخيهم، فالخطأ والتقصير من شيم البشر والمعصوم من عصمه الله، ورحم الله رجلاً أهدى إليّ عيوبي وستر عليّ عواري، أسأل المولى القدير أن ينفع بهذا الكتاب الآباء والمربين، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه
راجي عفو ربه ورضاه
صبري مرسي

المراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب الحديث:

- **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل البخاري، ط. المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا.
- **صحيح مسلم**: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار الحديث، القاهرة.
- **سنن الترمذي**: محمد بن عيسى بن سورة، بتحقيق أحمد شاكر وإبراهيم عطوة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- **سنن أبي داود**: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط. المكتبة الإسلامية إستانبول، تركيا.
- **سنن ابن ماجه**: محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أحمد بن محمد بن حنبل، ط. مؤسسة قرطبة، القاهرة.
- **صحيح الجامع الصغير وزياداته**: الألباني محمد ناصر الدين، ط. المكتب الإسلامي، بيروت.
- **ضعيف الجامع الصغير وزياداته**: الألباني محمد ناصر الدين، ط. المكتب الإسلامي، بيروت.

ثالثاً: كتب التفسير وغيرها:

- **تفسير القرآن العظيم**: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، ط. دار الحديث، القاهرة.
- **مفاتيح الغيب**: للرازي.
- **في ظلال القرآن**: لسيد قطب.

- **مجمع الزوائد**: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط. مؤسسة المعارف، بيروت.
- **الإحياء في علوم الدين**: أبو حامد الغزالي.
- **البيان والتبين**: للجاحظ.

رابعاً: الكتب الحديثة:

- **الأسرة المسلمة في العالم المعاصر**: أكرم رضا مرسي.
- **أسس الصحة النفسية**: د. عبد العزيز القوصي.
- **التبول اللاإرادي**: د. حاتم عبد الرحمن.
- **تربية الطفل**: راغدة موريس.
- **التعامل مع الأبناء فن له أصوله**: للدكتور حسان شمسي باشا.
- **تنوير العباد بطرق التعامل مع الأولاد**: د. حامد نهار المطيري.
- **جوامع الآداب في أخلاق الأنجاب**: الشيخ جمال الدين القاسمي.
- **شرح ديوان الحماسة**: للمرزوقي.
- **كيف تعالج متاعبك من سلوك ولدك؟** ترجمة د. محمد حمدي الحجار: تأليف د. لين كلارك.
- **مشكلات تربوية في حياة طفلك.**
- **منهج التربية**: محمد قطب.
- **(مجلة الوعي الإسلامي ـ مجلة الرسالة ـ الأهرام ـ مجلة محيط ـ مجلة المنار ـ الشقائق ـ جريدة الرياض)** أعداد مختلفة.

الفهرس

الموضوع | **الصفحة**

* مقدمة الدكتور أحمد الطويل ٥
■ توطئة ٧

□ الباب الأول □

الأسرة المسلمة طوق نجاة ١١

• الفصل الأول •

الأسرة المثالية: ١٣
المبحث الأول: أهداف الزواج ١٤
المبحث الثاني: نظام الأسرة في الإسلام ٢٢
أولاً: أثر تدين الزوجين في استقرار الحياة الزوجية ٢٦
ثانياً: الأساس الصالح لاختيار كل من الزوجين صاحبه ٢٨
ثالثاً: أساس التعامل بين الزوجين في الإسلام ٢٩
رابعاً: علاج الشرع للخلافات الزوجية ٣١
خامساً: منهج الإسلام في الطلاق ٣٥
المبحث الثالث: خصائص العلاقة داخل الأسرة المسلمة ٤٥
المبحث الرابع: الحقوق داخل الأسرة ٥٠
أولاً: حق الزوج ٥١
ثانياً: حق الزوجة ٥٨
ثالثاً: الحقوق المشتركة ٦٣
رابعاً: حقوق الأولاد ٦٦
المبحث الخامس: سمات الخلاف بين الزوجين ٦٨
المبحث السادس: نحو أسرة مثالية ٧٦
كيف تستثمر خلافك الأسري؟ ٧٦
الدفء الأسري ٧٩

الموضوع	الصفحة

أولاً: الوصايا الخاصة بالمرأة ٧٩
ثانياً: الوصايا الخاصة بالرجل ٨٤
ثالثاً: الوصايا المشتركة ٩٠

• الفصل الثاني •

المشكلات الزوجية ٩٣
تمهيد: ٩٤
المبحث الأول: أسباب المشكلات الزوجية ٩٦
كيفية حل المشكلات ٩٩
المبحث الثاني: نماذج من المشكلات الزوجية ١٠٣
١ ـ كيف تعامل زوجة لا تحبها؟ ١٠٥
٢ ـ الزوجة النكدية ١٠٨
٣ ـ إذا كنت رجلاً طلقني ١١٥
٤ ـ الملل في المعاشرة الزوجية ١١٧
٥ ـ الحموات ١٢٠
٦ ـ سرعة الغضب ١٢٧
٧ ـ زوجي يشتمني ١٣٤
٨ ـ الزوجة العاملة ١٣٦
٩ ـ زوجتي تريد أكثر ١٤٢
١٠ ـ الملل في الحياة الزوجية ١٤٧
١١ ـ زوجتي لا تثير إعجابي ١٥٠
١٢ ـ زوجي شكاك ١٥٢
١٣ ـ مولع بالنظر إلى النساء ١٥٥
١٤ ـ الصبر عند مرض الزوجة ١٥٨
١٥ ـ زوجي الحاكم بأمره ١٦١

❑ الباب الثاني ❑

تربية الأبناء ومشكلاتهم ١٦٧

• الفصل الأول •

حتمية التربية ١٦٩

الموضوع	الصفحة

تمهيد: ١٧٠
المبحث الأول: أهمية التربية وأهدافها ١٧٤
المبحث الثاني: أسس تربوية ١٨٤
المبحث الثالث: التربية في محيط الأسرة ٢٠٧
العشوائية في التعامل مع الأطفال ٢٠٧
طرق التربية في محيط الأسرة ٢٠٩
أولاً: التربية بالقدوة ٢١٠
ثانياً: التربية بالملاحظة ٢١٣
ثالثاً: التربية بالموعظة والتلقين ٢١٤
رابعاً: التربية بالثواب والعقاب ٢١٧
المبحث الرابع: قاعدة أساسية في تربية الأطفال ٢٢٥
مكافأة السلوك الجيد ٢٢٥
أنواع المكافآت ٢٢٦
أخطاء شائعة في تطبيق هذه القاعدة ٢٢٨
مبادئ في تربية الأبناء ٢٣٠
سلوك أبنائك من سلوكك ٢٣٥
آداب عامة للصغير ٢٣٦

* الفصل الثاني *

نماذج من مشكلات الأبناء ٢٣٧
١ ـ الأساليب الخاطئة في التعامل مع الرضيع ٢٣٨
٢ ـ امتناع الطفل عن الرضاع ٢٤١
٣ ـ معتقدات خاطئة حول التسنين ٢٤٩
٤ ـ الفطام ٢٥١
٥ ـ امتناع الطفل عن الطعام ٢٥٤
٦ ـ اضطرابات النوم عند الأطفال ٢٥٨
٧ ـ البكاء دون سبب محدد ٢٦٠
٨ ـ البكاء حتى الغيبوبة ٢٦٢
٩ ـ التبول اللاإرادي ٢٦٣
١٠ ـ قضم الأظافر ٢٦٧

الموضوع	الصفحة

١١ ـ عيوب النطق لدى الأطفال ٢٦٩
١٢ ـ حجرة الفئران ٢٧١
١٣ ـ غيرة الأطفال ٢٧٣
١٤ ـ عناد الأطفال ٢٧٧
١٥ ـ الشجار ٢٨٣
١٦ ـ الخوف من الغرباء ٢٨٧
١٧ ـ الانطواء ٢٨٩
١٨ ـ مص الأصابع ٢٩١
١٩ ـ تهيئة الطفل لدخول المدرسة ٢٩٣
٢٠ ـ إعطاء المصروف ٢٩٧
٢١ ـ السرقة ٢٩٩
٢٢ ـ الكذب ٣٠١
٢٣ ـ التوأم ٣٠٣
* برنامج عملي لتربية الأسرة ٣٠٤
الخطوة الأولى: الوسائل العامة للتربية ٣٠٤
الخطوة الثانية: الوسائل الخاصة للتربية (وسائل التربية الدينية، الخلقية، الاجتماعية، العقلية، النفسية، الاقتصادية، البدنية) ٣٠٨
الخطوة الثالثة: نماذج مقترحة للبرامج ٣١٩
ملحق عن الترف وآثاره ٣٣٥
- خاتمة ٣٣٨
- المراجع ٣٣٩
* **الفهرس** ٣٤١